

المعجزة القرآنية

تأليف

أحمد عمر أبو شوفة

تقديم

فضيلة الشيخ محمود دلو

الدكتور أحمد دلو

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طرابلس - ليبيا

فاكس: 00218 / 3604332 ، 21

٠٠٢١٨ ، ٢١ / ٣٦٠٤٣٣٢

الطبعة الثالثة

بعد المراجعة والتصحيح

بإشراف الدكتور

نوري علي محمد شرينة

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية

بنغازي - ليبيا

هاتف: 9090509 - 9096379 - 9097074

بريد مصور: 9097073

البريد الإلكتروني: nat - Lib-Libya@hotmail.com

ردمك 1-546-22-9959 ISBN

اسم الكتاب: المعجزة القرآنية

اسم المؤلف: أحمد عمر أبو شوفة

تاريخ النشر: 15/3/2006

مقدمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١)

«اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك»^(٢).

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على
النبي الأُمي الأكرم ، معلم العلماء ، وقدوة الأتقياء والبلغاء .

الحمد لله الذي فتح عليّ منذ بلوغ الحلم حفظ القرآن ، وأنار بصيرتي للتدبر
والتبحر في حروفه وكلماته ، وفي سوره وآياته ، تركيباً وترتيباً ، وخصني به شرفاً
وتكريماً في تدارسه وتدريسه ، سائحاً بمعانيه ، دون سواه من سائر العلوم
المستحدثة ، التي أثقلت كاهل الأجيال ، بعيداً عن القرآن الكريم .

(وبعد):

فقد شاء القدر أن سهل الله - عزَّ وجلَّ - عليّ بعد مضي أربع عشرة قرناً ، وأربع
عشرة سنة على الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وفتح عليّ فتوحات ربانية في معرفة أسرار الحروف المقطعة النورانية بفواتح
السور القرآنية ، التي لم يهتد لمعرفة باحث ولا مجتهد .

فكانت هدفاً أساسياً على ظهور هذه المعجزة الكبرى وتأليف هذا الكتاب ، من

(١) سورة الأنفال ، الآية : [٢٤] .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه رقم : (١٩٩) ، بلفظ : «يا مثبت قلوبنا ثبت قلوبنا على دينك»

خلال القواعد الثابتة، والأسس البناءة، الموجودة في كتاب الله العزيز، بالدليل القطعي والبرهان، والتي أضاعت إليّ الطريق المستقيم بأنوارها القدسيّة، فكانت الحروف المقطعة النورانية بفواتح السور القرآنية هي الهدف الأسمى على ظهور هذه المعجزة الكبرى وفاءً وإخلاصاً لله العليّ القدير.

كما شاءت الصدفة أن أجزلت عليّ بخيراتها منذ الولادة على أن يكون مجموع حروف تسميتي ولقبتي قد آخت هذه الحروف النورانية عدداً.

راجياً من الله أن يكون عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الدارين، وأن يغفر الله لي ولوالدي ولجميع المؤمنين.

ونحن إذ نشكر الأستاذ الدكتور محمد سالم بن محيسن، صاحب كتاب «القراءات وأثرها في العلوم العربية» وغيره، الذي استفدنا منه، جزاه الله عنا خير الجزاء، حيث أطلعنا على ما كتبه العلماء الذين سبقوه في مؤلفاتهم في تفسير السبعة الأحرف، ورأيه في أولئك المؤلفين تحليلاً وتعليقاً إذ قال: «إن الوقوف على فوائد تعدد القراءات أمر اجتهادي، ولست أدعي أن ما سأذكره هو كل الفوائد ولكن يكفي أنني فتحت الباب أمام كل باحث لعله يأتي بجديد».

إن الجديد الذي فتح «الدكتور ابن محيسن» عليه الباب في كتابه، هو ظهور كتاب [المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة]، وهو يبحث عن الحروف المعجزة الكبرى في القرآن الكريم وهي السبع المثاني بالدليل والبرهان، وذلك بعد أن خاض العلماء كثيراً في الحديث عن تفسير السبعة الأحرف التي نزل عليها القرآن، وأخذ كل واحد منهم يُدلي بدلوه في تفسير هذه الأحرف السبعة، فمنهم من فسرها على أنها سبع لهجات، ومنهم من فسرها على أنها سبع لغات، حيث اختار لها سبع قبائل فقط من دون سواها من القبائل العربية الأخرى، وما أكثرها حتى لا يخرج عن الأحرف السبعة، ومنهم من فسرها على أنها سبع قراءات بعد القرن الثالث الهجري واختار لها سبعة قراء فقط ممن وجدوا في القرن الثاني الهجري حتى لا يخالف الأحرف السبعة، ومن هنا فنحن نتساءل:

فما علاقة هذه السبعة الأحرف الأولى المعجزات التي نزل عليها القرآن من عند الرحمن من فوق سبع سماوات، بكل هذه التفسيرات والآراء من قريب أو بعيد؟؟

وكان لا بد من رد واضح وصريح على كل هذه التفسيرات والآراء، يقوم على الدليل القطعي والبرهان، وليس على الاجتهاد بكل أشكاله، لأنه لا اجتهاد مع النص، ومن هنا كان من الضروري أن يظهر هذا الكتاب المتواضع، القائم على الحجّة والدليل والبرهان، ومخاطبة عقل الإنسان في الوقت المناسب الذي يبين حقيقة الأحرف السبعة، لئلا تبقى هذه الأمة رهينة الظن والاجتهاد، رغم وجود الحقيقة بين أيديها من واقع كتاب الله الواحد، وسنة رسوله ﷺ الواحدة، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(١).

ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣).

وكذلك فإن ما جاء عن رسول الله ﷺ: في الحديثين الشريفين حيث قال عليه الصلاة والسلام: «أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»^(٤).

وقوله ﷺ: «أقراني جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فزادني فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(٥).

(١) سورة الحجر، الآية: [٨٧].

(٢) سورة النساء، الآية: [٨٢].

(٣) سورة الأنعام، الآية: [١٥٣].

(٤) [رواه البخاري، ومسلم، والترمذي].

(٥) [رواه البخاري ٦/١٨٥].

والمأمل في القرآن الكريم وآياته يرى فيه المعجزات الباهرة، حيث إن عجائب القرآن لا تنقضي ولا يشبع منه العلماء.

هو الكتاب العزيزُ اللهُ يحفظه وبعد ذلك علمُ فرجِ الكربا
واتل بفهم كتاب الله فيه أتت كل العلوم تدبره تر العَجَبَا
ولهذا سابين في هذا البحث المتواضع بعض وجوه الإعجاز في القرآن
الكريم وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقني للصواب، ويبعدني عن الزلل
والخطأ والنسيان إنه نعم المولى ونعم النصير.

وإنني أشكر فضيلة الدكتور «أحمد دلولو» صاحب كتاب «معجزة الله
الكبرى في التفسير الحسابي للقرآن الكريم» على مقدمته ومراجعته وتعليقه
على هذا الكتاب، مما أظهر فيه الدقة والبيان، ووضعه على معايير
الحسابية.

كما أشكر فضيلة الشيخ الجليل «محمود دلولو» على ما قام به من جهدٍ
كبير ومساعدتي لإظهار هذا الكتاب إلى حيز الوجود.

كما وأنني أشكر أعضاء لجنة التصحيح الأفاضل على ما قاموا به من
جهد كبير لمراقبة الكتاب بشكل دقيق وعلى رأسهم فضيلة الدكتور نوري
علي محمد شريئة.

وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الراجي عفو ربه

أحمد عمر أبو شوفة

(مؤلف كتاب: «المعجزة الكبرى في القرآن الكريم»)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
 ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ
 الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

مقدمة الدكتور أحمد دلولو

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد ﷺ رسول رب العالمين وخاتم النبيين وسيد الخلق أجمعين وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى أبد الأبدین.

أما بعد! فإن الحديث عن القرآن يطيب سماعه، ويحلو مجلسه، ويأنس مریده، وتسمو بروح المؤمن قداسته، وترشد القلوب هدايته، وتقوم السلوك مواعظه، وترهف المشاعر معانيه وكلماته.

فهو كتاب الله الحق، هو كتاب هداية، كتاب مواعظ، كتاب تعبدي، قراءة كل حرف منه تورث صاحبها حسنة من الله والحسنة بعشر أمثالها .

وهو كتاب قصص وعبر يضرب الأمثال للناس فهو بحق كتاب الله الكريم الذي لم يترك أمراً من أمور الدنيا والآخرة إلا أتى عليه تصديقاً لقوله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، وهذا الكتاب لا تنتهي عجائبه مهما طال الزمن وتعاقبت الدهور ومرّت العصور.

وبعد! فقد طلب مني المؤلف الشيخ أحمد عمر أبو شوفة، وهو من مدينة مصراته - زاوية المحجوب - ليبيا، أن أصوغ مقدمة لكتابه المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة فلبيت طلبه مع اعترافي بقلة زادي، وعجزتي أمام بلاغة هذا المؤلف

(١) سورة الأنعام، الآية: [٣٨].

ودقة معانيه وغزارة علمه، راجياً من الله تعالى أن يجعله كتاباً نافعاً للأجيال الحالية والقادمة من المسلمين؛ ولقد قرأت هذا الكتاب بتأمل وتمعن وتعليقي عليه بما يلي:

١- الكتاب في غاية الدقة والإيجاز والعلم والفائدة حيث أفاض فيه عن معاني القرآن الكريم ومعجزاته، وقدم الشواهد الكثيرة من القرآن الكريم والسنة المطهرة على ذلك.

٢- أتى تعريفه للمعجزة القرآنية كافياً شافياً، وضرب الأمثلة على المعجزات وأنواعها وشروطها، وبيّن وجوه إعجاز القرآن الكريم بشكل علمي جليّ واضح، وضرب الأمثلة الكثيرة على ذلك من القرآن الكريم ومن الحقائق العلمية الكونية اليقينية .

٣- تكلم عن عبارات القرآن الكريم ومتانة تراكيبه، وفصاحته، ونظمه البديع، واتساق نظرياته، وأحكامه، والوفاء بكل ما وعد به فجاء حقاً وصدقاً كفلق الصبح، وتكلم عن تأثير القرآن وفاعليته في النفوس والأفئدة، وتكلم عن سمو تشريعه وشموله ومرونة معاييرها، وتكلم عن الواقعية والمثالية في التشريع الإسلامي، وعن مبدأ العدل والإحسان، والوسطية والاعتدال، وتكلم عن التصوير والتشخيص الحيّ في القرآن، وعن الإعجاز في رسم القرآن وأشكاله وأنواعه وموافقته للقرآن، وأنّ رسم القرآن هو توقيفي .

كما تكلم عن الإعجاز العددي في القرآن وعن الأعداد بشكل مفصل :

- الأعداد المفردة من : ١-١٠ .

- الأعداد المركبة من : ١١-١٩ .

- ألفاظ العقود من : ٢٠-٩٠، وتكلم عن المئات والألوف .

وتكلم عن الكسور، وتكلم عن بعض الأحكام المستنتجة من الأعداد وقدم الأمثلة الكثيرة على ذلك منها:

أ - المِثَالُ الْأَوَّلُ أَنَّ: عمر النبي محمد ﷺ ثلاث وستون سنة مستنبط من قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١) فهذه (سورة المنافقون) هي رأس ثلاث وستين سورة، وآخر آية منها هي الآية ١١.

وفي كتابي معجزة الله الكبرى في التفسير الحسابي للقرآن الكريم، أثبت صحة هذه الآية بالحساب والتي تعني نبينا محمداً ﷺ بالذات، ومن النص القرآني التالي المأخوذ من الآية المشار إليها أعلاه.

﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا...﴾.

٨ + ١ + ١ + ١١ + ٦ + ٥ + ٤ = ٣٦ = ٠ = أي: محمد ﷺ
وعبارة: جاء أجلها ٥ + ٤ = ٩ = الموت .
وذلك بعد إسقاط الرقم ١٢ ومضاعفاته.

اللَّهُمَّ الطريقة الحسابية التي حسبنا بموجبها: كلنا يعلم أن حروف الأبجدية بلغتنا العربية هي ثمانية وعشرون حرفاً، وهذه الحروف مرتبة بحسب الترتيب الأبجدي على الشكل التالي:

| | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|----|---|---|---|---|----|
| أ | ب | ج | د | هـ | و | ز | ح | ط | ي |
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ |

| | | | | | | | | |
|----|----|----|----|----|----|----|----|-----|
| ك | ل | م | ن | س | ع | ف | ص | ق |
| ٢٠ | ٣٠ | ٤٠ | ٥٠ | ٦٠ | ٧٠ | ٨٠ | ٩٠ | ١٠٠ |

٨ ٦ ٤ ٢ ٠ ١٠ ٨ ٦ ٤

(١) سورة المنافقون، الآية [١١].

| | | | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|------|
| ر | ش | ت | ث | خ | ذ | ض | ظ | غ |
| ٢٠٠ | ٣٠٠ | ٤٠٠ | ٥٠٠ | ٦٠٠ | ٧٠٠ | ٨٠٠ | ٩٠٠ | ١٠٠٠ |

٨ ٠ ٤ ٨ ٠ ٤ ٨ ٠ ٤

فنلاحظ أن كل حرف من حروف الأبجدية له رقم حسابي، وهو ما كان يسير عليه أسلافنا من عهد سيدنا محمد ﷺ إلى يومنا هذا، وكل حرف تزيد قيمته الحسابية عن الرقم ١٢ له قيمتان حسابيتان: كبرى وصغرى حيث استوحينا القيمة الصغرى من القيمة الكبرى للحرف، كما هو مشار إليه خارج الجدول فمثلاً:

- الحرف: ك = ٢٠ إذا أسقطنا منه الرقم ١٢ يبقى ٨ .
- والحرف: ل = ٣٠ إذا أسقطنا منه الرقم ٢٤ يبقى ٦ .
- والحرف: م = ٤٠ نسقط منه الرقم ٣٦ وهو من مضاعفات الرقم ١٢ يبقى لدينا ٤

وهكذا الحال مع كافة الحروف وأرقامها، مثلاً لفظ الجلالة:

الله = { أ = ١ ، ل = ٦ ، اللام المشددة ل = ل ل ، والمد = أ = ١ ،
والحرف ه = ٥ } فيكون المجموع: ١ + ٦ + ٦ + ١ + ٥ = ٢٥
إذا أسقطنا منها الرقم ٢٤ وهو من مضاعفات الرقم ١٢ يبقى لدينا ١ .

فهذا الواحد: هو الله جلّ جلاله.

ب - المثال الثاني : استنبط بعض العلماء أن عدد أبواب الجنة ثمانية من قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١).

(١) سورة الزمر، الآية: [٧٣].

بينما قال جلّ جلاله في الآية التي قبلها: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ بدون الواو،
 ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
 لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ
 يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١).

لأنّ قريشاً التي نزل القرآن بلغتها العربية الفصيحة كانوا إذا عدّوا قالوا :
 واحد - اثنان - ثلاثة - أربعة - خمسة - ستة - سبعة - ثمانية، فإذا وصلوا
 إلى رقم ثمانية أضافوا حرف الواو.

نعود لحساب الآية الكريمة ٧٣ من سورة الزمر ونتأكد بشكل علمي
 حسابي رياضي أنّ ما ذهب إليه العلماء هو الصحيح كما هو مقرر شرعاً.

نجزئ الآية الكريمة إلى جزأين فنقول :

١- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾

٨ ٥ ٨ ٨ ٩ ٨ ٧ ٨ = ٥٣ = ٥ = المسلمون

وذلك بعد إسقاط الرقم ١٢ ومضاعفاته من المجموع الحسابي ٥٣،
 وأن الرقم المسقط هو ٤٨

أي: ٥٣ - ٤٨ = ٥.

٢- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا

٢ ٥ ٨ ٨ ٩ ٨ ٧ ٨ ٥ ٦

جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ

٥ ٦ . ٦ ٥ ٣ ٧ ١١ ٢

(١) سورة الزمر، الآية: [٧١].

طَبَّئِمَّ فَأَدْخُلُوهَا خَلِيدِينَ ﴿١١﴾

١١ ٧ ٧

المجموع = ١٢٨ = ٨ وذلك بعد إسقاط الرقم ١٢ ومضاعفاته من

المجموع

أي: ١٢٨ - ١٢٠ = ٨ وهو: عدد أبواب الجنة الثمانية.

كما يوجد حديث عن النبي ﷺ وقد ثبتت صحته لدينا بالحساب من حساب الآية الكريمة ٧٣ من سورة الزمر.

ثم تكلم المؤلف عن السبع المثاني فقال:

«القرآن هو مثاني ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «أي: فاتحة الكتاب» هي مثاني، السور من البقرة إلى براءة هي مثاني، كل سور القرآن ما عدا الطول وما دون المئين وفوق المُفَصَّل هي مثاني أيضاً، وكذلك سورة الحج والتمل والقصص والعنكبوت ... الخ هي مثاني، والحروف المقطعة في أوائل السور المفتحة بأحرف مثل: ﴿الْمَ﴾ - ﴿صَّ﴾ - ﴿حَمَّ﴾ ... هي مثاني».

وقوله عن فاتحة الكتاب «أنها مثاني لأنها تُثنى في كل ركعة، وقال: ويسمى جميع القرآن مثاني لاقتران آية الرحمة بآية العذاب، ومعنى ثنى الشيء: رد بعضه على بعض»، إلى هنا انتهى كلام المؤلف.

وهذه فكرة عن المثاني وموافقتها للمنهج الحسابي الذي أسير عليه فأقول:

أ - سورة الحمد هي من المثاني كما قال عنها رسول الله محمد ﷺ في أحاديثه الشريفة أهمها:

١ - «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرءان العظيم الذي أوتيته».

بالحساب: الحمد لله رب العالمين

١١ ٠ ٠ ٤ = ١٥ = ٣

وذلك بعد إسقاط الرقم ١٢ منها.

كلمة: هي = ٣ عبارة : السبع المثاني ٧ + ٨ = ١٥ = ٣ عبارة:

«هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته» .

٣ = ٥١ = المجموع ٦ + ٣ + ٧ + ١١ + ٦ + ٨ + ٧ + ٣

وذلك بعد إسقاط الرقم ١٢ ومضاعفاته من المجموع .

يلاحظ مما تقدم أنّ :

الحمد لله رب العالمين = هي = السبع المثاني = هي السبع المثاني
والقرآن العظيم الذي أوتيته = ٣.

أيّ أن كل فقرة من فقرات هذا الحديث = الرقم الحسابي ٣ = السبع
المثاني؛ فمعنى ذلك أن الحمد لله رب العالمين، أيّ أنّ الفاتحة، هي
إحدى معاني السبع المثاني التي سترد في هذا الكتاب.

ج - الحروف المقطعة في أوائل السور المفتوحة بأحرف نورانية عددها
أربعة عشر حرفاً، قال أيضاً: أنها هي السبع المثاني.

حيث إن عبارة : سبعاً من المثاني

١ ١٠ ٨ = ١٩ = ٧.

وطالما المثني = ٢ أيّ إن مثني الواحد = ٢، ومثني العدد ٥ = ١٠
أيّ ١٠ = ٥ × ٢، ومثني العدد ٧ = ١٤، أيّ: ١٤ = ٧ × ٢، أيّ: عدد ١٤
هي الحروف المقطعة التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم.

- ثمّ تكلم عن نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف وقال: إن
الأحرف السبعة هي غير القراءات السبعة، وأشار إلى أنها هي الحروف

الأربعة عشر التي هي في أوائل السور والتي قال عنها: هي السبع المثاني.
 - كما أنه تكلم عن فواتح السور القرآنية وحروف التهجي النورانية وفي ابتداءاتها وفي عددها وأنواعها ومعانيها.
 - وتكلم عن علم المبهمات في القرآن الكريم وما هي الحكمة من الإبهام وأنواعه وفائدته وتعميمه وتعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم كقوله تعالى في سورة النور الآية ٢٢:

- ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى

١١ ٤ ٣ ٤ ٦ ٥ ٨ ٩ ٧ ٦

- الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا

١١ ١ ٦ ٦ ١٠ ٢ ١٠

- وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

٢ ٢ ٧ ٦ ١ ٦ ٣ ٠ ٨ ٣

المجموع = ٣ = أبو بكر

١٢ = ٦ + ٣ = وذلك بعد إسقاط الرقم ١٢

فقد نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق^(١) رضي الله عنه حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة أبداً بعد ما قال في عائشة في حديث الإفك.
 - وتكلم المؤلف عن معجزات متفرقة من القرآن الكريم منها سبب

(١) أبو بكر الصديق: هو عبد الله بن أبي قحافة التيمي القرشي ولد سنة ٥٧٣ عام الفيل وأمه (أم الخير) سلمى بنت صخر وهي ابنة عم أبي قحافة، وقيل اسمه كان عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ (عبد الله) وكان على سعة من المال وكرم من الأخلاق، وكان أول من أسلم من الرجال، وقد سارع من إسلامه بدون مناقشة فقال في حقه ﷺ: «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر» وكني بأبي بكر لمبادرته إلى الإسلام وقد أثبت أهل السيرة أنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزواته كلها وكان خليل الرسول ﷺ توفي سنة ١٣ هجرية. انظر السيرة لابن هشام.

تصريحه باسم مريم من النساء وعدم ذكر غيرها من النساء، ولماذا ذكر اسم زيد بن الحارثة من المسلمين ولم يذكر غيره.

- وتحدث عن الكلمات غير العربية في القرآن هل هي عربية أم لا واختلاف الأئمة في ذلك وتوسع فيها وأجاد .

- وتحدث عن القرآن والشعر ومن هم الشعراء في القرآن، وتحدث عن حكم الشعر وإباحته ومكروهه وتحريره ورأي رسول الله ﷺ في الشعر حيث قال: «حسن الشعر كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام» ثم تكلم عن آراء علماء المسلمين بالنسبة للشعر .

ثم قال المؤلف إن أول ما نزل من القرآن الكريم هو الألف لقوله تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾، وآخر ما نزل من القرآن هو الألف أيضاً حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

وقد قمت بحساب من أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل من القرآن الكريم فوجدت:

أ - ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾

٢ ٧ ٨ ٣ ١٠ ١ ٦ ٨ ٢ ٦ ٨ ٤

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ .

٣ ٢ ١١ ٢ ١ ٥ ١٠ ٦

= ٧ = الاسلام .

ب - ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

(١) سورة المائدة، الآية: [٣].

٥ ٧ ٦ ٦ ٦ ٦ ٢ ٥ ٦ ٤ ٦ ١١ ٣

=٧= الإسلام بعد إسقاط الرقم ١٢

من النص :

١- اليوم = ٣ = يوم عرفة = ٨ + ٧ = ٣ بعد إسقاط الرقم ١٢

ويوم عرفة هذا يقولون بأنه يشبه يوم القيامة فهو يساويه بالحساب حيث يوم عرفة = ٣ = يوم القيامة.

وعلى هذا الأساس فإن أول ما نزل من القرآن يساوي بالحساب لكلمة: الإسلام، وآخر ما نزل من القرآن يساوي بالحساب لكلمة: الإسلام أيضاً، وكلمة الإسلام = ٧، وكلمة الجنة = ٧، فمعنى ذلك أن المسلمين هم أهل الجنة والحمد لله رب العالمين.

٢- عبارة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾

٣ ١١ ٦ ٤ ٥ ٦ ٢ ٦ =٧= الإسلام.

٣- عبارة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾

٥ ٧ ٦ ٦ ٦ ٦ ٢ ٥ ٦ ٤ ٦ ١١ ٣

=١، هذا الواحد: هو الله جلَّ جلاله.

وكذلك قال المؤلف إن سورة الشورى افتتحت بالأحرف: ﴿حَوَّ﴾

عَسَّ ﴿حَوَّ﴾ فإذا كتبناها بالأحرف المملوطة وهي حاميم ١، عين سين قاف، ٢ نجد أنها تساوي حسابياً للرقم ٣ وهو بدوره يساوي السبع المثاني؛ في حين فاتحة سورة مريم هي خمسة أحرف أيضاً ولكنها لا تساوي بالحساب السبع المثاني لأن:

«كاف، ها، ياء، عين، صاد» ٥ ٧ ٠ ١٠ ١١ = ٩

أي: لا تساوي السبع المثاني .

وأخيراً تكلم المؤلف عن متفرقات وإعجازات ومعجزات في القرآن الكريم ومواضع أخرى كثيرة يضيق المقام عن حصرها ويراها القارئ ضمن صفحات مؤلفه الذي نحن بصدده.

وخلاصة القول فإن المؤلف من السَّابِقين في مجال هذا العلم الذي يحتاجه المسلمون خاصة في هذا العصر، عصر الأعداد والحساب، أمدَّ الله بعمر مؤلفه كي يتحفنا بكتب ومؤلفات غيره.

وفقه الله ووفق أمثاله من العلماء المخلصين العاملين، إنه سميع الدعاء، وإنه على ما يشاء قدير، والحمد لله رب العالمين.

كتبه وبكل تواضع صاحب كتاب

معجزة الله الكبرى

في

التفسير الحسابي للقرآن الكريم

الدكتور أحمد دلولو



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشيخ محمود دلولو

الحمد لله رب السماوات والأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم. سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته^(١).
أحمده فقد أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء وما فرط فيه من شيء أرسل محمداً ﷺ خاتم الرسل. وجعل كتابه وهو القرآن الكريم آخر الكتب عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه، فنحن قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله.
وقد خلقنا الله لعبادته وجعل الدنيا كماء أنزله من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح لعنا نتعظ ونعمل للحياة الحقيقية بعد الموت.

إن الله عبادة فطنا طلقوا الدنيا وعافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

فالوجود أكبر كثيراً من الظاهر المشهود، ولا مكان فيه للمصادفة العمياء، ولا صلاح ولا فلاح ولا نجاح ولا طمأنينة ولا رفعة للإنسان إلا بالرجوع إلى الله ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم ولذا فعلينا أن نعرف أسراره ونغوص في معانيه ونفهم كل حرف فيه فهو الكتاب الخالد والمعجزة الباقية. فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم.
ورحم الله أمراً ترك بعد موته صدقة جارية أو علماً يُنتفع به أو ولداً صالحاً يدعو له. وإني لأرجو من الله تعالى أن يجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهه الكريم فيزيل به فقرنا ويقوي به ضعفنا ويقضي به حاجتنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الفقير إلى الله

الشيخ محمود محمد عيد دلولو

مجاز شريعة ١٩٦٤

(١) انظر إلى حديث جويرية / ١٣٩٨ - (٢٧٢٦/٧٩) من رواية مسلم. طبعة دار الفكر - الطبعة الأولى لسنة ٢٠٠٠م ص ١٠٠٣ مجلد واحد.

تقريظ

بقلم فضيلة الشيخ إبراهيم محمد القماطي

الحمد لله الذي خصّ بالشفاعة محمداً ﷺ، وخصّ بالفصاحة والفكر والبراعة أولي الألباب والنظر، وجاء بالقريحة والبلاغة على أصحاب الأذهان الصافية من الكدر، وجعل فيهم الذكاء ينبوعاً يخرج منه نفيس الدرر، نحمده سبحانه وتعالى على نعمة الإسلام والإيمان والعلم والبر، المتفضل بالنعيم والمزيد لمن شكر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الفعّال لما أمر، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي الأبر (صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم) بعدد كل حرف من القرآن يُتلى ويستطر.

أما بعد: فقد اطلعت على كتاب المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة لمؤلفه فضيلة الشيخ أحمد عمر أبو شوفة. والذي أبرز فيه جوانب الإعجاز القرآني في العديد من محاوره، سواء أكان الإعجاز (في رسم القرآن، الإعجاز العددي، المتعلق بالحروف والآيات والسور)، كما خاض في الحديث عن المعجزة الكبرى في القرآن الكريم، وحديثه عن الحروف (المقطعة النورانية) التي جاءت في فواتح بعض السور القرآنية، مبيناً لها الإعجاز الفريد بالدليل والبرهان.

كما بيّن العديد من أسرار القرآن الكريم، كنز العطاء والوفاء، دون سائر الكتب السماوية السابقة، كما تتطرق لبعض الأحكام الفقهية التي تتعلق بآيات الأحكام كالبسملة وأحكامها، وختم كتابه بمشروعية الدعاء وأفاض بالأدعية المأثورة من الكتاب والسنة، ثم ألحق كتابه بمجموعة القواعد الفقهية فاتحاً بذلك باباً من أبواب البحث العلمي لطلابه وناشديه.

فجزى الله عنا أئمتنا وعلماءنا ومشايخنا خير الجزاء، وجزى الله مؤلف هذا الكتاب أفضل الجزاء، وأن ينفع بهذا العطاء طلاب العلم والمعرفة وأهل القرآن في كل زمان ومكان إنه سميع مجيب.

الشيخ إبراهيم محمد القماطي

عضو هيئة التدريس بمعاهد

المعلمين والمعلمات والمنارات

والثانويات الشرعية

ومؤلف كتب في الفقه والسيرة والوعظ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة فضيلة الدكتور نوري علي محمد شريئة

الحمد لله الذي اختص أهل طاعته بالهداية والرعاية، وأشهد أن لا إله إلا الله، أورش كتابه العزيز من اصطفى من عباده، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أفضل رسله وأكرم أحبائه، أنار لأمته طريق الرشد والكمال، وفتح لها عيوناً للنظر والتأمل في أحسن مقال، وأسمى مثال، فأخرجها من ظلمات الجهل والضلال، إلى نور اليقين وسعادة المآل. صلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدي يا رسول الله يا علم الهدى، يا من خصك الله بالقرآن الكريم المعجزة الكبرى مستمرة ما تعاقبت الأيام والأشهر والسنون، وخصه الله بجوامع الكلم وسماحة الأديان، وعلى سائر النبيين والمرسلين والصحابة أجمعين وسائر الصالحين.

أما بعد! فقد طلب مني سماحة الشيخ الفاضل أحمد عمر أبو شوفة أن أقوم بمراجعة كتابه «المعجزة القرآنية» حقائق علمية قاطعة، مراجعة لغوية منهجية فتشرفت بتلبية طلبه، خدمة لطلاب العلم والمعرفة مبتغياً بذلك وجه الله ذي الجلال والإكرام، فالكمال لله وحده، ويحضرني قول «عماد الدين الأصفهاني» في حكمته التي قال فيها: إنني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غيره. لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يتحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

فقدت بمراجعة نسخة الكتاب عدة مرات، للأمانة العلمية وسجلت مقترحات التصويب على صفحات نسخه، والغالب عليها ترجيحها إلى الأخطاء المطبعية، وكانت لي عليه النتائج والتوصيات الآتية.

تصنيف الكتاب: يرتقى تصنيف الكتاب إلى درجة أن يكون كتاباً «منهجياً ثقافياً»، وأن يعنى بتدريسه لطلاب الجامعات والثانويات التخصصية «منارات وثانويات العلوم الشرعية».

دراسة الكتاب: يعنى الكتاب بدراسة «علوم القرآن الكريم» فهو من الكتب الحديثة النادرة، التي تظهر وتبرز «الاعجاز العلمي والعددي» في القرآن الكريم.

مقترح: أقترح أن يكون هناك تنسيق مع أساتذة الجامعات والمعلمين وخاصة أساتذة الدراسات القرآنية وعلوم القرآن الكريم، في توجيه الطلاب، وحثهم على الاستفادة من المنهجية العلمية، والمادة الموضوعية للكتاب.

مناقشات ومحاضرات وندوات: العمل على مناقشة محاور الكتاب ومحتوياته وتناولها في محاضرات ثقافية علمية، تبرز جوانب الاعجاز العلمي في القرآن الكريم بالدليل والبرهان.

الخاتمة: وأخيراً يعتبر الكتاب جهداً متواضعاً من مؤلفه، لابرازه إلى حيز الوجود، والذي لا شك بأنه يضاف إلى رصيد المكتبة العربية وإثرائها، ويخدم طلبه العلم والمعرفة.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أشكر فضيلة الشيخ أحمد عمر أبو شوفة لثقتي بي، فجزاه الله عنا خير الجزاء، وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب كل قارئ وباحث، وأن يرزقنا التوفيق في القول والعمل، وأن يجنبنا الزلل من الفكر والقلم، وأن يهبىء لنا من أمرنا رشداً «إنه سميع الدعاء». والله ولي التوفيق

الدكتور نوري علي محمد شريئة

أمين قسم اللغة العربية والدراسات العليا

بكلية اللغات جامعة الفاتح بالجماهيرية الليبية «سابقاً»

تمهيد

من فضائل القرآن

١ - روى مسلم عن أبي موسى قال : قال رسول الله محمد ﷺ : «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر».

٢ - وروى البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي محمد ﷺ قال: «خيرُكم من تعلّم القرآن وعلمه».

٣ - وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن كقطع الليل المظلم»، قلت: يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تشعب معه الآراء ولا يشعب منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه». رواه الترمذي.

٤- القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الخالدة:

الشأن في هذا الإعجاز هو الشأن في خلق الله جميعاً وهو مثل صنع الله في كل شيء وصنع الناس ...

إن هذه التربة الأرضية مؤلفة من ذرات معلومة الصفات .

فإذا أخذ الناس هذه الذرات فقصارى ما يصوغونه منها لبنة، أو آجرة، أو أنية، أو أسطوانة، أو هيكلًا، أو جهازاً كائناً في دقته ما يكون، ولكن الله المبدع يجعل من تلك الذرات حياة، حياة نابضة خافقة تنطوي على ذلك السر الإلهي المعجز... وهكذا القرآن... حروف وكلمات يصوغ منها البشر كلاماً وأوزاناً ويجعل منها الله قرآناً وفرقناً، والفرق بين صنع البشر وصنع الله من هذه الحروف والكلمات، هو: الفرق ما بين الجسد الخامد والروح النابض...، هو: الفرق ما بين صورة الحياة وحقيقة الحياة! ^(١) [اه]

٥ - القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء، فمنذ أربع عشرة قرناً على نزوله يتعظم الكلام به وعنه، كما تتراءى معالم الحقيقة وتتلاءم في كثير من آياته البيّنات بعد أن تكفّله سبحانه وتعالى بالحفظ الرباني المحفوظ... والوعد الإلهي الموعود... دون سائر البشر منعاً للزيادة أو النقصان ولو بحرف واحد كما جاء في قوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ^(٢).

والقرآن الكريم توقيفي عن ربّ العالمين، فقد جمع بين المنهج والمعجزة معاً دون سواه من الصحف والكتب السماوية السابقة في النزول لوجوده في اللوح المحفوظ قبلهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ^(١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَكِيدِ كَيْدٍ ^(١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ^(١٠٧) ^(٣).

فآية الآيات في المنهج والإعجاز تلك التي تتجدد في التدبر والتبصر والتعلم والتعقل على إثبات هذه الحقيقة.

(١) في ظلال القرآن - الجزء الأول صفحة: (٣٨-٣٩).

(٢) سورة الحجر، الآية: [٩].

(٣) سورة الأنبياء، الآيات: [١٠٥-١٠٧].

قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿١٠٥﴾ وَفَرَّأْنَا فَرَّقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ ﴿١﴾ .

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ فَرَّأْنَا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿١١٣﴾ فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عِزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴿٢﴾ .

قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ﴿١١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصَبْ قُرْآنَهُ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١١٩﴾ ﴿٣﴾ .

فالمنهج عين المعجزة . . والمعجزة عين المنهج في القرآن الكريم .

أما الكتب السماوية كالتوراة والزبور والإنجيل قد أنزلها الله جلّ جلاله على وجه التغيير كونها منهج فقط دون المعجزة، والمنهج بطبيعته عرضة في التطبيق لذا جاءت المعجزة وحدها، وخصّت بشخص صاحبها لفترة زمنية عصر النبوة والرسالات وتلك إرادة الله وحكمته . .

فمعجزة موسى عليه السلام العصا وغيرها . .

ومعجزة داود عليه السلام تسبيح الطير والجبال معه . .

ومعجزة عيسى عليه السلام إحياء الموتى والطبابة بإذن الله كما جاء في كتابه العزيز .

ومعجزة المعجزات في القرآن الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ﴿٤﴾ تترى على الأمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وللأمانة التي اتصف بها سيد الخلق وحيب الحق ﷺ قبل الوحي وبعده كانت أميته إحدى حصون الإعجاز الخاصة في الحماية والرعاية والتحدي التي

(١) سورة الإسراء، الآيتان: [١٠٥ - ١٠٦]. (٣) سورة القيامة، الآيات: [١٦ - ١٩].

(٢) سورة طه، الآيات: [١١٣ - ١١٥]. (٤) سورة فصلت، الآية: [٤٢].

سقطت أمامها معاقل وهياكل الجبابرة في الفرعنة والتعنت والاذعان والتكابر .

فالأمية في غيره ﷺ نقصاً، وفيه كمال وشرف وتعظيم ورفعة ومكانة .

ففي بدئ الوحي تجلت كلمة ابنتت برباعيتها أسس النظم الإنسانية
والمناهج التربوية المقرونة بالإعجاز .

نزل به الروح الأمين عليه السلام على قلب النبي الأمي ﷺ بالوحي الجلي
بالتلقين كتابة . . ورسماً . . وترقيماً . . وترتيباً ليعلم به أصحابه كما تلقاه
حرفاً حرفاً . . وكلمة كلمة . . وآية آية . . وسورة سورة . . وهذا هو الإعجاز
المطلق للقرآن الكريم في الترتيب لقوله ﷺ: «أتاني جبريل عليه السلام فأمرني
أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ﴾^(١) [النحل: ٩٠]، وبرواية: «ضع - ضعوا - هذه الآية في السورة التي
يذكر فيها كذا وكذا»، كما في غيرهما من الأحاديث الشريفة .

وممن اختلف بالثقة والأمانة عصر النبوة وبعده في ترتيب وجمع سور
القرآن الكريم هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه بحيث كان يأمره
ﷺ أن يجعل كل سورة مستقلة بذاتها في حزمة واحدة بآياتها وأرقامها ويرجع
إليها عند نزول الوحي وبقي القرآن في بيت النبي ﷺ حتى انتقل إلى الرفيق
الأعلى . روي عن عوف بن مالك وعن حذيفة من «أنه ﷺ تهجد ذات ليلة
فاستفتح فقرأ في نافلته البقرة وآل عمران والنساء والمائدة في أربع ركعات سورة
سورة»^(٢) على هذا النسق، وهو الذي عليه ترتيب زيد الذي ارتضاه النبي ﷺ .

قبض رسول الله ﷺ والقرآن في صدور الكثير من الصحابة يحفظونه عن
ظهر قلب، وعلى رأسهم الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه .

ولما يتمتع به سيد كتبة الوحي وأحد حفظة القرآن الكريم زيد بن ثابت

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٩٤٠) .

(٢) هامش إعجاز القرآن الكريم للرافعي ص ٤١ .

رضي الله عنه من أهلية وعلم بكتاب الله بعد رسوله ﷺ تم الاختيار عليه أيضاً في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يقوم بجمع القرآن في مصحف واحد، كما كتب ورتب بين يدي رسول الله ﷺ تحت إشرافه، بعدما افتقدت الأمة الإسلامية الكثير من حفظة القرآن الكريم في حروب أهل الردّة^(١) فكتب القرآن بالترتيب المعهود على الصورة التي كلفه بها النبي ﷺ وارتضاها.

وبقي المصحف في عهدة الخليفة الأول حتى توفاه الله، فصار بعده إلى الفاروق عمر أمير المؤمنين رضي الله عنهما، وبقي عنده حتى انتقل إلى رحمة الله، ثم أصبح عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها صدرأ من ولاية عثمان بن عفان رضي الله عنه يوم دقت الرسالة الإسلامية أبواب أرمينيا وأذربيجان حتى وصل الخلاف بين الصحابة رضي الله عنهم وتفاقم في تلاوته فجاء أمين الوحي الصحابي حذيفة بن اليمان إلى الخليفة قائلاً: «أدرك يا أمير المؤمنين هذه الأمة حتى لا تختلف في كتاب الله كما اختلف أهل الكتاب في كتبهم». فاستأذن ذو النورين أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها أن تعطيه هذا المصحف الوحيد حتى ينسخ منه أربع نسخ، ويردّه إليها، وقُدّم زيد بن ثابت رضي الله عنه على غيره مجدداً أن يختار معه ثلاثة من الصحابة ليعاونوه على كتابة القرآن لعدم استطاعته أن يقوم بنسخ أربع مصاحف مرة واحدة، في حين اعتبر هذا التعاون مؤخراً عند بعض العلماء أنه «لجنة» ليتساءل البعض الآخر: أين كانت مثل هذه اللجنة كما ادعوا عند جمع القرآن الكريم عصر النبوة، وعهدي الخلافة الأولى والثالثة في مصحف واحد؟ ولهذا سألين بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم وادعوا الله سبحانه وتعالى أن يوفقني للصواب ويبعدني عن الزلل والخطأ والنسيان إنه نعم المولى ونعم النصير.

(١) قصتها مفصلة في كتب السير.

المعجزة القرآنية

تعريفها — شروطها — أنواعها

أ - تعريف المعجزة: هي الأمر الذي يفوق طاقات البشر ويخترق قوانين الطبيعة وخواص المادة ولقد أصبح القرآن الكريم المعجزة الكبرى للنبي ﷺ سلاحاً تحدى به مقتضيات العصر رغم أميته ليتحدى به قومه والعالمين جميعاً^(١).

ب - شروط المعجزة: من أهم هذه الشروط:

١ - أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، مثل: انشقاق القمر، وفتق البحر.

٢ - أن تخرق العادة مثل: نبع الماء من بين أصابع سيدنا محمد ﷺ، وانشقاق الحجر لتخرج منه الناقة.

٣ - أن يستشهد بها مدعي الرسالة على الله سبحانه وتعالى.

٤ - أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها، كأن يقول إذا نفلت بهذا الماء فار النبع وزاد، وقد قال ذلك مسيلمة الكذاب ونفل بالماء فغار الماء وهذا دليل على كذبه.

٥ - ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.

ولهذا جاء التحدي من الله في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا

(١) انظر مجمع البيان لتفسير مفردات وألفاظ القرآن لسميح عاطف الزين - دار الكتب اللبناني - الطبعة الأولى لسنة ١٩٨٠م صفحة رقم ٥٦٧ مجلد واحد.

بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾^(١).

ج - أنواع المعجزات: تكون المعجزات من جنس ما برع به أهل العصر، ففي عهد موسى عليه السلام برع الناس بالسحر فكانت معجزته العصا: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾^(٢).

وفي عهد عيسى عليه السلام برع الناس بالطب فكانت معجزته إحياء الموتى بإذن الله والطب.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾^(٣).

وقال أيضاً في آية أخرى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَنْخَرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾^(٤).

(١) سورة الطور، الآية: [٣٤].

(٢) سورة الأعراف، الآيتان: [١١٧ - ١١٨].

(٣) سورة المائدة، الآية: [١١٠].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [٤٩].

لقد اشتهر العرب في الجاهلية قبل الإسلام بالفصاحة والبلاغة، فهم يجيدون العربية ملكة لا صناعة أباً عن جدٍ إلى أبيهم آدم، عليه السلام، ووصلوا إلى منتهى الغاية في فنون الكلام.

فأنزل الله كتابه العزيز (القرآن الكريم) على قلب نبيه محمد ﷺ ليكون معجزة باقية ودائمة بدوام ملك الله. ليتحدى الله به أصحاب أعلى لغة في الوجود في الفصاحة والبلاغة وهي أم اللغات. فعجزوا على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، فترقى معهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا فنزل معهم أن يأتوا بأصغر سورة كسورة العصر فعجزوا، فله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

فالمعجزات نوعان:

١ - معجزات حسية:

مؤقتة تزول بوفاة النبي عليه السلام الذي جاء بها مثل عصا موسى، وناقية صالح، وحنين الجذع للرسول محمد ﷺ، وانشقاق القمر له، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة.

٢ - معجزات عقلية:

باقية وهي القرآن الكريم دائمة إلى قيام الساعة، وقد تحدى الله سبحانه وتعالى به الثقلين فقال عز من قائل: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (٨٨) (١).



(١) سورة الإسراء، الآية: [٨٨].

توضيح المعجزات الحسية

ما من رسول إلا جاء بمعجزة تدلّ على صدقه، وإن الأقوام الذين يريد الله أن يتحدّاهم يمكنهم من كلّ الأسباب ثمّ يعطل الله تعالى هذه الأسباب. ومن الأمثلة على ذلك:

أ - النار لم تحرق إبراهيم عليه السلام:

لقد حطّم إبراهيم أصنام المشركين فأرادوا أن ينتقموا منه ويجعلوه عبرة لكل إنسان تسوّّل له نفسه الاعتداء على الآلهة فجمعوا الحطب وأوقدوا ناراً هائلة أمام الآلهة ليحرقوا بها إبراهيم. إنه منظر رهيب... وجاءوا به ليلقوه في النار فلماذا لم يأمر الله إبراهيم بالاختفاء أو الفرار؟

لو فعل ذلك إبراهيم لظلت هيبة الأصنام ولقالوا لو قبضنا عليه لأحرقناه. ولكن التّحدي في سلب قوة الإحراق من النار وتعطيل سنن الكون ونواميسه والقوّة في النار ليست فاعلة بذاتها لأن الله تعالى قد سلب منها الإختصاص وهو «الإحراق». قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾^(١)

وفي هذا تحدّ لهم لأن نارهم لم تفعل شيئاً إلا بأمر الله تعالى واستعملوا كلمة حرّقه مشددة مبالغة في الحرق ولو لم يقل رب العالمين للنار ﴿وَسَلَامًا﴾ لتجمّد من شدّة بردها عندما قال لها كوني برداً ولهذا قال: ﴿بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ﴾، وكان من الممكن أن تنطفئ النار بفعل المطر ولو حصل ذلك لقال الكفار آلهتنا أطفأت النار وعفت عنه وهي قادرة على حرّقه.

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: [٦٩ - ٧٠].

فمعجزة إبراهيم ليس أن ينجو من النار بالهرب أو غيره ولكن معجزته أن يجلس في وسط النار المتأججة متحدياً من أرادوا إحراقه بالنار لتكون برداً وسلاماً عليه .

أما موسى عليه السلام :

فيقول الله تعالى مخاطباً أمه بعد ولادته: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعُ: ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾﴾^(١) .

ونفذت أوامر ربها فوضعت في صندوق وأغلقت الصندوق وألقته في اليم لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ هذا هو التحدي العظيم .

وأخرجته امرأة فرعون، وعاش موسى في بيت فرعون ينفق عليه ويعطي أمه أجر الرضاع فهل بعد هذا التحدي من تحدٍ .

ولما بلغ أشده واستوى آتاه الله حكماً وعِلماً وجعله رسولاً وأيده بتسع آيات معجزات منها العصا . قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾^(٢) .

فلماذا كان السحرة أول من آمن؟

(١) سورة القصص، الآيتان: [٧ - ٨] .

(٢) سورة الأعراف، الآيات: [١١٧ - ١٢٢] .

لأنهم عرفوا الفرق بين قدرة الله وقدرة البشر فآمنوا بالله رب العالمين،
فنسوا فرعون ووعوده وذهبه وماله ومناصبه وأذعنوا للحق وانقادوا إليه ولم
يلتفتوا إلى التهديد والوعيد والتنكيل وتقطيع الأيدي والأرجل من خلاف
وقالوا: ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَن
يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٥﴾﴾ (١).

فالله قادر قاهر ليس لقدرته قيود ولا حدود.

وقدرة الله تعالى تظهر في خلق البشر:

١ - فقد خلق الله آدم من غير أب ولا أم.

٢ - وخلق حواء من أب بلا أم.

٣ - وخلق عيسى من أم من دون أب فهذه قضية الخلق من زواياها
الأربع. وهذا الخلق بأشكاله الأربعة معجزة، لأنه لا يشترط من وجود
الذكر والأنثى أن يوجد الخلق، لأن الله سبحانه يجعل من يشاء عقيماً لا
ولد له.

٤ - وخلق الله البشر من أب وأم وهذه سنة الله في الكون لبقاء النوع

الإنساني.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ
لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ
عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ (٢).

(١) سورة طه، الآيات: [٧٣ - ٧٥].

(٢) سورة الشورى، الآيتان: [٤٩ - ٥٠].

وهناك معجزات ليست للتحدي:

ومنها خلق مريم ويحيى وعيسى عليهم السلام:

فقد نذرت امرأة عمران إذا ولد لها ولد ذكر أن يكون خادماً للمعبود. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَاتُكَ إِلَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادَّكُرَ رَبُّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ (١).

فلما وضعت امرأة عمران وليدتها ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ﴾ (٢) فقد فكرت بمنطق الدنيا. ولكن الله يفعل ما يشاء أما قوله تعالى في الآيات: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ (٣)، فهذه الأنثى أفضل من غيرها من الذكور وسيكون لها شأن في المستقبل، ولذا فقد كفَّلها زكريا وهو نبي ورسول نشأ على الإيمان. وعبارة كفَّلها زكريا تشير إلى أن أباه قد مات.

(١) سورة آل عمران، الآيات: [٣٥ - ٤١].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [٣٦].

(٣) سورة آل عمران، الآية: [٣٦].

وكان زكريا إذا دخل معبدها وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء فيسألها
 أنى لك هذا؟ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١).
 هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.
 فلكل شيء في الوجود سبب، ولكن هناك أشياء تحدث بلا أسباب إذا
 أراد الله ذلك.

ولهذا دعا زكريا ربه أن يهبه ذرية طيبة مع أن امرأته عجوز فرزقه الله
 يحيى كما رزق مريم الفاكهة في غير أوانها.

﴿يَزَكِّرِيَا إِنَّا نَبِّشْرُكَ بِغُلْمٍ أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾^(٧)
 قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ
 عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتِكِ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ
 شَيْئًا ﴿٩﴾^(٢).

وهنا تتعطل الأسباب والقوانين المألوفة، فكما خلق الله زكريا من قبل
 ولم يك شيئاً فهو قادر على أن يخلق يحيى من امرأة عاقر.
 وأعود إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾.

فهذه الأنثى وهي مريم ستلد عيسى عليه السلام من غير أب المعجزة
 الباقية والذي افتتن بعض الناس بخلقه من غير أب. فجعلوا الله أباه
 وعبدوه. وقالوا: إذا لم يكن الله أباه فمن أبوه فرد عليهم القرآن الكريم
 بقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
 فَيَكُونُ﴾^(٣).

فخلق آدم أعظم من خلق عيسى فقد خلق من غير أب ولا أم وهذه
 قصة ولادة عيسى كما ساقها القرآن الكريم:

(٣) سورة آل عمران، الآية: [٥٩].

(١) سورة آل عمران، الآية: [٣٧].

(٢) سورة مريم، الآيات: [٧ - ٩].

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَوَدَّعَهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكَلِمَى وَأَشْرَى وَقَرَى عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هَهُنَا مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحٰنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴿١﴾ .

ب - فلق البحر لموسى عندما ضربه بعصاه:

فعندما وصل موسى وقومه إلى مقربة من البحر وفرعون وجيشه يطاردونهم قال أصحاب موسى: إنا لمدركون وهذه مسألة طبيعية في قوانين البشر، وعندها قال موسى: كلا إن معي ربي سيهدين ولم يقل سنستقلُّ

(١) سورة مريم، الآيات: [١٦ - ٣٦].

سفينة أو سنهرب سباحة وقال له ربه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾﴾^(١).

وسار موسى ومن معه في البحر وتبعهم فرعون وجنوده. فنجا موسى وقومه، وغرق فرعون وجنوده بنفس الماء.

هذه هي قدرة الله تعالى في تعطيل القوانين.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾^(٢).

ج - وجوه إعجاز القرآن الكريم:

القرآن الكريم منهج حياة ومعجزة باقية إلى يوم القيامة، ولكل معجزة قرآنية وقت لظهورها، فكما أن معجزات الله متجددة في هذا الكون المخلوق تظهر باستمرار ولا تنقطع، فكذلك آيات الله ومعجزاته تظهر في كلامه القديم المنزل على رسوله محمد ﷺ ولذلك لا يمكن حصر وجوه إعجاز هذا الكتاب الخالد.

قال الشيخ المرحوم محمد متولي الشعراوي^(٣): فقد عرفت بين إخواني المؤمنين بخواطري حول القرآن الكريم، وخواطري حول القرآن لا تعني تفسيراً للقرآن، وإنما هي هبات صفائية، تخطر على قلب المؤمن في آية، أو بعض آية. «ولو أن القرآن كان من الممكن أن يفسر لكان ﷺ أولى

(١) سورة الشعراء، الآية: [٦٣].

(٢) سورة البقرة، الآيتان: [٢٣ - ٢٤].

(٣) محمد متولي الشعراوي: ولد في إبريل من عام ١٩١٠م. وتوفي سنة ١٩٩٨م. وله مؤلفات عدة في العلوم الإسلامية. انظر إلى كتاب الشيخ الشعراوي إمام القرن العشرين. مطبوعات دار الجليل للكتب والنشر للطبعة الأولى ١٩٩٨م.

الناس بتفسير هذا القرآن لأنه عليه نزل وبه انفعول ولكن رسول الله محمد ﷺ بين للناس على قدر حاجتهم في البيان فيبين لهم:

[الأحكام التكليفية]

التي يثاب المرء على فعلها ويعاقب على تركها. أما كل ما يتعلق بكونيات الوجود وأسرار القرآن حول ذلك الوجود فقد اكتفى رسول الله محمد ﷺ بما علم هو نفسه، واكتفى بأن علم منها من وجد عنده استشرافاً للفهم، ولكنه لم يشع ذلك ولم يعممه لأن العقول قد لا تتقبله، والقرآن لم يأت ليعلمنا كيف نوجد أسرار الوجود وإنما جاء القرآن ليكنز أسرار الوجود حتى تجيء العقول ذوات الاستعداد لأن تفهم السر - لأنها حامت حوله بحركة الحياة - حينئذ يكون عطاء القرآن للسر عطاء مجذوباً إليه، لأن الذي يبحث فيه له نشاط فكري حوله، ولذلك لا نجد أي صحابي من صحابة رسول الله ﷺ سأل عن شيء كما لم يسأله عن ﴿الْمَدَّ﴾^(١)، ولا عن ﴿حَمَّ عَسَقَ﴾^(٢) مع أن الرسول استقبل أناساً كثيرين يؤمنون بكتاب الله، واستقبل أناساً كثيرين يكفرون بما أنزل الله وكانوا يريدون أن يقيموا الحجة على رسول الله ﷺ في أنه أتى بشيء غراب «كلام مجانين».

فهل سمعنا أن كافراً من الكفار العتاة قال للقوم وهم بلغاء فصحاء يجيدون العربية ملكة لا صناعة؟

هل سمعنا أن واحداً من الكفار قال: ماذا يعني ﴿الْمَدَّ﴾ وماذا تعني ﴿حَمَّ عَسَقَ﴾؟

كيف يمر على المكابر المنكر مثل هذه الفواتح للسر ولا يجد فيها ما

(١) سورة لقمان، الآية: [١].

(٢) سورة الشورى، الآيتان: [١ - ٢].

يُنْقِضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ؟ .

لا شك أنه انفعّل لها وإن لم يؤمن بها، ولا يجد فيها أي شيء يمكن أن يُنْقِضَ به على رسول الله ﷺ ليهدم قرآنه، إذاً فلا المؤمنون به سألوه عنها ولا الكافرون به سألوه عنها إلى آخر ما قال العلامة. رحمه الله.

معنى إعجاز القرآن الكريم:

الإعجاز لغة: نسبة العجز إلى الغير قال تعالى في قصة ابني آدم: ﴿قَالَ يَوَلِّتَنِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ (٣١) .

وسميت معجزة لعجز الثقلين عن الإتيان بمثلها^(٢). والمقصود بإعجاز القرآن عجز البشر عن الإتيان بمثله وبذلك يتبين أنه حق وأن الرسول ﷺ صادق. وليس القصد من الإعجاز التعجيز لذاته. وبهذا القرآن الكريم أحيا الله تعالى الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس وهذا خطاب لرسولنا ﷺ.

يقول فيه الشاعر أحمد شوقي:

أخوك عيسى دعا مَيْتاً فقام له وأنت أحييت أجيالاً من العدم
فالقرآن الكريم معجزة محمد ﷺ، الرجل الأمي الذي لم يدرس في
جامعة ولم يتعلم العلم عن عالم، ولم يتصل بأهل الكتاب يتحدى العرب
خاصة والناس كافة على أن يأتوا بآية يعارضون بها هذا القرآن الكريم، ولما
عجزوا عن الإتيان بذلك فما عليهم إلا أن يذعنوا بأنه من عند الله فيؤمنوا به
ويستسلموا لله تعالى وينقادوا له. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٩٦) نَزَلَ

(١) سورة المائدة، الآية: [٣١].

(٢) انظر مجمع الحديث لتفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم. لسميح عاطف الزين - دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى لسنة ١٩٨٠م. الصفحة رقم ٥٦٧ مجلد واحد.

بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴿١﴾ .

وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٩٦﴾ ﴿٢﴾ .

والتحدي نوعان عام وخاص:

فالعام: تحدى به القرآن جميع الخلائق من إنس وجن وفلاسفة وعباقرة وعلماء وأدباء وعرب وعجم وبيض وسود على أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله .

والتحدي الخاص: تحدى القرآن الكريم العرب خاصة وعلى الأخص قريشاً وهذا التحدي نوعان أيضاً كلي وجزئي:

فالكلي: تحداهم بأن يأتوا بقرآن مثله .

والجزئي: تحداهم على أن يأتوا بسورة من مثله كسورة العصر مثلاً .

ودليل الكلي في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا بِكِتَابِ مَنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٣﴾ .

والجزئي كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا بَعْشَرَ سُورِ مَّثَلِهِ مَفْرُوتٍ وَّادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿٤﴾ .

(١) سورة الشعراء، الآيات: [١٩٢ - ١٩٥].

(٢) سورة النحل، الآية: [١٠٢].

(٣) سورة القصص، الآية: [٤٩].

(٤) سورة هود، الآيتان: [١٣ - ١٤].

والقرآن الكريم معجز بذاته فإعجازه بفصاحة عباراته وروعة بيانه وأسلوبه الفريد الذي لا يشابه أي أسلوب فلا هو نشر ولا شعر ولا خطابة ولا كهانة ومساحته اللفظية تتجلى في نظامه الصوتي وجماله اللغوي وبراعته الفنية .

فهو الشهادة على صدق رسول الله ﷺ وأن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتَكُمْ لْتَشْهَدُوا أَنَّ مَعَ اللَّهِ الْإِلَهَةَ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ (٢).

فالعلم الإلهي يدل على أن القرآن من عند الله، وهو ظاهر في كل آية من آياته .

هذا وإن التقدم العلمي في العصر الحديث يدل على مصداق ما جاء في القرآن الكريم . فكل آية منه تتحدى البشر بأن يأتوا بمثله وكل إشارة علمية فيه سبقت العلم الحديث، ونحن الآن في عصر انفجار المعرفة نكتشف ذلك وهذا ما سنراه في بحث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

د - بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم: الإخبار عن المغيبات الماضية والمستقبلية وأهميتها للرسول ﷺ .

١ - الإخبار عن المغيبات الماضية:

كقصص الأنبياء والأمم السابقة، مثل: قصة ثمود، وصالح، وإبراهيم، وموسى وغيرهم .

(١) سورة الأنعام، الآية: [١٩].

(٢) سورة النساء، الآية: [١٦٦].

أ - قال تعالى: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبَتِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْتَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْغَةَ وَهُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾^(١).

ب - قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾^(٢).

فمن هو عزير؟

اليهود لم يعرفوا هذا الاسم إلا بعد دخولهم إلى مصر واختلاطهم بأهلها وأخذهم من وثنياتها. فعزير هو (أوزيرس) كما يلفظه الفرنج أو (عوزر) كما يلفظه قدماء المصريين وهو ابن إله الشمس في الديانة المصرية القديمة، وقد أخذ اليهود عنهم ذلك وقالوا عزير ابن الله وصاروا يعلمون أولادهم بذلك ولا يستطيع اليهود أن يدعوا أو يثبتوا أن اسم عزير كان معروفاً عندهم قبل دخولهم مصر.

٢ - الإخبار عن المغيبات المستقبلية:

أ - إخباره أن الروم سينتصرون على الفرس في بضع سنين، قال تعالى: ﴿الْمَ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرْحُ

(١) سورة الذاريات، الآيات: [٣٨ - ٤٦].

(٢) سورة التوبة، الآية: [٣٠].

﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾^(١)،
وقد حدث هذا النصر فعلاً في بضع سنين للروم على الفرس، وفي نفس اليوم
انتصر المسلمون على المشركين يوم بدر، فتحقق وعد الله بنصر الروم، وفرح
المؤمنون يومئذ بنصرهم^(٢).

ب- إخبار القرآن الكريم أن الله عاصمٌ رسوله وحافظه من الناس فلا
يصلون إليه وهذا وعد أيضاً بالإضافة إلى كونه إخباراً عن غيب في المستقبل،
قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
رِسَالَاتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٧﴾^(٣).

فصرف النبي ﷺ الحرس والحجاب ثقة بوعد الله تعالى وإيماناً قاطعاً
بحماية الله تعالى له.

وقد ورد في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم
أجمعين قال: كنا إذا أتينا في سفرنا على شجرة ظليلة تركناها
لرسول الله ﷺ، فلما كنا بذات الرقاع نزل نبي الله تحت شجرة وعلق سيفه
فيها، فجاء رجل من المشركين فأخذ السيف فاخترطه وقال للنبي ﷺ:
أتخافني؟ قال: «لا» قال: من يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك» فرفع
السيف ووضعها. وكان ذلك في الغزوة التي شرعت بها صلاة الخوف^(٤).

وعن علي رضي الله عنه قال: كنا إذا حمي البأس وحمي الوطيس اتقينا
برسول الله ﷺ فما يكون أحد منا أقرب إلى العدو منه.

(١) سورة الروم، الآيات: [١ - ٥].

(٢) انظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم في تفسير سورة الروم الجزء ٢١ .

(٣) سورة المائدة، الآية: [٦٧].

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام. عبد السلام محمد هارون الصفحة رقم (١٦٤). مكتبة السنة طبعة

وفي غزوة حنين لما انهزم المسلمون بعد أن أعجبتهم كثرتهم ثبت النبي ﷺ وأمر عمه العباس أن ينادي بأعلى صوته يا معشر المهاجرين والأنصار يا أصحاب بيعة الرضوان إلى رسولكم . وكان النبي ﷺ راكباً على بغلته ولجامها بيد العباس رضي الله عنه والرسول يسرع بها نحو المشركين والعباس يمنعها من السرعة حتى غشاه المشركون وأحاطوا به فنزل عن بغلته كأنه يمكنهم من نفسه ولم يفرّ ولم ينكص وهو يقول: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»^(١).

ج - إخبار القرآن الكريم بهزيمة قريش قبل معركة بدر عندما كان المسلمون بمكة بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾ (٤٤) سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرٌ ﴿٤٦﴾^(٢).

وقد تم ذلك فعلاً، والآية مكية وغزوة بدر حدثت في السنة الثانية للهجرة كما هو معلوم^(٣).

د - إخبار القرآن الكريم بمكة بما سيأتي على المشركين وماذا سيحل بهم من:

١ - القحط والجوع حتى إذا نظر أحدهم إلى السماء رأى بينه وبينها كهيئة الدخان.

٢ - أنهم سيتضرعون إلى الله تعالى .

٣ - أن الله سيكشف عنهم العذاب قليلاً .

٤ - أنهم سيعودون إلى كفرهم وعنادهم .

(١) انظر المرجع السابق لابن هشام الصفحة رقم ٢٣٠، رواه البخاري في صحيحه: (٢٩٣٠)، ومسلم في صحيحه: (١٧٧٦)، والترمذي في سننه: (١٦٩٤).

(٢) سورة القمر، الآيات: [٤٤ - ٤٦].

(٣) انظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن الكريم الجزء رقم ٢٦.

٥ - أن الله سيستقم منهم يوم البطشة الكبرى في بدر.

وقد تم ذلك فعلاً وتحققت نبوءة القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢﴾ رَبَّنَا اكشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنِ ﴿١٥﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٦﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٧﴾﴾^(١).

وسبب نزول هذه الآيات: أن المشركين لما عتوا وطمغوا وتمردوا على رسول الله ﷺ دعا عليهم فقال: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف» لعلهم يتوبون إلى الله ورسوله، فحل بهم القحط والعذاب^(٢).

هـ - تعرّض القرآن الكريم لبعض الحوادث الجزئية تقع لأشخاص معينين.

فهذا الوليد بن المغيرة المخزومي الذي قال الله تعالى فيه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهْدتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا ﴿١٦﴾ سَأرْهَقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُيِّلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُيِّلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَفَرٌ ﴿٢٦﴾﴾^(٣).

(١) سورة الدخان، الآيات: [١٠ - ١٦].

(٢) انظر زبدة التفاسير للإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي. ص ٥٦٣ الجزء الأول، المكتبة التوفيقية. إعداد عبد الرحيم محمد متولي الشعراوي الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

(٣) سورة المدثر، الآيات: [١١ - ٢٦].

والذي قال تعالى فيه أيضاً: ﴿وَلَا تَطْعَ كُلَّ حَلْفٍ مَّهِينٍ﴾ (١١) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ
بِنَمِيمٍ (١٢) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٣) عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٤) أَنْ كَانَ ذَا
مَالٍ وَبَنِينَ (١٥) إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٦) سَنَسِمُهُ عَلَى
الْخُرُطُومِ (١٧) (١).

وقد تحقق وعد القرآن الكريم فيه ففي غزوة بدر^(٢) ضُرب على أنفه
بالسيف فبقيت سمة أو علامة على أنفه كما أخبر القرآن الكريم بذلك:
﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾^(٣)، والخرطوم هو الأنف وسماه بذلك لبلادته كبلادة
الفيل ذي الخرطوم الطويل.

و - ثقة من الرسول ﷺ بنصر الله الذي وعده به في آيات كثيرة من
القرآن وهو في أحلك الظروف والمدينة محاصرة من قبل المشركين في
غزوة الأحزاب، واليهود خانوا الله ورسوله من داخل المدينة وهذا هو
القرآن الكريم يصف حالة المؤمنين فيقول: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٩) إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زُلْزَالًا شَدِيدًا (١١) (٤).

وفي غمرة هذه الأحداث يشارك النبي ﷺ في حفر الخندق حول المدينة
فتعرضهم صخرة ولننظر إلى موقف الرسول ﷺ في هذه الحادثة كما يلي:
روى النسائي بحديثه قال: لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عَرَضَتْ

(١) سورة القلم، الآيات: [١٠ - ١٦].

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام، المرجع السابق رقم الصفحة: (١٢٠).

(٣) سورة القلم، الآية: [١٦].

(٤) سورة الأحزاب، الآيات: [٩ - ١١].

لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾^(١). فنذر ثلث الحجر وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ فنذر الثلث الآخر فبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ فنذر الثلث الباقي وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس. قال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت، ما تضرب ضربة إلا كانت معها برقة؟ قال له رسول الله ﷺ: «رأيت ذلك يا سلمان؟» فقال: إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله، قال: «فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها، ومدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني»، قال له من حضره من أصحابه: يا رسول الله، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرّب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ، «ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني»، قالوا: يا رسول الله، ادع الله أن يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرّب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ، «ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى حتى رأيتها بعيني»، قال رسول الله ﷺ عند ذلك: «دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم»^(٢).

وعن البراء قال: لما أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عُرِضَتْ لَنَا صَخْرَةٌ لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ فَاشْتَكِينَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَاءَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَلْقَى ثُوبَهُ وَأَخَذَ الْمَعُولَ وَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ»، فَضْرَبَ ضَرْبَةً

(١) سورة الأنعام، الآية: [١١٥]

(٢) انظر السيرة النبوية لابن كثير الجزء الأول طبعة دار الكتب العلمية - بيروت صفحة رقم ٦٢٨ -

فكسر ثلث الصخرة ثم قال: «الله اكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إنني لأبصر إلى قصور الحمراء الآن من مكاني هذا» قال ثم ضرب أخرى وقال: «بسم الله» فكسر ثلثاً آخر ثم قال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إنني لأبصر قصر المدائن الأبيض»، ثم ضرب الثالثة وقال: «بسم الله» فقطع الحجر وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إنني لأبصر باب صنعاء»^(١). صححه أبو محمد عبد الحق^(٢).

فهذا رجلٌ مهاجر وكل الدنيا ضده ولا ملجأ له إلا الله سبحانه وتعالى يخبر الناس بهذه الفتوحات لأقوى الدول وقد تحقق ذلك فعلاً بعد مدة وجيزة وأصبحت هذه البلاد بلاداً إسلامية تؤمن بالله وحده وبمحمد عبده ورسوله ﷺ.

٣ - بيان بعض الحقائق العلمية القاطعة^(٣):

العلم: إما فرضيات أو علوم يقينية.

أ - الفرضية قد تكون صحيحة أو خاطئة كقولهم: انفصلت الأرض عن الشمس فهذه تحتمل الخطأ والصواب ولا يمكن إثباتها بالتجربة، ولذلك فهي ليست حقيقة علمية فإن وافقت القرآن فهي صحيحة وإن خالفت القرآن فهي خاطئة، والقرآن هو الصواب لأنه تنزيل من خالق الكون وما فيه من أجرام سماوية، فنظرية بطليموس التي تقول: «إن الشمس تدور حول الأرض» هي خاطئة بعد أن أثبت العلم الحديث عكس ذلك حيث أن الأرض هي التي تدور حول الشمس.

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٣٠٣/٤)، وفي تاريخ بغداد: (٣٩/١٠٦/١).

(٢) انظر السيرة لابن هشام. تعليق عبد السلام محمد هارون مكتبة السنة الطبعة السادسة الصفحة ١٦٨ - ١٦٩.

(٣) لزيادة الفائدة انظر النظريات العلمية وموافقتها للكتاب والسنة. صلاح الدين الخطاب الطبعة الأولى بدون تاريخ.

ب - أما العلم اليقيني فهو ما يمكن إثباته بالتجربة كقولنا:

الشجر يوقد بالنار قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مُوقِدُونَ﴾ (١).

وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٢).

أي: اشتعلت ناراً، وقد أثبت العلم الحديث أن الماء يتألف من غازي الهيدروجين والأكسجين ويمكن فصلهما من الماء بالتحليل الكهربائي وهما غازان أحدهما يشتعل وهو الهيدروجين والآخر يساعد على الاشتعال وهو الأكسجين.

ومن الحقائق العلمية قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

والآية الأخيرة تشير إلى تناقص كمية الأكسجين كلما ارتفعنا في الغلاف الجوي إلى الأعلى، حتى تنعدم فيضيق الصدر كلما ارتفعنا إلى السماء.

(١) سورة يس، الآية: [٨٠].

(٢) سورة التكوير، الآية: [٦].

(٣) سورة فصلت، الآية: [٥٣].

(٤) سورة الأنعام، الآية: [١٢٥].

نشأة الكون:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَفَضَّلْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾^(١).

ويقول العلماء: إن مادة الكون بدأت غازاً مُتَشَرِّباً في الفضاء بانتظام ثم تكونت منها المجموعات الفلكية من تكاثف هذا الغاز وهذه النظرية موافقة للآية الكريمة ولم يكن الكون غباراً كما ظن بعض العلماء قبل أن يعرفوا نظرية انقسام الذرة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتَلَوْنَهَا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١٦﴾﴾^(٢).

فكلمة أصغر في الآية تشير إلى تحطيم وتقسيم الذرة، وقد تمكن العلماء اليوم من تقسيم الذرة فاخترعوا القنبلة الذرية والهيدروجينية بعد أن كان الرأي السائد قبل هذا التاريخ أنه لا يمكن تقسيم الذرة.

الجنين في بطن أمه مغطى بثلاثة أغشية:

لا ترى بالعين المجردة وقد اكتشفها الطب الحديث اليوم وذكرها القرآن الكريم قبل ذلك بقرون، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَنْزَلَ خُلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصِرُّونَ ﴿٦﴾﴾^(٣).

(١) سورة فصلت، الآيات: [١١ - ١٢].

(٢) سورة يونس، الآية: [٦١].

(٣) سورة الزمر، الآية: [٦].

فالظلمات الثلاث هي الأغشية الثلاثة .

● اختلاف بصمات الإنسان :

أثبت العلم الحديث اختلاف البصمات في أصابع البشر فلا تشبه بصمة إنسان بصمة إنسان آخر . وتمكّن العلماء بواسطة ذلك من التعرف على الأشخاص من بصماتهم لأن بشرة الأصابع مغطاة بخطوط دقيقة تدل عليهم ، قال تعالى : ﴿ اِيْحَسَبُ الْاِنْسَانُ اَلَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ ﴾ (٣) ﴿ بَلَى قَدْرِيْنَ عَلَيَّ اَنْ تُسَوِّىَ بَنَانَهُ ﴾ (٤) ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْاِنْسَانُ لِيَفْجُرَ اَمَامَهُ ﴾ (٥) ﴿ يَسْئَلُ اَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ (٦) ﴿ (١) .

● المطر والبرّد :

قال تعالى : ﴿ اَللّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ فَتُحْمَلُ السَّحَابَ فِيْ سَطْحِهِ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَاِذَا اَصَابَ بِهِ مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ اِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُوْنَ ﴾ (٤٨) ﴿ وَاِنْ كَانُوْا مِنْ قَبْلُ اَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِيْنَ ﴾ (٤٩) ﴿ فَاَنْظُرْ اِلَى اَثَرِ رَحْمَتِ اللّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا اِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتُوْٓى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴾ (٥٠) ﴿ (٢) .

فالمياه تتبخر على شكل سحب طبقي فتتمتد بشكل أفقي في السماء لكنها لا تتكاثف إلا بوجود الرياح .

١ - وذلك لأن الرياح تظهر السحاب فأصبح يرى بشكل غيوم ، وكذلك تهيج هذا السحاب .

ومعنى كلمة تثير : تظهر وتهيج وتحرك (٣) .

وهناك شرط آخر : هو أن تكون بشكل قطع كبيرة من الغيوم منفصلة عن بعضها وقد تمتد القطعة مئات الكيلومترات . هذه القطع الممطرة ، مطرها هادىء

(١) سورة القيامة، الآيات : [٣ - ٦] .

(٢) سورة الروم، الآيات : [٤٨ - ٥٠] .

(٣) انظر مجمع البيان . المصدر السابق الصفحة [١٧١] .

يحمل البشرى للناس لا يصاحبه هواء ولا رعد ولا برق وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾^(١).

وهو من أنفع وأحسن وأهدأ أنواع المطر.

فمن أين جاء محمد ﷺ بهذا العلم؟ إنه تنزيل الحكيم العليم.

● السحاب الركامي وتكون البرق:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾^(٢).

يُساق بخار الماء بعضه إلى بعض في خط التجمع ثم يتآلف ثم يرتفع إلى الأعلى بسبب قوة الدفع من الأسفل لأن طبقات أخرى من الغيوم تحل تحت الطبقة العليا، فإذا أصبحت قوة الدفع ضعيفة بسبب الثقل العلوي تساقطت قطرات المطر إلى الأسفل. وهذا هو السحاب الركامي، ونظراً للبرودة يتكون الثلج المتجمع مع بعضه ضمن هذه الغيوم المتراكمة مكوناً البرد، وهذا البرد يتساقط بعضه على الأرض ويرجع الآخر مرتفعاً إلى الأعلى ضمن الغيوم ويدور فيها بسرعة فيشكل أقطاباً مختلفة بعضها موجب وبعضها سالب فتحدث الشرارات الكهربائية وهي اللمع التي يعقبها الرعد. والهاء في كلمة (سنا برقه) عائدة للبرد: أي برق البرد، فالبرق من البرد.

وقوله تعالى: ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣). إذا سقط على منطقة فيسبب الضرر لأهلها، ﴿وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٤). بإعادته ضمن الغيوم المتراكمة ليدور مشكلاً البرق.

(١) سورة الروم، الآية: [٤٨].

(٢)(٣)(٤) سورة النور، الآية: [٤٣].

وقد أكد القرآن هذه الحقيقة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ولم يكتشفها العلم الحديث إلا قريباً.

فمن أين جاء محمد ﷺ بذلك؟ إنه الوحي الإلهي وكلام العليم الحكيم، الذي أحصى كل شيء علماً.

● نقصان الأرض من أطرافها:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤١) (١).

قررت هذه الآية أن المسلمين سينتصرون على الكفار فيأخذون أراضيهم المتاخمة لأطراف بلاد الإسلام ويضمونها إليهم وبذلك تزداد دار الإسلام وتنقص أراضي دار الكفر.

لكن بعض العلماء اليوم يقولون:

أ - إنَّ أطراف الأرض هي قمم الجبال وهي أطراف رأسية.

ب - وسواحل البحار وهي أطراف سفلية.

فالخلجان التي تتشكل نتيجة لدخول البحر في البر وأطراف القارات واضحة فينتج نقص أطراف الأرض بسبب عوامل التعرية والنحت والائتكال والرياح، وكلها عوامل هدم لقمم الجبال وأطراف السواحل.

مادة داخل الأرض:

قال تعالى: ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ (٢) (٢).

(١) سورة الرعد، الآية: [٤١].

(٢) سورة الملك، الآية: [١٦].

يشير القرآن الكريم إلى أن ظاهر الأرض مؤلف من قشرة يقول العلماء إن سمكها من ٣٣ - ٧٤ كيلومتراً ولم يستطع الناس أن يحفروا داخل الأرض أكثر من ١٢ كيلومتراً. أما داخل الأرض فهو مواد مائعة مصهورة. فالغازات بالنسبة إلى ما في جوف الأرض من موائع كالسفن التي تجري على ظهر البحر، هذه السفن تحتاج إلى مراسي، والأرض لها مراس كذلك وهي الجبال، وتحت كل جبل من الجبال جذرٌ يمتد في باطن الأرض. والشكل الوتدي للجبل موجود في باطنها: قال تعالى: ﴿الَّذِي يَجْعَلُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾^(٢).

● قيادة الإنسان:

قال تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾^(٣).

فما الناصية؟ ولماذا كاذبة خاطئة؟

الناصية: مقدم الرأس من الإنسان فوق الجبهة، والجزء الجبهوي من المخ مسؤول عن قيادة الإنسان ولذلك يقطعون هذا الجزء من المخ في أوروبا وأمريكا لدى عتاة المجرمين بحيث يتمكن الناس من قيادتهم حتى الأطفال يستطيعون توجيههم.

(١) سورة النبأ، الآيتان: [٦ - ٧].

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: [٣١ - ٣٢].

(٣) سورة العلق، الآيتان: [١٥ - ١٦].

والآية تقول عن الناصية: كاذبة خاطئة، فكيف تكون الناصية كذلك وهي لا تنطق. فالمقصود من الناصية هو القسم من المخ المسمى بالفص الجبهوي، وكذلك كل الحيوانات التي لها مخ قيادتها من هذه الناحية وعلى هذا نفهم قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

وقول الرسول ﷺ: «اللهم أنت ربي وأنا عبدك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عدل في قضاؤك...»^(٢).

ج - موقف القرآن الكريم من العلوم الكونية:

١ - القرآن الكريم لم يجعل العلوم الكونية موضوعه لأنها خاضعة لقوانين عامة في هذا الكون، ولأن العامة لا يفهمونها وأن أمرها هيّن بسيط بالنسبة إلى ما يقصده القرآن من إنقاذ الإنسان وهداية الثقلين إلى سعادة الدنيا والآخرة. فالقرآن كتاب هداية وليس كتاب رياضيات أو طب أو فلك، وعندما يذكر شيئاً من الكونيات فذلك في سياق قدرة الله تعالى لهداية الإنسان إلى الحمد ودلالة الخلق على الخالق. قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾^(٣).

٢ - دعا القرآن للانتفاع بما في الكون من نعم وعبر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).

(١) سورة هود، الآية: [٥٦].

(٢) انظر الدعاء المأثور، والدعاء المستجاب للأدعية التي وردت عن رسول الله ﷺ في صحيح البخاري ومسلم، باب الأدعية.

(٣) سورة المائدة، الآيتان: [١٥ - ١٦].

(٤) سورة يونس، الآية: [١٠١].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّتِيلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾^(١).

٣ - هذه الكونيات لها رب وهو الله تعالى نفى الصفات التي خلعها الضالون عليها وذلك عندما عبدوا بعض مظاهر الطبيعة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾^(٢).

وهذه الكونيات هالكة: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾^(٣).

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٤﴾﴾.

ويقول أيضاً: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾^(٥).

٤ - لا توجد حادثة علمية كونية تحدث عنها القرآن الكريم، إلا وأتت صحيحة قطعاً وقد أظهر العلم الحديث ذلك كما في الأمثلة السابقة.

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: [٣٣ - ٣٤].

(٢) سورة فاطر، الآية: [٤١].

(٣) سورة القصص، الآية: [٨٨].

(٤) سورة إبراهيم، الآية: [٤٨].

(٥) سورة الزمر، الآية: [٦٧].

٥ - أسلوب القرآن أسلوب بياني معجز عند التحدث عن العلوم الكونية بعكس الأسلوب العلمي البشري، وكل جيل يفهم منه ما يوافق علوم عصره. وتبقى الحقيقة القرآنية في أعلى درجات الصدق والإعجاز. يقول تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) (١).

ويقول سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنَ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) (٢).

فقد روي عن الحسن البصري: أنه فسر الزوجين بالليل والنهار والسماء والأرض والشمس والقمر والبر والبحر والحياة والموت... وهكذا عدّد أشياء وقال كل اثنين منها زوج.

أما المتأخرون ففهموا من ذلك أن الزوجين هما المتقابلان بالذكرورة والأنوثة فما من شيء في هذا الوجود إلا ومنه ذكر وأنثى كالإنسان والحيوان والنبات والجماد. والذكرورة والأنوثة بالجماد ضمن الذرات في البروتونات والإلكترونات، فالبروتون ذو شحنة موجبة والإلكترون ذو شحنة سالبة معاكسة، وهكذا وبكل دقة يقرر القرآن الكريم أن كل ما في الوجود ذكر وأنثى.

٦ - إنّ مهمة القرآن الكريم وسائر الكتب السماوية ليست البحث في العلوم الكونية والمسائل الفنية على النحو المألوف في الكتب الخاصة الموضوعية فيها.

٧ - كانت جزيرة العرب عند نزول القرآن الكريم مليئة بالعقائد الفاسدة والعلوم الكونية الخاطئة فجاء القرآن الكريم، فصحح كل ذلك فأبدل الشرك

(١) سورة الذاريات، الآية: [٤٩].

(٢) سورة يس، الآية: [٣٦].

بالتوحيد، وصحح نظرة العرب إلى الملائكة إذ كانوا يعتقدون أنها بنات الله. قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩) ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (٢٠) (١).

كما جاء القرآن الكريم يدعو إلى مكارم الأخلاق، قال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

٨ - وضع القرآن الكريم قواعد التفكير السليم، وهذا ما توضحه الآيات الكريمة المحكمة قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٧٠) (٢).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٤٤) (٣).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ (٢٧) ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) (٤).

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُنشِئَنَّ لَكُمْ وَنَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا

(١) سورة الزخرف، الآيتان: [١٩ - ٢٠].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٧٠].

(٣) سورة المائدة، الآية: [١٠٤].

(٤) سورة فاطر، الآيتان: [٢٧ - ٢٨].

أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُنُوفِّ وَمِنْكُمْ مَن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ
مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ
وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي
الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴿١﴾ .

٤ - فصاحة عباراته ومثانة تراكيبه:

في كل آيات القرآن وكلماته فصاحة في العبارات ومثانة في التراكيب .
قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴿٢﴾ إِن
شَانِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ ﴿٢﴾ .

وأيضاً بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا
كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴿٣﴾ .

وإلى آخر ما هنالك في كل آيات القرآن العظيم وكلماته .

٥ - نظمه البديع:

القرآن الكريم ليس نثراً ولا شعراً ولا يشبه أي كلام من كلام الخلق بل
هو نسيج فريد لأنه من عند الله تعالى .

وفي صحيح مسلم أن (أنيساً الغفاري) أخا أبي ذرّ: قال لأبي ذرّ:
لقيت رجلاً بمكة على دينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس،

(١) سورة الحج، الآيات: [٥ - ٧] .

(٢) سورة الكوثر، الآيات: [١ - ٣] .

(٣) سورة المؤمنون، الآيات: [١٠١ - ١٠٤] .

قال يقولون: شاعر، ساحر، كاهن، وكان (أنيس) أحد الشعراء قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرء الشعر (يريد أنواعه وبحوره) فلم يلتئم على لسان أحد منهم أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون^(١).

وأخرج ابن إسحاق في السيرة^(٢): أن أبا جهل قال في ملاء من قريش: لقد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم لنا رجلاً عالماً بالشعر، والكهانة، والسحر، فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال (عتبة بن ربيعة) - وكان من أشرف القوم وسادتهم -: أنا أقوم إليه وأكلمه! فاتاه فقال: يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب؟ أنت خير أم عبد الله؟ فلم تشتم آلهتنا وتضللنا؟ فإن كنت تريد الرياسة، عقد لك اللواء فكنت رئيسنا، وإن كنت تريد النساء زوجناك ما تشاء منهن، تختار من أي بنات قريش ما شئت، وإن كنت تريد المال جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنانا وأكثرنا مالا، والنبي ﷺ ساكت لا يجيبه، فلما فرغ من عرضه، قال له النبي ﷺ: «أفرغت؟»، قال: نعم، قال: «فاسمع إذا»، فتلا عليه سورة فصلت ﴿حَمَّ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كُنْتُ فُصِّلْتُ ءَايَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)﴾^(٣). الخ. حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾^(٤). فأمسك عتبة على

(١) صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ ١٢٦٥ - (٢٤٧٣/١٣٢). إصدار دار الفكر لبنان ط ٢٠٠٠م.

(٢) انظر كتاب السيرة لأبي إسحاق محمد بن إسحاق المطلبي. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ٤ أجزاء ط. القاهرة بدون تاريخ. يراجع السيرة لابن هشام تحقيق - عبد السلام هارون - مكتبة السنة ط ١٩٨٩م.

(٣) سورة فصلت، الآيات: [١ - ٤].

(٤) سورة فصلت، الآية: [١٣].

فيه وناشده بالرحم أن يكفّ. ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش، فلما احتبس عنهم قالوا: ما نرى عتبه إلا قد صبأ! فانطلقوا إليه وقالوا: يا عتبه ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت، فغضب ثم قال لهم: والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بكهانة، وقد ناشدته بالرحم أن يكفّ خشية أن ينزل بكم العذاب، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب.

قال العلامة القرطبي رحمه الله^(١):

وإذا اعترف عتبه على موضعه من اللسان، وموضعه من الفصاحة والبلاغة، بأنه ما سمع مثل القرآن قطّ، كان في هذا القول، مقراً بإعجاز القرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه.

٦ - اتساق نظريات القرآن وأحكامه:

في القرآن الكريم ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية مع البسمة، وقد مضى على نزول هذا الكتاب الكريم أكثر من أربعة عشر قرناً ولم يوجد فيه حكم يخالف حكماً أو أمر يخالف أمراً، وهذا يدل على أن منزله واحد بواسطة ملك واحد وهو جبريل عليه السلام على نبي واحد وهو محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢).

وكقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٣).

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرج الخزرجي الأنصاري القرطبي المفسر المتوفى ٦٧١ هـ دار الكتب العربي القاهرة بدون تاريخ.

(٢) سورة النساء، الآية: [٨٢].

(٣) سورة محمد، الآية: [٢٤].

ولقد كانت أمم الأرض ترى أن الكون عدو للإنسان وأن آلهة متعددة تتحكم في هذا الوجود وتتصارع فهذا إله الموت، وذاك إله الحب وآخر إله الحرب... فعلى سبيل المثال كانت آلهة الديانة المجوسية بفارس تؤمن بوجود إلهين: إله النور وإله الظلام، وقد تغلب إله الظلام على إله النور فعمت الشرور وانتشر الفساد ولذلك دعا كهنتهم إلى مساعدة إله النور ضد إله الظلام: عن طريق إشعال النيران فبنوا لذلك المعابد الضخمة التي خصصت لإشعال النيران وعبادتها ليلاً ونهاراً فهذا هو الجهل المطلق بالإله الواحد الأحد الفرد الصمد. كما اقترحوا أساليب كثيرة لهذه الغاية منها:

قال بعضهم: سبب الشر في الكون هم الناس ولهذا دعا إلى القضاء على البشرية بعدم مساعدة الفقراء كي يموتوا جوعاً، كما أنه دعا إلى العمل يوماً واحداً في الأسبوع وتعطيل ستة أيام فيقل الغذاء ويموت الناس.

وآخر منهم قال: سبب الشر الأموال والنساء فدعا إلى الإباحة بهما والمشاع فأباح زواج الأخوات والبنات والأمهات... إلى آخر ما هنالك من فلسفات ضالة عن الحق ومعادية للأخلاق والضمير.

لذا لا بد من استعراض سريع لنظرية الإسلام عن الكون والإنسان والحياة وبيجاز شديد:

أولاً: هذا الكون من خلق الله وليس وليد الصدفة وكذلك الإنسان من مخلوقات الله تعالى. فهما مشتركان في هذه الظاهرة. ولهذا فالكون صديق للإنسان وليس عدواً له.

ثانياً: هذا الكون مسخر للإنسان يعمل فيه ويتصرف ليعيش. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾^(١).

(١) سورة لقمان، الآية: [٢٠].

ثالثاً: الإنسان مستخلف في هذا الوجود ليعمره بالعمل الصالح في الدنيا ليفوز بالآخرة . قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣٩) (١).

وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) (٢).

رابعاً: الإنسان أكرم المخلوقات في هذا الوجود قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٣) (٣).

وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) (٤).

وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) (٥).

وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ (٦) (٦).

خامساً: الكون خاضع لنظام محكم وكذلك الإنسان:

- (١) سورة فاطر، الآية: [٣٩].
- (٢) سورة الحديد، الآية: [٧].
- (٣) سورة الإسراء، الآية: [٧٠].
- (٤) سورة التين، الآية: [٤].
- (٥) سورة البقرة، الآية: [٣٠].
- (٦) سورة الرحمن، الآيات: [١ - ٤].

قال تعالى: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمَّ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (٢).

سادساً: الناس كلهم من أصل واحد: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَالَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (٣).

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (٤).

سابعاً: الناس جميعاً لهم عقول عليهم أن يفكروا بها: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (٥).

ثامناً: تركيب هذا الكون عجيب غريب يدعو إلى الدهشة وينفي فكرة المصادفة ويؤكد فكرة النظام والتدبير. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا

(١) سورة الأعراف، الآية: [٥٤].

(٢) سورة يس، الآيات: [٣٧ - ٤٠].

(٣) سورة النساء، الآية: [١].

(٤) سورة الحجرات، الآية: [١٣].

(٥) سورة الأعراف، الآية: [١٧٩].

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾^(١). وكذلك حياة الإنسان تدعو للدهشة.

قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾^(٣).

تاسعاً: التجمع في الإسلام يقوم على أساس العقيدة وهي رابطة تتجاوز الحدود والأشكال والألوان والقرباب والنسب، وبها تبدو الإنسانية وحدة متماسكة بعكس غيرها من الروابط الزائفة الزائلة.

أما نظرة الإسلام إلى الحياة فتتلخص فيما يلي:

أ - استثمار ما أودعه الله في الكائنات من طاقة.

ب - عمارة الأرض كما أمر الله.

ج - يجب أن تقوم الحياة على التصور الصحيح المستمد من الوحي، لا على مجرد مبادئ العقول التي تضل كثيراً. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾^(٤).

(١) سورة البقرة، الآية: [١٦٤].

(٢) سورة الطور، الآيتان: [٣٥ - ٣٦].

(٣) سورة الذاريات، الآيات: [٢٠ - ٢٣].

(٤) سورة الشورى، الآية: [٥٢].

د - كل شأن من شؤون الحياة يجب أن يكون وفق شرع الله في الأسرة والمجتمع والحرب والسلام والصحة والمرض

وبذلك يتحقق التوازن في حياة البشر فلا يطغى جانب على جانب كما نجد في هذه الأيام من انتشار موجة المادية وخاصة في المجتمعات الغربية التي تدمر باسم العدل وتستعمر الأمم والشعوب باسم حماية حقوق الإنسان. ولهذا يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١) (١).

٧ - تأثيره وفاعليته بالأفئدة:

فقصة إسلام عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما خير دليل على ذلك .

كما أن المشركين الذين تعاهدوا على عدم سماع القرآن فجر الرسالة المحمدية كانوا يتسللون ليلاً ليسمعوا تلاوة النبي ﷺ وأصحابه، فقد قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿فَلَنَذِيقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧) (٢).

قصة إسلام عمر (٣):

خرج عمر غاضباً متوشحاً سيفه يريد قتل النبي ﷺ لما كان يكنه من العداوة للرسول ﷺ وللمسلمين، فالتقى به أحد الناس وقال له: إلى أين يا عمر؟، قال: إلى محمد الذي عاب آلهتنا وسفّه أحلامنا وفرّق جماعتنا لأقتله. فقال له: عليك بأهل بيتك أولاً، فقد أسلمت أختك فاطمة وزوجها، فرجع غضباناً إلى أخته وزوجها فسمعوا هممته فاختبأ الزوج

(١) سورة المؤمنون، الآية: [٧١].

(٢) سورة فصلت، الآيات: [٢٦ - ٢٧].

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام، تعليق عبد السلام هارون، صفحة رقم ٧٢-٧٣-٧٤ مكتبة السنة. الطبعة السادسة ١٩٨٩م

وكانا يقرآن في صحيفة من القرآن الكريم، فقال: ماذا كنت أسمع؟ فقالت: لم تسمع شيئاً. فضربها، فقالت له: إني قد آمنت بالله وبرسوله. فقال: أعطني الصحيفة، قالت: إنك نجس على شركك، فاذهب فاغتسل أعطكها، ففعل فأعطته الصحيفة وكان بها أول سورة طه فقرأ: ﴿طه﴾ (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرًا لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَارِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لِزُرَيْكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نَسِيحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذُوكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّا كُنَّا بِمَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

قَالَ قَدْ أُوتِيَتْ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣٦﴾ (١).

فقال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، فخرج زوج أخته وقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك عمرو بن هشام وعمر بن الخطاب».

فقال: دلوني على محمد لأسلم، قالوا: هو في دار الأرقم. فذهب إليه فلما رآه المسلمون قالوا: هذا عمر جاء يريد شراً. فقال رسول الله ﷺ: «ائذنوا له فإن كان يريد خيراً بذلناه له وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه»، ولما دخل أمسك النبي ﷺ بعباءته وجذبه إليه جذباً شديداً وقال له: «ما جاء بك يا ابن الخطاب، لئن لم تنته لينزلن الله بك قارعة» فقال عمر: جئت لأسلم وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فكبر المسلمون حتى ضج المكان بالتكبير (٢).

فهذا أثر من آثار القرآن في هداية الناس وفاعليته في قلوبهم.

إسلام سعد بن معاذ (٣):

وقريب من ذلك قصة إسلام سعد بن معاذ فلقد أرسل رسول الله ﷺ مصعباً بن عمير إلى المدينة يُعلّم الناس الدين ويقرئهم القرآن. فأخذ الإسلام ينتشر في بيوت المدينة وذات يوم وبينما كان سعد بن معاذ ومعه جماعة من بني عبد الأشهل جالسين وعلى مقربة منهم مصعب بن عمير ومعه جماعة من المسلمين من عشيرة سعد بن معاذ. فقال سعد لأبيد بن

(١) سورة طه، الآيات: [١ - ٣٦].

(٢) المرجع السابق السيرة النبوية لابن هشام صفحة رقم ٧٤.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن كثير. مطبعة دار الكتب العلمية. تصحيح أحمد عبد الشافي الصفحة ٣٣٢ مجلد واحد بدون تاريخ.

حضير: اذهب إلى هؤلاء فأبعد مصعباً وقل له: لقد بلغت بكم الجرأة أن تغشونا في ديارنا فذهب غاضباً فقال له مصعب: إن شئت فاجلس حتى نحدثك، فإن أعجبك حديثنا فهذا ما نريد، وإن لم يعجبك تركناكم وانصرفنا. فجلس فحدثه مصعب عن الإسلام وقرأ عليه القرآن الكريم فأسلم وعاد إلى سعد ضاحكاً. فقال سعد لمن حوله: أقسم لكم إن أسيداً عاد بغير الوجه الذي ذهب به، ثم قال له: ما شأنك؟، فقال: وجدت أناساً يتهجمون على ابن خالتك أسعد بن زرارة فأردت ألا أزيد عليهم فرجعت. فقام سعد غاضباً وذهب إلى مصعب ففعل معه كما فعل مع أسيد ثم عاد إلى قومه يقول لهم: كلام رجالكم ونسائكم حرام عليّ حتى تؤمنوا بمحمد ﷺ، فأمنوا عن بكرة أبيهم.

هذا هو تأثير القرآن الكريم في نفوس الناس لأنه كلام رب العالمين.

توبة الفضيل بن عياض^(١):

يروى في سبب توبته أنه عشق جارية فواعدته ليلاً فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٢).

فرجع القهقري وهو يقول: بلى والله قد آن. فأواه الليل إلى خربة وفيها جماعة وبعضهم يقول لبعض إن فضيلاً يقطع الطريق. فقال الفضيل: أواه أراني بالليل أسعى في معاصي الله وقوم من المسلمين يخافونني - اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي إليك جوار بيتك الحرام.

(١) الفضيل بن عياض: انظر أسباب النزول للحافظ ابن كثير، في تفسيره لسورة الحديد الجزء السادس والعشرون من القرآن الكريم.

(٢) سورة الحديد، الآية: [١٦].

٨ - سمو تشريعه وشموله :

تناولت أحكام القرآن جوانب الحياة جميعاً في كل زمان ومكان وشملت كل الألوان والأجناس .

قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾^(١) .

وعلى الرغم من ظهور هذا التشريع في عصر الجاهلية والضلالة والظلمة وعبادة الأصنام إلا أنه كان وسيبقى أبداً أسمى التشريعات حتى في القرن الحادي والعشرين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) .

مزايا التشريع الإسلامي :

أ - مرونة المعايير الشرعية : المعايير الشرعية هي مصادر التشريع الأصلية من : قرآن، وسنة، وإجماع، وقياس؛ ومصادر التشريع الفرعية من : استحسان، واستصلاح، واستصحاب، وسد الذرائع، والعرف .

وكل هذه المصادر المرنة التي توافق جميع متطلبات التطور الحضاري قد ساقها الله عز وجل في كتابه الكريم بكلمة في قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾^(٣) .

فهي شاملة لكل أنظمة الحكم واختيار الحكام معاً في كل زمان ومكان .

(١) سورة الأنعام، الآية : [٣٨] .

(٢) سورة النحل، الآية : [٩٠] .

(٣) سورة الشورى، الآية : [٣٨] .

وإذا كانت النصوص من القرآن والسنة محدودة والحوادث غير محدودة فالقياس يحلّ كل هذه المشكلات، لأنه قياس فرع لم ينص على حكمه لأصل، نص على حكمه لاشتراكهما في نفس العلة كقياس حوادث السيارات اليوم على حوادث الدواب في السابق، وكقياس الأسماء الكثيرة من المشروبات المسكرة على الخمر لاتحادها في علة السُّكْرِ.

ب - الواقعية والمثالية في التشريع الإسلامي:

الواقعية تتجلى في الاستجابة لما تتطلبه غرائز الإنسان والمثالية تتجلى في نوعية الاستجابة وطريقة ممارسة هذه القوى المودعة وربطها بالمثل العليا.

ومثال ذلك: اعتراف التشريع الإسلامي بكل من حق الفرد وحق المجتمع، وعدم إهدار أيّ منها كتقديم حق الجماعة على حق الفرد عند التعارض، وهذه مثالية، ولكن يعوض الأفراد عن الضرر الذي ألحقه بهم المجتمع، وهذه واقعية، كما في حالة امتلاك دار لفتح شارع للناس.

ج - مبدأ العدل والإحسان:

- العدل أن يتقاضى كل ذي حقّ حقه كاملاً.

- أما الإحسان فهو أن يتنازل صاحب الحق عن حقه كلاً أو بعضاً كما في الدّين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٨٠) (١).

د - الوسطية والاعتدال:

الإسلام ليس روحياً محضاً، ولا مادياً صرفاً، بل هو وسط بينهما.

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٨٠].

قال تعالى: ﴿وَأَتَّبِعْ فِيمَا ءَاتَلَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبِغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) (١).

فالحسنة بين السيئتين، ففي مجال الإنفاق مثلاً البخل مذموم والإسراف مذموم، والتوسط في الإنفاق محمود بينهما.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (٢٩) (٢).

وقال تعالى: ﴿يَبْنَىٰ ءَادَمَ حُدُودًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) (٣).

٩ - التصوير والتشخيص الحي:

الصور التي يعرضها القرآن يمنحها الحركة والحياة فتبدو لك وكأنها متحركة ناطقة معبرة، اقرأ قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٤) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٥) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٧) وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ (٩) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (١١) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ (١٢) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَامَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ (١٤) (٤).

فالشمس تلف وتكور كالعمامة ويرمى بها جانباً، والنجوم تغور ويذهب ضوءها، والجبال تسير وتصبح كشيء مهيلاً وهباءً منبثاً، والنوق الحوامل في

(١) سورة القصص، الآية: [٧٧].

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٢٩].

(٣) سورة الأعراف، الآية: [٣١].

(٤) سورة التكوير، الآيات: [١ - ١٤].

شهرها العاشر تهمل وتترك بلا راع يرهاها والوحوش تجمع كلها في مكان واحد على اختلاف أصنافها وأشكالها... إلى آخره.

فتأمل هذه المشاهد العظيمة والصور المتحركة المتغيرة، وقرأ أيضاً قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾^(١).

أما مشهد القيامة في القرآن الكريم في سورة إبراهيم فالظالمون عيونهم شاخصة مسرعين في مشيتهم رؤوسهم مرفوعة ينظرون إلى الأعلى بذلة، قلوبهم طائرة من الفزع وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾^(٢).

١٠ - الأسلوب العجيب:

المخالف لجميع الأساليب العربية في شتى العصور منذ نزوله إلى يومنا هذا وسيبقى ذلك إلى قيام الساعة بفضل خصائصه ومنها:

- أ - المسحة اللفظية في نظام الصوت وجمال اللغة.
- ب - إرضاءه العامة والخاصة.
- ج - إرضاءه العقل والعاطفة معاً.
- د - جودة سبكه وإحكام سرده.
- هـ - البراعة في تصريف القول والتفنن في ضروب الكلام.
- و - جمعه بين الإجمال والبيان.

(١) سورة يس، الآيتان: [٢٠ - ٢١].

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: [٤٢ - ٤٣].

ز - الوفاء بالمعنى مع الاقتصاد في اللفظ .

ولنأخذ على ذلك بعض الأمثلة :

القرآن الكريم يخاطب العقل بالإقناع والحجة والمنطق فيقول تعالى :

﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ مِنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِينَ آحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٩) (١) .

وقال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ

الْحَبِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١) (٢) .

القرآن الكريم يسوق العظات للناس في ثنايا القصص ، كقصة يوسف

ليكون الإنسان عفيفاً شريفاً أميناً .

قال تعالى : ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ

الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢٣) (٣) .

١١ - الإيجاز الرائع :

فهو يعبر بأقل التراكيب عن أوسع المعاني :

يروى أن الأصمعي (٤) سمع أبياتاً من الشعر من جارية فقال لها : ما

(١) سورة فصلت، الآية: [٣٩].

(٢) سورة ق، الآيات: [٩ - ١١].

(٣) سورة يوسف، الآية: [٢٣].

(٤) الأصمعي: هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب. إمام في الشعر والغريب. مات سنة ٢١٦هـ.

انظر كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة من صفحة ٢١٣ إلى ٢٧٦.

أفصحك! فقالت له: هل يعد هذا فصاحة مع قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) (١).

فقد جمعت الآية بين أمرين ونهيين وبشارتين.

ويروى أن ابن المقفع (٢) الأديب المشهور حاول أن يعارض القرآن الكريم فسمع صبياً يقرأ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٤) (٣).

فكسر الأقلام ومزق الصحف وقال: هذا والله مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله.

اقرأ معي قوله تعالى تجد الجزالة والبيان في أوجز الكلمات:

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

وقال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥).

وقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَسَخَّلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٩٢) ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٣) (٦).

١٢ - الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم:

القرآن كلام الله تعالى وهو يخاطب جميع الأجناس والأقوام في شتى

(١) سورة القصص، الآية: [٧].

(٢) هو محمد بن عبد الله بن المقفع: انظر تاريخ الفلسفة في الإسلام ص ٢٢. طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ط ١٩٣٨ م.

(٣) سورة هود، الآية: [٤٤].

(٤) سورة السجدة، الآية: [١٧].

(٥) سورة الزخرف، الآية: [٧١].

(٦) سورة الحجر، الآيتان: [٩٢ - ٩٣].

حالاتهم النفسية التي يمرون بها فهو يخاطب الحزين والغضبان، والحاكم والمحكوم، والعربي والعجمي، والذكر والأنثى، والمتعصب والمعتدل... وإذا دخلت إلى حلقة يتلى فيها القرآن بمسجد من المساجد وجدت فيها أكثر من مرّ ذكرهم وكلهم معجب بهذا القرآن وراضٍ به، بينما لا يستطيع أي شخص أن يخاطب بكلامه فئات مختلفة من الناس وهم في ظروف نفسية متباينة بكلام واحد يعجبهم جميعاً ويرضون عنه كلهم. فلا يستطيع أن يرضي المتعلمين والأمين والسعداء والمحزونين بكلام واحد في آن واحد.

فالله سبحانه أعلم بمخلوقاته من علمهم بأنفسهم وقد كان أبو بكر الصديق إذا مدحه أحدهم قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ولا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون.

ولهذا فإن السعيد يجد في القرآن ما يكمل سعادته، والحزين يجد فيه ما يخفف حزنه. والمصاب يجد فيه ما يهون عليه مصابه، والمتعلم يجد فيه ما يزداد به علماً.

وإذا سألت شخصاً ما الذي أعجبك في القرآن؟ فإنه يجيب جواباً عاماً مختلفاً عن غيره لبيان تأثير القرآن في كل النفوس، فكل النفوس تتأثر بهذا القرآن الكريم.

وقد عرف المشركون ذلك وخشوا الاستماع إليه لتأثيره في نفوس الأصدقاء والأعداء.

وقد بين لهم القرآن الكريم أنه يتألف من حروف هي حروفهم فبضاعته نفس بضاعتهم، وكلماته نفس كلماتهم. فلماذا لم تأتوا بكتاب مثله؟ فقالوا: إن الله صرفنا عن ذلك، فاعترفوا بهزيمتهم أمامه، لكنهم نسبوا ذلك إلى الصرفة عنه. ثم قالوا: إن هذا القرآن من عند محمد ﷺ لا من عند

الله تعالى . ولو أنه نُزِلَ لَنَزَلَ عَلَى أَحَدِ رَجُلَيْنِ عَظِيمَيْنِ هُمَا عَمْرُو بْنُ هِشَامٍ (أبو جهل) وعروة بن مسعود الثقفي لآمنا به، لأن محمداً شخص فقير وليس من عظمائهم ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣١) أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ (١) .

ثم أخذوا يطعنون في محمد ﷺ فيقولون عنه إنه شاعر كاهن، ساحر، فقير، وهم يعلمون الفرق بين القرآن والشعر ولهذا رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (٤١) (٢) .

وهذا هو الكفر وستر الحقائق وإخفاؤها، ولأن للشعر قواعد معروفة فلا تخفى على من يهتم بالشعر .

وقالوا عن الرسول ﷺ إنه كاهن وهم يعلمون الفرق بين القرآن وكلام الكهان، ولذا رد عليهم بقوله: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٢) (٣) .

ولأن الكاهن ينسى ما يقوله فاستعمل كلمة تذكرون .

وقالوا عن الرسول ﷺ أنه ساحر أتى به فلماذا لم يستعملوا السحر ويأتوا بمثله .

وكذلك قالوا عنه مفتر ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَاتَّقُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلَهُ مُفْتَرِيَّتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٣) (٤) . فافتروا كما افتري بزعمكم .

(١) سورة الزخرف، الآيتان: [٣١ - ٣٢] .

(٢) سورة الحاقة، الآية: [٤١] .

(٣) سورة الحاقة، الآية: [٤٢] .

(٤) سورة هود، الآية: [١٣] .

والانتقال من النثر إلى الشعر بأقوال البشر يعرف مباشرة، ولكن في القرآن آيات موزونة وفقاً لموازين العروض ضمن سياق النصوص ولكن لا يشعر أي قارئ لكتاب الله أنه ينتقل من النثر إلى الشعر أو العكس كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأُولِينَ﴾ (٣٨) (١).

فعبارة: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وزنها: مستفعلن مستفعلن مستفعلن من بحر الرجز ولكن لا تحس بهذا الانتقال من الشعر إلى النثر لأن القرآن الكريم ليس شعراً ولا نثراً ولا خطابة ولا سحراً ولا كهانة، بل هو نسيج وحده لأنه كلام الله الواحد الأحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) (٢).

وهذا مثال آخر عن الكلام الموزون في القرآن الكريم، ولكن عندما يقرأه لا يحس القارئ بالانتقال من النثر إلى الشعر ومن الشعر إلى النثر. قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (٤٥) ﴿أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾ (٤٦) ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ﴾ (٤٧) ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ (٤٨) ﴿نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (٥٠) ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٥١) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾ (٥٢) (٣).

فعبارة: (نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم) موزونة كوزن الشعر ولا نحس بالانتقال من النثر إلى الشعر ثم من الشعر إلى النثر. أما افتتاح السور بالحروف المقطعة، فرجل أمي كمحمد ﷺ يذكر لهم

(١) سورة الأنفال، الآية: [٣٨].

(٢) سورة الشورى، الآية: [١١].

(٣) سورة الحجر، الآيات: [٤٥ - ٥٢].

اسم الحرف (ألف - لام - ميم - كاف - ها - يا - عين - صاد) والإنسان الأمي قد ينطق الكلام، وقد ينطق الشعر والنثر ولكنه لا يستطيع أن يأتي بالحروف التي تتكون منها الكلمات. فإذا سألت أمياً عن شيء فقلت له: ما هذا؟، فقال: هذا كتاب. فقلت له: ما أحرف كلمة كتاب؟ لا يستطيع أن يجيبك. هذا هو التحدي بهذه الأحرف. وقد عجزوا سابقاً أن يأتوا بمثل هذا القرآن، والآن يتحداهم القرآن بهذه الأحرف فيقول: هذه الأحرف أمامكم فألفوا منها قرآناً، فإن عجزتم فاعلموا أنه من عند الله تعالى.

ولما كان لكل مقام مقال، فكلام القرآن الكريم موافق لكل المقامات ولكل الأجناس ولكل الحالات في كل زمان ومكان.

وهذه بعض الأمثلة عن إعجاز القرآن الكريم في كلماته:

أ - قال تعالى في سياق غزوة بدر: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (١).

وقال تعالى في سياق غزوة أحد: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٢).

فقد قال في الأنفال: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ وقال في

(١) سورة الأنفال، الآية: [١١].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [١٥٤].

آل عمران: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ حيث قدم القرآن الكريم النعاس في الأنفال وفي سياق غزوة بدر لأن المسلمين كانوا خائفين ويتوقعون هجوم المشركين عليهم في كل لحظة وهم في حال تعب شديد، فغشاهم النعاس ليأمنوا من الخوف ويناموا لأن الخائف لا ينام.

أما في آية آل عمران فقد كانت المعركة محتدمة في أحد والمسلمون يقاتلون فأمנם أولاً، وغشاهم النعاس ثانياً حتى كان سيف أحدهم يسقط من يده ولا يشعر. فهنا الخوف موجود فعلاً وهنالك ببدر توقع الهجوم، فالخوف متوقع فهو يداعب أفكارهم.

ب - ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (١).

وقال: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٢).

ففي الأولى التحدي بالقرآن قدم الإنس على الجن لأن الرسول ﷺ من الإنس وجاء يتحداهم أولاً والجن تبع لهم.

أما في سورة الرحمن فقوة الجن أقوى من قوة الإنس وقدرة الجن على الحركة في الكون أقوى وأسرع ولذلك جاء ذكرهم أولاً.

ج - ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

(١) سورة الإسراء، الآية: [٨٨].

(٢) سورة الرحمن، الآية: [٣٣].

(٣) سورة آل عمران، الآية: [١٣٩].

وقال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلِكُمْ﴾ (٣٥) (١).

ففي الآية الأولى أمران غير جائزين منهي عنهما باستمرار ولذلك سبق الأمران بلا الناهية لكل منهما.

وأما في الآية الثانية: فقد استعمل «لا» الناهية بقوله (فلا تهنوا) ولم يستعملها مع (وتدعوا) فلم يقل (ولا تدعوا) لأنه لو قال ذلك لفهم منه أن الدعوة إلى السلم لا تجوز بكل حال مع أن القرآن الكريم أجاز السلم أحياناً ومنعه أحياناً حسب وضع المسلمين. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢٨) (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْعَلْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣) د - ومنه قوله تعالى في اليهود: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٤). فالعداوة تقع بين اليهود وتتأجج بشدة لأدنى الأسباب أما العداوة بين النصارى فهي ملصقة. فالغراء مادة لاصقة ولذلك العداوة لا تنفك عن النصارى. كما نجد ذلك بالواقع ﴿فَأَغْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (٥).

ه - ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (٦). وهذا في سياق غزوة بدر لأن المشركين كانوا في العراء بأرض مكشوفة.

- (١) سورة محمد، الآية: [٣٥].
- (٢) سورة البقرة، الآية: [٢٠٨].
- (٣) سورة الأنفال، الآية: [٦١].
- (٤) سورة المائدة، الآية: [٦٤].
- (٥) سورة المائدة، الآية: [١٤].
- (٦) سورة الأنفال، الآية: [١٢].

وقال تعالى في يهود بني النضير وقد كانوا متحصنين في حصون منيعة^(١) ولذلك كانوا لا يتوقعون الهزيمة مهما حاصرها المسلمون، ولهذا لم يكونوا خائفين، فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْدَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾﴾^(٢).

لذا قال: وقذف في قلوبهم الرعب، فكأنها طلقات وقنابل تقذف من بعيد ولكنها قنابل خوف تدخل إلى قلوبهم، ولذا استعمل كلمة (قذف) بينما استعمل في بدر (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب).

ومنه قوله تعالى في أموال السفهاء: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣﴾﴾^(٣).

وفي أموال القسمة: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٤﴾﴾^(٤). لأن (وارزقوهم فيها) أي تاجروا لهم فيها ونموها حتى لا يذهب أصلها. بينما في الآية الأخرى أعطوهم شيئاً من الميراث صدقة ولذلك قال: (منه)، وقال في الأولى (وارزقوهم فيها) وهذا هو الفرق.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٥﴾﴾^(٥).

(١) انظر أسباب النزول للنيسابوري من تفسير الطبري المختصر ص ٤٣٦ - دار الفجر الإسلامي - الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.

(٢) سورة الحشر، الآية: [٢].

(٣) سورة النساء، الآية: [٥].

(٤) سورة النساء، الآية: [٨].

(٥) سورة هود، الآية: [٣٦].

ويقول: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

فأما كلمة «يفعلون»: فالفعل يكون مقصوداً وغير مقصود بدليل قوله تعالى بعدها: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلُوكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(٢).

أما كلمة (يعملون): فالعمل لا يكون إلا مقصوداً. فقد ألقوا يوسف في الجب وقالوا عن أخيه: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣).

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾^(٤).

فاستعمل حرف السين (سيعلمون) لأنهم في الدنيا فالعلم بذلك قريب.

وأما قوله تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(٥) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ فقد استعمل. ﴿سوف﴾ وهي للزمن البعيد لذا استعملها لأن العلم بذلك سيكون بعد الموت لا قبله.

فالأمثلة السابقة نماذج للعلاقة بين الكلمة والكلمة، وهذا مثال مبسط للعلاقة بين السور.

ولنأخذ على سبيل المثال سورتي الضحى والشرح وهما سورتان متتابعتان في القرآن الكريم. رقم الأولى (٩٣) ورقم الثانية (٩٤).

قال تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ﴿١﴾ وَالْيَلِيلُ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدَكَ

(١) سورة يوسف، الآية: [٦٩].

(٢) سورة هود، الآية: [٣٨].

(٣) سورة يوسف، الآية: [٧٧].

(٤) سورة النبأ، الآيات: [٤ - ٥].

(٥) سورة التكاثر، الآيات: [١ - ٤].

يَتِيمًا فَتَاوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ
فَلَا نَفْهَرُ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا نَنْهَرُ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾^(١).

فقد امتن الله على رسوله محمد ﷺ بثلاث نعم هن:

- ١ - الاستقرار النفسي: ﴿الْمَّ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَتَاوَى ﴿٦﴾﴾.
- ٢ - الاستقرار الفكري: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾﴾.
- ٣ - الاستقرار الاقتصادي: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾﴾.

وقال تعالى في سورة الشرح: ﴿الْمَّ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ
وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾^(٢).

فقد امتن عليه بثلاث منهن أيضاً:

- ١ - شرح صدره: ﴿الْمَّ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾.
- ٢ - ووضع عنه وزره: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾﴾.
- ٣ - ورفع ذكره: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾.

وهي تقابل النعم الثلاث المذكورة في سورة الضحى. وهذه النعم الست ليس فوقها أي نعمة أخرى.

أولاً: يكفي النبي ﷺ رفعة أن يقرب اسمه مع اسم الله تعالى في الشهادتين: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله).

(١) سورة الضحى، الآيات: [١ - ١١].

(٢) سورة الشرح، الآيات: [١ - ٨].

وأن يذكر اسمه مع اسمه في الأذان، وفي الصلاة الإبراهيمية بعد التشهد وهل هنالك منزلة أعلى من منزلة رجل أمر الله بنص قرآنه بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٦) ﴿١﴾.

اللهم صل وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم:

البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال^(٢)، والكلام البليغ ما كان حسناً في مبناه وحسنه في معناه ومطابقاً لمقتضى الحال. ولا يكون الكلام بليغاً إلا إذا خلا: من فصيح ولا يكون الكلام فصيحاً إلا إذا خلا من العيوب الآتية:

أ - من تنافر الحروف مثل كلمة مستشزرات (مرتفعات).

ب - غرابة الكلمة مثل بُعاق (سحابة).

ج - مخالفة القياس النحوي والصرفي كقولهم: مَوْدَدَةٌ بدلاً من مودة.

وإذا تتبّعنا كلمات وآيات القرآن الكريم نجدّها كلها فصيحة بليغة: فهو دقيق اللفظ دقيق المعنى والتعبير... فلا نجد حرفاً زائداً بلا معنى وهذه أمثلة توضح ذلك:

١ - المثال الأول:

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) ولم يقل على الأرض لأن الغلاف الجوي المحيط بالأرض تابع لها فهو منها فعندما نسير على الأرض فنحن

(١) سورة الأحزاب، الآية: [٥٦].

(٢) الأدب والبلاغة، طه حسين. دار المعارف، منشورات التعليم والتربية. تاريخ الطبع ١٩٧٨م.

(٣) سورة الأنعام، الآية: [١١].

ضمن الأرض لأننا داخل الغلاف الجوي بين سطح الأرض والغلاف الجوي .

٢ - المثال الثاني :

في وصية لقمان لابنه، قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ اَقْرِمِ الصَّلٰوةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ﴾ (١٧) (١) .
لماذا وردت عبارة ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ لأن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يقف في وجهه المتسلطون والمتنفذون وهم أصحاب القوة فيؤذون ويحاربون .

٣ - المثال الثالث :

قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ﴾ (٢) .

وقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ اِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْاُمُوْرِ﴾ (٤٣) (٣) .

فالآية الأولى ليس فيها (لام) متصلة بـ (من) لأنه لا يوجد غريم لهذا الصابر فالأمر قضاء وقدر .

بينما الآية الثانية فيها (لام) متصلة بقوله (لمن عزم) لوجود الغريم لهذا المصاب فأضيفت اللام لكلمة (من) ويدل على ذلك كلمة (وغفر) أي غفر للغريم الذي اعتدى عليه .

٤ - المثال الرابع :

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْنُلُوْا اَوْلَادَكُمْ مِّنْ اِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَاِيَّاهُمْ﴾ (٤) . فالإملاق أو الفقر والعوز موجود هنا حقيقة، ولذلك قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَاِيَّاهُمْ﴾ فكما رزقناكم نرزقهم .

(١) (٢) سورة لقمان، الآية: [١٧] .

(٣) سورة الشورى، الآية: [٤٣] .

(٤) سورة الانعام، الآية: [١٥١] .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(١). فقد حرم الله وأد البنات خشية الفقر المتوقع وليس الموجود، لذلك قال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي: بسبب هؤلاء الضعفاء نحن نرزقكم.

ففي الآية الأولى: الفقر واقع موجود فعلاً. وفي الآية الثانية: الفقر متوقع وغير موجود فعلاً ولذلك اختلف التعبير ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾ و﴿نَرْزُقُهُمْ﴾.

٥ - المثال الخامس:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

وقال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾^(٤).

وإذا تتبعنا آيات القرآن الكريم نجد أن السمع يقدم على البصر، فلماذا؟ لأن السمع يعمل في الليل والنهار في الظلمة والضياء. أما البصر فلا يعمل إلا في النهار أو الضوء. ولذا فالإنسان يسمع ليلاً ونهاراً ولكنه لا يبصر إلا نهاراً، وهذا هو سبب التقديم.

١٤ - الإعجاز في رسم القرآن الكريم:

سيأتي مفصلاً في بحث مستقل إن شاء الله تعالى ص ٩٣.

١٥ - الإعجاز العددي في القرآن الكريم:

سيأتي أيضاً مفصلاً إن شاء الله تعالى ص ١٠٩.

(١) سورة الإسراء، الآية: [٣١].

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٣٦].

(٣) سورة النحل، الآية: [٧٨].

(٤) سورة السجدة، الآية: [٩].

معجزة القرآن الكريم مستمرة

في القرآن الكريم إعجاز لا ينتبه إليه العقل البشري إلا بعد أن ينشط ويكتشف المستور من حقائق الكون وقد يكون الإعجاز في كلمة منه أو في حرف من حروفه. وللقرآن الكريم عطاء لكل جيل يختلف عن الأجيال المقبلة. فالقرآن متجدد لا يجمد أبداً.

فالعبادات كالصلاة مثلاً محدّدة لا تتغير، فهي خمس مرات في اليوم والليله منذ أن فرضها الله على نبينا محمد ﷺ وحتى قيام الساعة فهذه الأحكام التكليفية لا تتغير فيها ولا تبديل.

أما الحقائق المتعلقة بحقائق الوجود وقوانينه فهي متجددة حسب ما وصل إليه كل جيل من العلم، وما فهم من قوانين الكون، مثل كروية الأرض والغلاف الجوي وعلم الأجنة وغير ذلك.

فالقرآن الكريم هنا يعطي لكل عقل قدر حجمه ويعطي لكل عقل ما يعجبه ويرضيه. فإذا ما كشف الله لنا عن سر جديد في الكون رجعنا إلى الآية الكريمة فنجدها تؤدي هذا المعنى الجديد.

أمثلة توضح هذا التجديد في علوم الكون:

أ - قال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (٩) (١).

ب - وقال: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَإِنِّي ءَأَلِئُكُمْ تَكْذِبَانَ ﴿١٨﴾﴾ (٢).

(١) سورة المزمل، الآية: [٩].

(٢) سورة الرحمن، الآيتان: [١٧ - ١٨].

ج - وقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ (٤٠) (١).

وقد فسرهما القدماء بما يلي:

- ١ - رب المشرق والمغرب: أي جهة الشرق والغرب فالشمس تشرق من الشرق وتغرب من الغرب.
- ٢ - رب المشرقين: مشرق الصيف والشتاء وكذلك المغربين مغرب الصيف والشتاء.
- ٣ - رب المشارق والمغارب: أي كل يوم تشرق من مكان وكذلك كل يوم تغرب في مكان.

وبعد تقدم العلم واكتشاف بعض الأسرار الكونية، فسر العلماء هذه الآيات على الشكل التالي مع بقاء تفسير العلماء القدماء معمولاً به:

- ١ - رب المشرق والمغرب: في الوقت الذي تشرق فيه الشمس على مكان تغرب عن مكان آخر وبنفس اللحظة. فالجهتان ليستا متقابلتين إحداهما بالشرق والأخرى بالغرب.
- ٢ - رب المشرقين ورب المغربين: الكرة الأرضية مقسمة إلى نصفين، نصف كرة شمالي ونصف كرة جنوبي. أي نصف كرة مضى ونصف كرة معتم. فالنصف المضى له مشرق ومغرب في آن واحد وكذلك نصف الكرة المعتم له مشرق ومغرب في نفس الوقت فهما مشرقان ومغربان في آن واحد.

- ٣ - رب المشارق والمغارب: إذا نظرنا إلى الكرة الأرضية نجد في كل جزء من الثانية مشرقاً تشرق فيه الشمس على مكان ومغرباً تغرب فيه

(١) سورة المعارج، الآية: [٤٠].

الشمس عن مكان آخر فهناك ملايين المشارق والمغارب .

وهذه المشارق والمغارب تحدث من دوران الأرض حول نفسها أما من دوران الأرض حول الشمس فتحدث الفصول الأربعة . وهذا يؤكد كروية الأرض ، إذ لو كانت الأرض منبسطة لما كان لها إلا مشرقٌ واحدٌ ومغربٌ واحدٌ ، وحينئذٍ لا يكون هناك مشارق متعددة ولا مغارب .

فعطاء القرآن في الأولى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ لم يبلغ عطاء القرآن في الثانية : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ، ولم يبلغ عطاء القرآن في الثالثة : ﴿ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ . والتقدم العلمي الذي غيّر كثيراً من المفاهيم عن الكون لم يغير شيئاً من كتاب الله تعالى فقد بقي كما هو . ويفيد المعنى الجديد الذي جاء به العلم بل إن العلم ليؤكد هذه الحقائق التي جاء بها هذا الكتاب الكريم .

تكفل الله بحفظ القرآن الكريم :

ولذلك سخر جميع الناس لحفظه مسلمهم وكافرهم . فهذا القرآن الكريم يطبعه أحياناً من لا يؤمن به كما نجد ذلك في أوروبا وأمريكا وأسيا وغيرها .

والسر في هذا أن هؤلاء مسخرون بأمر الله للقيام بهذا العمل ، حتى المسلم الذي لا يصلي ولا يصوم وحتى الملحد نجد القرآن في بيته أو مكتبه ليتحقق وعد الله بحفظه حيث يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) .

وقد حفظ الله هذا الكتاب الكريم لكل بني البشر بعد أن أصبحت الكرة

(١) سورة الحجر، الآية: [٩].

الأرضية بأسرها كمكان واحد، بعد الانفجار المعرفي والتقدم في وسائل الاتصالات. فما يحدث في مكان بعيد يصل في طرفة عين إلى كل أنحاء الدنيا. والسبب في ذلك واضح وبسيط وهو أن هذا الكتاب دستور الوجود ولا ينقذ الإنسانية التائهة الحائرة الضالة مما هي فيه إلا هذا الكتاب الكريم:

﴿ كُنْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٢٩) ﴿١﴾ .

﴿ وَإِنَّهُمْ لَذَكَرُوكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (٤٤) ﴿٢﴾ أي: عن تبليغه للبشرية

جمعاء وعن العمل به .



(١) سورة ص، الآية: [٢٩].

(٢) سورة الزخرف، الآية: [٤٤].

الإعجاز في رسم القرآن الكريم تعريفه - أنواعه - أسرارہ

- تعريفه: الرسم القرآني توقيفي، فقد كتبه كتّاب الوحي بين يدي النبي ﷺ في صحف، وهو يختلف عن الرسم الإملائي في أمور كثيرة لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى يظهر أثرها في التفسير وفي التلاوة وفي الإعجاز العددي وغير ذلك من الأمور المتجددة على مرّ العصور.

ولا زال هذا الرسم باقياً في المصاحف حتى يومنا هذا، وحتى قيام الساعة، لأن الله تكفل بحفظ كتابه الكريم بقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه جمع زيد بن ثابت رضي الله عنه هذه الصحف المتفرقة في مصحف واحد؛ وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت هذه الصحف عند حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فاستأذن منها الخليفة عثمان رضي الله عنه أن تعطيه تلك الصحف فأعطته إياها. ثم كلف زيد بن ثابت رضي الله عنه ومعه معاونوه لنسخ هذه الصحف، فكتبوا ونسخوا منها أربعة مصاحف أرسلت إلى: مكة، ودمشق، والعراق، وبقي مصحف عند الخليفة عثمان رضي الله عنه، وسمّي الرسم الذي كتبت به هذه المصاحف بالرسم العثماني، نسبة إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثم أمر الخليفة بحرق ما عداها من الصحف بوجود الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من غير مُنكر فكان ذلك إجماعاً، وذلك بعد إعادة الصحف

(١) سورة الحجر، الآية: [٩].

المجموعة في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها .
وبعد ذلك وضعت النقط وعلامات الشكل من كسرٍ وضمٍ وفتح
وسكون ثم وضعت الأعشار والأحزاب وعلامات الوقوف . . . إلى آخره .
لكن رسم الكلمة الأساسي الذي كتب بين يدي النبي ﷺ بقي على
حاله كما كان في عهده ﷺ . (وقد ورد سابقاً في التمهيد مفصلاً).

- أنواع الرسم القرآني:

- أ - الرسم بالحذف.
- ب - الرسم بالزيادة .
- ج - الرسم بإبدال الألف واواً.
- د - رسم الكلمة بحرفين مختلفين كالتاء المبسوطة أو المربوطة .
- هـ - رسم نون التوكيد ألفاً .

أ - الرسم بالحذف: مثاله حرف الألف، حرف الواو، حرف الياء،
وحرف النون .

- حذف الألف :

- أولاً: كلمة ﴿ كِتَابٌ ﴾ بمعنى القرآن الكريم أو اللوح المحفوظ،
تحذف ألفها لأن القرآن أقرب إلينا في الفهم وأظهر في التنزيل؛ وكل ما
جاء في القرآن الكريم من كلمة كتاب أو الكتاب مكتوب بغير ألف إلا في
أربعة مواضع فيها ألف وهي :

أ - ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(١) بمعنى: الأجل والوقت .

(١) سورة الرعد، الآية: [٣٨].

وفي الآية التي بعدها توجد كلمة كتاب أيضا بمعنى: اللوح المحفوظ، ولذلك كتبت الثانية بدون ألف، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾^(١).

ب - ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٢).

أي: أجل للإهلاك.

ج - ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾^(٣).

فإن هذا أخص من الكتاب فهو معلوم لأنه مضاف إلى كلمة ربك فلم تحذف ألفه حيث إنه واضح الدلالة بمعنى القرآن.

د - ﴿طَسَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^(٤).

فهنا الكتاب جاء تابعا للقرآن الكريم فهو واضح المعنى لأن معنى الكتاب هنا هو القرآن الكريم.

- ثانياً: تحذف الألف من جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم إلا إذا جاء بعدها حرف مشدد أو همزة مع استثناء بعض الكلمات لأسباب تعرف في مواضعها من كل آية، مثال ذلك في كلمة:

الضالين في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾^(٥).

(١) سورة الرعد، الآيتان: [٣٨-٣٩].

(٢) سورة الحجر، الآية: [٤].

(٣) سورة الكهف، الآية: [٢٧].

(٤) سورة النمل، الآية: [١].

(٥) سورة الفاتحة، الآيتان: [٦-٧].

وأيضاً: السائلين في قوله تعالى : ﴿... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَيَتِمَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ...﴾ (١).

وأمثلة حذف الألف في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ
وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ
لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢).

كلمة الصائمين (٣): جاءت على خلاف القاعدة لاتباع الكلمات التي
قبلها والتي بعدها بالحذف .

- ثالثاً: كلمة ﴿الْقُرْآنَ﴾ مكتوبة في القرآن الكريم بالألف إلا في
موضعين فقد حذفت منها الألف، والموضعان هما :

أ - ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤).

ب - ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٥).

والتعليل أنه مسبوق بالضمير وهو الهاء في: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ و ﴿جَعَلْنَاهُ﴾
والضمير في الموضعين ضمير الكتاب وهو القرآن الكريم .

(١) سورة البقرة، الآية: [١٧٧].

(٢) سورة الأحزاب، الآية: [٣٥].

(٣) كما في رواية قالون على ما اختاره الحافظ أبو عمرو الداني . انظر الطريق المأمون إلى أصول
رواية قالون من طريق الشاطبية العبد الفتح المرصفي . طباعة بميس البابلي الحلبي وشركاؤه
١٩٧٠م .

(٤) سورة يوسف، الآية: [٢].

(٥) سورة الزخرف، الآية: [٣].

- حذف الواو: مثالها الأفعال الأربعة التالية :

أ - ﴿سَدَّعُ الزَّبَانِيَةَ﴾^(١).

لأن مجيء ملائكة العذاب وهم الزبانية بسرعة غير معهودة في الدنيا .

ب - ﴿وَيَمَحُّ اللَّهُ الْبَطْلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢).

لأن هذا المحو غير معهود وهو سريع جداً.

ج - ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٣).

لأنه يسارع إليه وهو دعاء معاكس لطبيعة البشر.

د - ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾^(٤).

لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة .

كما حذفت ياء ﴿الدَّاعِ﴾ أي: الداعي لأنه غير معروف وغير معهود

وهو إسرافيل عليه السلام.

إذن : فقد حذفت الواو من هذه الأفعال الأربعة لتبين سرعة وقوع

الفعل وسهولته على الفاعل، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود .

- حذف الياء: كما في قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ

يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾^(٥).

فهنا الهداية «يهدين» معنوية وهي بعكس قوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاءَ مَدِينٍ

(١) سورة العلق، الآية: [١٨].

(٢) سورة الشورى، الآية: [٢٤].

(٣) سورة الإسراء، الآية: [١١].

(٤) سورة القمر، الآية: [٦].

(٥) سورة الكهف، الآية: [٢٤].

قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾.

فهذه الهداية محسوسة لأن موسى عليه السلام يطلبها عند توجهه إلى مدين.

- كما حذفت الياء أيضاً من كلمة: ﴿تَسْأَلْنِي﴾ في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْطَأُ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢).

لأن علم هذا السؤال غيب بدليل قوله تعالى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، وذلك بخلاف قوله عز وجل:

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٣).

فلم تحذف الياء من كلمة ﴿تَسْتَلِنِي﴾ لأنه سؤال عن حوادث تجري في الدنيا وهي ظاهرة غير خفية .

- **حذف النون:** تنبيهاً على صغر الشيء وحقارته وأنه ينشأ ويزيد إلى ما لا يعلم بذلك إلا الله .

- قال تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (٤).

- حذفت النون من كلمة «يكن» فأصبحت ﴿يَكُ﴾ لأن الإنسان كان نطفة لا ترى بالعين المجردة فأصبح رجلاً أو امرأة كامل الخلق والتكوين .

(١) سورة القصص، الآية: [٢٢].

(٢) سورة هود، الآية: [٤٦].

(٣) سورة الكهف، الآية: [٧٠].

(٤) سورة القيامة، الآيات: [٣٦-٤٠].

- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا
وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(١) .

- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَوْلَمَ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى
قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعْوُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾^(٢) .

فقد جاءت الرسل من أقرب شيء في البيان الذي هو الحس إلى العقل
إلى الذكر، وأرقوهم من رتبة الجهل إلى أرفع رتبة ودرجة في العلم .
- وقال تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ
خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾^(٣) .

انتفى عن إيمانهم مبدأ الانتفاع أقله وأكثره فانتفى أصله.

ب - الرسم بالزيادة :

١ - زيادة الألف في كلمة ﴿ لَاأَذْبَحْنَهُ ﴾ في قصة سليمان والهدهد، مع
أن كلمة ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهٗ ﴾ قبلها مشابهة لها في الكتابة ولا توجد فيها الألف، قال
تعالى : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَاأَذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴾^(٤) .

فقد زيدت الألف لبيان أن الذبح أشد وأصعب على الطير من أي
عذاب .

٢- كما زيدت الألف في كلمتي ﴿ تَأْتِسُوا ﴾ و ﴿ يَأْتِسُ ﴾ في قوله
تعالى : ﴿ يَنْبَغِي أَدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا
يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٥) .

(١) سورة النساء، الآية: [٤٠].

(٢) سورة غافر، الآية: [٥٠].

(٣) سورة غافر، الآية: [٨٥].

(٤) سورة النمل، الآية: [٢١].

(٥) سورة يوسف، الآية: [٨٧].

لأن اليأس والإياس أشدّ من الصبر وانتظار الفرج .

٣- زيادة الألف في كلمة ﴿وَجَاءَ﴾ في قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاتَى لَهُ الذِّكْرَى﴾^(١).

وذلك لأنّ مجيء جهنّم غير معهود في الدنيا وغير معروف عند الناس، وفي الحديث الشريف عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بجهنّم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»، رواه مسلم .

٤- زيادة الواو في كلمة ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

لأن هذه الرؤية ظاهرة في الوجود، وآثار الأمم التي أهلكتها الله بينة وفيها تهديد شديد لأولئك الذين كذبوا موسى ولم يؤمنوا به .

٥- زيادة الياء في كلمة ﴿بِأَيْدِي﴾ في قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٣) ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ ﴿٤٨﴾^(٣).

للتفريق بين الأيدي التي هي من جوارح الإنسان، وبين اليد بمعنى: القوة القوية اللامتناهية .

٦- زيادة الياء في كلمة ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ في قوله تعالى : ﴿تَنْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٤) ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَتُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيْدِيكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾^(٤).

(١) سورة الفجر، الآية: [٢٣].

(٢) سورة الأعراف، الآية: [١٤٥].

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: [٤٧-٤٨].

(٤) سورة القلم، الآيات: [٦-١].

كتبت بزيادة ياء تخصيصاً للنبي ﷺ بالصفة الكاملة لحصول ذلك فإنهم هم المفتونون وليس الرسول ﷺ .

ج - الرسم بإبدال الألف واواً :

رسمه في ثماني كلمات في القرآن الكريم هي :
 الصلوة - الزكوة - الحيوة - الربوا - بالغدوة - كمشكوة - والنجوة -
 ومنوة.

فالأربع كلمات الأولى هي أم الأصول في العبادات والمعاملات :

- الصلاة: أصل العبادات البدنية .
 - الزكاة: أصل العبادات المالية .
 - الحياة: أصل الوجود .
 - الربا: أصل المعاملات المالية الباطلة .
- أما الأربع الثانية فهي القواعد والثوابت إن لم نقل الأركان المنتهجة لتلك الأصول:

- فالغداة: قاعدة الأزمان .
- والمشكاة: قاعدة الهداية والأنوار .
- والنجاة: قاعدة الطاعات .
- ومناة: قاعدة الضلال والأوثان .

ولذلك عبدها المشركون فكانت عندهم مناة الأولى والثانية والثالثة

لقوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَّةَ الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾^(١) .

(١) سورة النجم، الآيتان: [١٩-٢٠].

وكتابة هذه الكلمات بهذا الشكل يدل على تعظيم هذه الأصول والقواعد وتفخيمها إيجاباً، أو سلباً بتحقيقها .

ملاحظة: توجد كلمة «رباً» واحدة في القرآن الكريم لم تكتب بالواو وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾^(١).

لأن الآية مكية ولم يكن قد نزل بعد تحريم الربا، والمقصود بالربا هنا: الهدية التي يهديها الإنسان لآخر وهو يرجو أن يكافئه عليها بأكثر منها.

وأما كلمة «زكاة» فكتبت على الأصل بالواو مع أن الزكاة فرضت بعد الهجرة، لأن الزكاة هنا بمعنى: الصدقة، وهي تكون لله تعالى خالصة .

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا﴾ يريد هدية الرجل الشيء، يرجو أن يثاب أفضل منه، فذلك الذي لا يربو عند الله ولا يؤجر صاحبه ولكن لا إثم عليه^(٢). [اهـ]

د - رسم الكلمة بحرفين مختلفين: التاء المربوطة والمبسوطة، ومثال كتابة التاء في كلمة «امرأة» مرة بالتاء المربوطة هكذا: «امرأة»، وأخرى بالتاء المبسوطة هكذا: «امرات» كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِّنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِّنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾^(٣).

(١) سورة الروم، الآية: [٣٩].

(٢) تفسير القرطبي - الجزء (٧) - صفحة ٥١١٨.

(٣) سورة التحريم، الآيتان: [١٠-١١].

فإذا كانت المرأة زوجةً معينةً لرجلٍ معينٍ معروفٍ كتبت بالتاء المبسوطة كما في الآية السابقة .

وإذا لم تكن زوجة له كتبت بالتاء المربوطة كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١).

فهي امرأة أي رجل كان، وليست زوجة معينة لرجل معين .
وكذلك كتبت كلمة «امرات» بالتاء المبسوطة في قوله تعالى :

﴿... قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكُنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

فلما كانت امرات العزيز معلومة وهي زليخا كتبت تاءً مبسوطة .

هـ - رسم نون التوكيد ألفاً :

أبدلت نون التوكيد الخفيفة ألفاً في موضعين هما :

- الأول : في قوله تعالى : ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾^(٣).

- والثاني : في قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّغِيرِينَ﴾^(٤).

وذلك ليوقف على هاتين الكلمتين «لنسفعاً - وليكوناً» بالألف ليوافق ذلك القراءة المنقولة بالتواتر عن النبي محمد ﷺ.

(١) سورة النساء، الآية: [١٢٨].

(٢) سورة يوسف، الآية: [٥١].

(٣) سورة العلق، الآية: [١٥].

(٤) سورة يوسف، الآية: [٣٢].

- الأسرار الخاصة بالقرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية :

أولاً: أنَّ الرسم القرآني موافق للتفسير: لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى كما في الأمثلة السابقة مثل: ﴿بِأَيْدٍ - وَجِأءَ﴾.
 ثانياً: أنَّ الرسم القرآني يوافق القراءة المنقولة عن النبي محمد ﷺ: وذلك كما في رسم: ﴿لَسْفَعًا - وَلَيَكُونًا﴾ للوقوف على هاتين الكلمتين بالألف .

ثالثاً: أنَّ الرسم القرآني توقيفي: ومن المتحمسين لهذا الرأي ابن المبارك^(١) الذي نقل في كتابه «الإبريز» عن شيخه عبد العزيز الدباغ^(٢) أنه قال له: «ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي ﷺ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصانها، لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية. وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه أيضاً معجز!

وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في «مائة» دون «فئة»؟

وإلى سر زيادة الياء في «بأييد» و«بأييكم»؟

أم كيف تتوصل إلى سر زيادة الألف في «سعوا» بالحج ، ونقصها من «سعو» بسبأ؟

وإلى سر زيادتها في «عتوا» حيث كان نقصها من «عتو» في الفرقان؟

(١) ابن المبارك صاحب كتاب (الأبريز). هو عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي الحنظلي تلميذ الإمام أبي حنيفة، وعده جماعة من أصحابه خصاله العلم والفقه والأدب واللغة والنحو والزهد والشعر والورع. توفي سنة إحدى وثمانين ومائة هـ.

(٢) انظر المهذب في القراءات العشر للدكتور محمد سالم محيسن، الجزء الأول مكتبة الكليات الأزهرية تاريخ الطبع ١٩٧٨ م.

وإلى سر زيادتها في «آمنوا» وإسقاطها من «بآءو - جآءو - تبوءو - فآءو» بالبقرة؟

وإلى سر زيادتها في «يعفوا الذي»، ونقصانها من «يعفو عنهم» في النساء؟

أم كيف تبلغ العقول إلى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض، كحذف الألف من «قرءنا» بيوسف والزخرف، وإثباتها في سائر المواضع؟

وإثبات الألف بعد واو «سموات» في فصلت وحذفها من غيرها؟

وإثبات الألف في «الميعاد» مطلقاً، وحذفها من الموضوع الذي في الأنفال؟

وإثبات الألف في «سراجاً» حيث وقع، وحذفه من موضع الفرقان؟

وكيف تتوصل إلى حذف بعض التاءات وربطها في بعض؟

فكل ذلك أسرار إلهية، وأغراض نبوية .

وإنما خفيت على الناس لأنها أسرار باطنة لا تدرك إلا بالفتح الرباني، بمنزلة الألفاظ والحروف المقطعة في أوائل السور، فإن لها أسراراً عظيمة، ومعاني كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أشير إليها ! .

فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف^(١) . [اه]

(١) مباحث في علوم القرآن - صبحي الصالح - (٢٧٦-٢٧٧)

كتابة القرآن الكريم بغير الرسم القرآني

كما مرَّ فإن رسم القرآن الكريم توقيفي كتب بين يديّ النبي ﷺ، وجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه وتم استنساخ المصاحف في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما بوجود الصحابة رضوان الله عليهم من غير منكرٍ فكان إجماعاً.

وقد أفتى الإمام أحمد بن حنبل^(١) رضي الله عنه بعدم جواز كتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائي كما أفتى الإمام مالك رضي الله عنه بذلك، ولكنه أباح تعليمه للتلاميذ بالرسم الإملائي للتسهيل عليهم .

ولقد ظهرت دعوات لكتابة القرآن بالرسم الإملائي أي بتغيير الرسم القرآني الذي يسمونه بالرسم الاصطلاحي بحجة أن الناس، وخاصة في أيامنا هذه، لا يستطيعون قراءة القرآن بهذا الرسم نظراً لفتور الهمم وإلغاء الكتاتيب . . .

حتى لقد تجرأ بعضهم فقال: إن الصحابة الذين كتبوا القرآن الكريم لم يكونوا يحسنون الإملاء، وإنهم لم يراعوا القواعد الإملائية والصوتية عند كتابته.

وللردّ على هؤلاء نقول :

- أولاً: لقد تمكن دعاة فصل الدين عن الدولة من إبعاد تحكيم القرآن الكريم في المجتمعات الإسلامية تحت اسم: «العلمانية» والعلم، كما سموا الربا المحرم: «فائدة» لكي لا تطبق عليه آيات التحريم الواردة في القرآن الكريم فيفهمها الذين يقرؤونها.

(١) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أحد أعلام الإسلام وصاحب

- **ثانياً:** هؤلاء يقولون : الناس اليوم لا يتمكنون من قراءة القرآن الكريم بالرسم القرآني ويخطئون بذلك، ويُردّ عليهم كيف تمكّن الناس قديماً من قراءة القرآن بشكل صحيح مع أن الجهل كما يقولون كان منتشراً وكانت الأمية متفشية على نطاق واسع؟؟، لذا فإنهم يريدون القضاء على إعجاز القرآن كما عطلوا العمل بأحكامه بين الناس .

- **ثالثاً:** لقد حلّ العلماء هذه المشكلة بأساليب مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر: مصحف الشروق المفسر الميسر الصادر بالجماهيرية الليبية إذ كتبت الكلمات بالرسم الإملائي بالهامش أسفل الصفحة وبقي الرسم القرآني على حاله.

كما أن علماء الرسم والضبط وضعوا الاصطلاحات المناسبة للقراءة فمثلاً كلمة **الصلاة** التي تكتب بالقرآن الكريم هكذا: ﴿الصَّلَاةُ﴾ ومثلها كلمة **كمشكوة** وضعت فوق الواو ألف صغيرة، والقاعدة في ذلك أن تقرأ الحرف الصغير الأعلى ولا تلفظ الحرف الكبير الأسفل فتقرأ الألف ولا تلفظ الواو، في هاتين الكلمتين وأمثالهما. ومثل ذلك : إذا رسم سكون دائري (°) فوق أيّ حرف من أحرف العلة الثلاثة لا تقرأ هذه الأحرف مثل :

«بأييدٍ - وجأء - سأوريكم»، فتقرأ هكذا: «بأييدٍ - وجيء - سأريكم».

ومن المعلوم أن الكتابة في كل لغات العالم لها قواعد وأصول يتعلمها الناس بالتدريب والممارسة لأن العلم بالتعلم والحلم بالتعلم.

ولنأخذ مثلاً كلمتي: «**كاتبو - وكتبوا**» فقد وضعوا للثانية ألفاً بموجب قواعد الإملاء ولم تقرأ الألف، ولم نضع ألفاً للأولى .

- **رابعاً:** لو أخذنا الآية الكريمة في سورة النمل بشأن قول سليمان بالنسبة لغياب الهدد ﴿لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾^(١).

(١) سورة النمل، الآية: [٢١].

فقد زيدت الألف بكلمة ﴿لَا أَدْبَحْتَهُ﴾ ولم تزد بكلمة: «لأعذبه» مع أنهما متماثلتان وكاتبهما قطعاً نفس الكاتب، وأي منصف يقول إن الكاتب لا يخطئ هنا، ولكن هنالك سر استنبطه العلماء بعد ذلك ويمكن أن يأتي آخرون فيستنبطوا ما لم يعرفه من سبقهم .

- خامساً: ورد في أول سورة البقرة ﴿الْم﴾، وفي أول سورة الشرح ﴿الْم نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، والتفريق بينهما بالقراءة السليمة: والسكته بمقدار حركتين للألف الأولى والشكل بالثانية وهذا واضح.

- سادساً: هذه الدعوة لكتابة القرآن الكريم بالرسم الإملائي - قد تجاهلت عظمتها عظمة القرآن حيث إنه كان ولم يزل دستور الأمة الإسلامية والعربية لغةً ومنهاجاً إلى يوم الدين - وهذه الدعوة لها هدف بعيد هو القضاء على العروبة والإسلام بنشرها للهجات العامية المحلية التي دعا إليها كثيرون من الذين لا يريدون الخير لهذه الأمة ففشلوا بدعوتهم بفضل الحفظ الإلهي للقرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)، وللرعاية الإلهية معاً التي شخصت بعلماء الرسم والضبط والتفسير، والحفظة له غيباً وكذلك الذين يتلونونه حق تلاوته ويتدارسونه لا يجمعهم ديوان لكثرتهم، وهم منتشرون في كل أنحاء العالم وعددهم بازدياد مستمر، ونور القرآن الكريم يزداد انتشاراً في كل أصقاع المعمورة.

وهكذا ظل القرآن محروساً بحفظ الله تعالى؛ وسيظل وَعُدُّهُ عَزَّ وَجَلَّ بهذا الحفظ تحدياً قائماً لكل جاحد.

فجزى الله هؤلاء عن الأمة الإسلامية خير الجزاء.

(١) سورة الحجر، الآية: [٩].

الإعجاز العددي في القرآن الكريم

أولاً: ورود الأعداد في القرآن الكريم: من المعلوم أن الأعداد إما أن تكون مفردة من ١-١٠، أو مركبة من ١١-١٩.

أو ألفاظ عقود: عشرون - ثلاثون.. إلى .. تسعون.

أو مئات أو ألوف، أو أن تكون كسوراً مثل: نصف - ثلث - ربع - إلخ، وجميع ما ذكر أعلاه وارد في القرآن الكريم.

أما ألفاظ المليون وما زاد عنه فلا توجد في القرآن الكريم لأنها ألفاظ غير عربية، ولم يكن يعرفها العرب، فإذا أرادوا أن يقولوا مليوناً فيقولون: ألف ألف، وخمسة ملايين يقولون عنها: خمسة آلاف ألف ٥٠٠ وهكذا.

أ - الأعداد المفردة من ١-١٠: وردت كل هذه الأعداد في كتاب الله تعالى مثل:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾^(١).

- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٢).

(١) سورة النحل، الآية: [٥١].

(٢) سورة الكهف، الآية: [٢٢].

- ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(١).

- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ^ط فَكَفَرْتُمْ^ط؛ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ^ط فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ...﴾^(٢).

ب - الأعداد المركبة من ١١-١٩ : ورد منها ألفاظ الأعداد التالية كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(٣).

- ﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا^ط قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ^ط كُلُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٤).

- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا بُقِي وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾^(٥).

ج - ألفاظ العقود من ٢٠-٩٠ : وردت جميعها في كتاب الله سبحانه ، ومن الأمثلة على ذلك :

- لفظ (٢٠) ورد في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٦).

(١) سورة النمل، الآية: [٤٨].

(٢) سورة المائدة، الآية: [٨٩].

(٣) سورة يوسف، الآية: [٤].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٦٠].

(٥) سورة المدثر، الآيات: [٢٧-٣٠].

(٦) سورة الأنفال، الآية: [٦٥].

- لفظ (٣٠) و(٤٠) ورد في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

- لفظ (٥٠) ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢).

- لفظ (٦٠) ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣).

- لفظ (٧٠) ورد في قوله تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٤).

- لفظ (٨٠) ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٥).

- لفظ (٩٠) ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾^(٦).

(١) سورة الأحقاف، الآية: [١٥].

(٢) سورة العنكبوت، الآية: [١٤].

(٣) سورة المجادلة، الآية: [٤].

(٤) سورة التوبة، الآية: [٨٠].

(٥) سورة النور، الآية: [٤].

(٦) سورة ص، الآية: [٢٣].

د - المئات والألوف:

- لفظ (١٠٠) كما في قوله تعالى: ﴿.. فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا بَلْ لَبِثْنَا مِائَةَ عَامٍ..﴾^(١).

- لفظ (٢٠٠) كما في قوله تعالى: ﴿... إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ...﴾^(٢).

- لفظ (٣٠٠) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾^(٣).

- ووردت ألفاظ المئات والألوف في آيات أخرى كسبع مائة وثلاثة آلاف وخمسة آلاف وخمسين ألفا كقوله تعالى: ﴿... إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَدْرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ...﴾^(٤).

وكقوله تعالى: ﴿... وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّادِرِينَ﴾^(٥).

وكقوله تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٥٩].

(٢) سورة الأنفال، الآية: [٦٥].

(٣) سورة الكهف، الآية: [٢٥].

(٤) سورة الأنفال، الآية: [٦٥].

(٥) سورة الأنفال، الآية: [٦٦].

(٦) سورة آل عمران، الآيتان: [١٢٤-١٢٥].

وكقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(١).

وكقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٢).

هـ - الكسور:

ورد منها: نصف، ثلث، ربع، خمس، سدس، ثمن، عشر، ثلثان، وأكثر هذه الكسور موجودة في آيات الموارث في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾^(٣).

أما الخمس: فورد في قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ

(١) سورة المعارج، الآية: [٤].

(٢) سورة البقرة، الآية: [٢٤٣].

(٣) سورة النساء، الآيتان: [١١-١٢].

خُمْسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّنَجَّىٰ الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ .

- ولفظ العشر: ورد في قوله تعالى تحت اسم المعشار: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿٢﴾ .

ثانياً: بعض الأحكام المستنتجة من الأعداد: أهم ما نستنتجه من هذا الباب هو ليلة القدر التي أمرنا رسولنا الكريم ﷺ أن نتحرّاهَا بِالْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ بقوله: «ابْتَغُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ» وبروايته: «الْتَمِسُوهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ» أخرجه الامام أحمد والنسائي

١- قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْوَيْحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴿٣﴾ .

أ - عدد كلمات هذه السورة: ثلاثون كلمة بعدد أيام الشهر القمري الكامل.

أشار القرآن بكلمة ﴿هِيَ﴾ إلى ليلة القدر، ورقم الكلمة في السورة هو سبع وعشرون لذا قال بعض العلماء^(٤): إن ليلة القدر ليلة السابع والعشرين من رمضان.

يلاحظ تكرار ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ ثلاث مرات في السورة وعبارة: ﴿لَيْلَةُ

(١) سورة الأنفال، الآية: [٤١].

(٢) سورة سبأ، الآية: [٤٥].

(٣) سورة القدر، الآيات: [١-٥].

(٤) تفسير ابن كثير ص ٢٠٥٤ مجلد واحد

الْقَدْرِ ﴿ مؤلفة من تسعة أحرف، أي: سبعة وعشرين حرفاً قليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين.

ب - عدد الحروف في بداية سورة الدخان: تأكيدٌ عدديٌّ على أن ليلة القدر هي في السابع والعشرين من رمضان خاصة أن القرآن يفسر بعضه بإجماع العلماء.

قال تعالى: ﴿حَمَّ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) ﴿^(١) فحرف الياء من كلمة: ﴿فِي﴾ هو السابع والعشرون عدداً، و: ﴿لَيْلَةٍ مُبْرَكَةٍ﴾ تفسيرية مؤكدة حسابياً.

٢- عمر النبي ﷺ ثلاث وستون سنة: مستنبط من آخر آية في سورة «المنافقون» لأن الرقم التسلسلي لهذه السورة في القرآن كما وصل إلينا هو: ثلاث وستون وآخر آية فيها قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(٢) فإنها رأس ثلاث وستين وأن الأجل قد وقع في آخر آية فيها، وبعدها سورة التغابن، فقد غبن الناس بفقده ﷺ لانقطاع الوحي من السماء .

٣- عدد أبواب الجنة: استنبط بعض العلماء أن عدد أبواب الجنة ثمانية من قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٣).

بينما قال في الآية التي قبلها «فتحت» أبوابها بدون واو: ﴿وَسِيقَ

(١) سورة الدخان، الآيات: [١-٣].

(٢) سورة المنافقون، الآية: [١١].

(٣) سورة الزمر، الآية: [٧٣].

الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرًّا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١﴾ .

لأن قريشاً التي نزل القرآن الكريم بلغتها العربية الفصيحة كانوا إذا عدوا قالوا : واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة وثمانية .

فإذا وصلوا إلى رقم ثمانية أضافوا حرف الواو فقالوا «وثمانية» ومثلها قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٢) .

كما توجد «واو الثمانية» في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَ مُسَلِّمًا مِّنْكَ مُؤْمِنًا قَلْبًا تَلْبَسُ عِيدَاتٍ سَلْبَاتٍ ثَبَّتِ وَأَبْكَارًا﴾ (٣) .

وفي قوله : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ الرَّكْعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) .



(١) سورة الزمر، الآية : [٧١] .

(٢) سورة الكهف، الآية : [٢٢] .

(٣) سورة التحريم، الآية : [٥] .

(٤) سورة التوبة، الآية : [١١٢] .

السبع المثاني

ورد في القاموس المحيط - (المثاني : القرآن أو ما تُثني مرة بعد مرة، أو الحمد، أو البقرة إلى براءة، أو كل سورة دون الطُّول ودون المئين^(١)) وفوق المُفَصَّل أو سورة الحج والنمل والقصص والعنكبوت^(٢). إلى آخره .

١ - وتسمى فاتحة الكتاب مثاني لأنها تشني في كل ركعة، ويسمى جميع القرآن مثاني لاقتران آية الرحمة بآية العذاب.

ومعنى ثني الشيء: ردّ بعضه على بعض .

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

٢ - قال ابن عباس : هي السبع الطُّول : البقرة، آل عمران، النساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال والتوبة معاً.

وسميت مثاني لأن العبر والأحكام والحدود تشني فيها .

٣ - المثاني : القرآن كله كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٣) .

(١) في النسخ: المائتين، والمثبت هو الصواب. روي ذلك عن رسول الله ﷺ، ثم عن ابن مسعود وعثمان وابن عباس رضي الله عنهم قال: والمُفَصَّل يلي المثاني، والمثاني ما دون المئين. وقال ابن بري: كأن المئين جعلت مبادي والتي تليها مثاني. تاج العروس مادة «ث ن ي» دار الفكر - بيروت.

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي ط. دار الفكر.

(٣) سورة الزمر، الآية: [٢٣].

فالأنباء والقصص ثبت فيه .

٤ - تسمية الفاتحة بالمثاني لا يمنع من تسمية غيرها بذلك^(١) : قال بعضهم : الواو مقحمة في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(٢) ويصبح المعنى سبعاً من المثاني القرآن العظيم .

٥ - أحسن الحديث هو القرآن الكريم : فعن سعد بن أبي وقاص قال قال : أصحاب رسول الله ﷺ : لو حدثنا فأنزل الله تعالى : ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهًا مَّثَانِي﴾^(٣) .

فقالوا : لو قصصت علينا، فنزل : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^(٤) . فقالوا : لو ذكرتنا فنزل : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾^(٥) .

٦- السر في كلمة ﴿الْمَثَانِي﴾ النورانية والأحرف المقطعة حسابياً :

تكررت كلمة ﴿الْمَثَانِي﴾ مرتين في القرآن الكريم، ويرى البعض أن المثاني هي الأحرف المقطعة في بداية السور مثل : ﴿الْمَ﴾ و﴿حَمَ﴾ وغيرها، وعددها أربعة عشر حرفاً مجموعة في قولهم : «نص حكيم له سر قاطع». وعلى هذا تصبح الحروف الأبجدية ثمانية وعشرين حرفاً للتكرار المذكور وهي أحرف اللغة العربية التي يتألف منها هذا القرآن، ويتحدى الإنس والجن على أن يأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين .

(١) تفسير القرطبي صفحة (١٧٦٣).

(٢) سورة الحجر، الآية : [٨٧].

(٣) سورة الزمر، الآية : [٢٣].

(٤) سورة يوسف، الآية : [٣].

(٥) سورة الحديد، الآية : [١٦].

- وحسب الفهم السابق من أن المثاني هي كل القرآن العظيم أو بعضه فهي تمثل الحروف المقطعة في أوائل السور .

٧- ما تضمنته سورة الحجر من خصائص وأسرار:

اختصت سورة الحجر فيما بينها وبين السور القرآنية بتناسق الدرر ولما جاء فيها من المصابيح النورانية والشمولية وصلًا مع ما قبلها في سورة ابراهيم، وما بعدها في سورة النحل بداية ونهاية ومضمونًا، كما أنها حاضنة للمعجزة الكبرى قاطبة بسرهما العددي وأسرارها الإلهية .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾^(١).

أ - أما السر العددي في الإعجاز فهو الأربعة عشر حرفاً:

- وأما الآية المعجزة «فهي السبع المثاني» لأنها جاءت في فواتح السور بدون تكرار على عدد الحروف المقطعة في القرآن: أربعة عشر.

- تناسق بدايتها مع بداية الجزء الرابع عشر في المصحف .

- ترتيبها في نزول الوحي بين السور المعجزة الرابع عشر .

- ترتيبها في المصحف أن ما جاء قبلها من السور أربع عشرة سورة قرآنية .

ب - ما تضمنته هذه السورة من شموليات أيضاً أربعة عشر:

فالله سبحانه وتعالى عالم بالجزئيات وبالكليات، وعالم بالماضي والحاضر والمستقبل، وبالباطن والظاهر، أو السر المخفي والمعلن المجاهر به، وبالغائب عن مسامعنا وأبصارنا والشاهد الحاضر . فالشموليات التي تضمنتها الآية الكريمة هي:

- بدء الخلق

(١) سورة الحجر، الآية: [٨٧].

- بيان حكمة خلق الموجودات

دلائل التوحيد

- إثبات صدق الوحي

- وصف القرآن

- الوعد بحفظ القرآن

- بعض مظاهر قدرة الله تعالى

- بعض من قصص الأنبياء

- الحياة والموت

- ما بعد الموت

- القيامة

- تسليته تعالى للرسول ﷺ

- أفضال الله على الرسول ﷺ

- إشارة على وجود الظلام في الفضاء الخارجي

ج - الأسرار الإلهية الخاصة بالسورة:

- خصت سورة الحجر بالتشريف دون باقي السور القرآنية حيث إن عدد

آياتها جاء بالإجماع بعدد أسماء وصفات الباري عز وجل تسع وتسعون آية .

- كما خصت بالتعظيم من حيث إن عدد السور القرآنية التي جاءت

بعدها في ترتيب المصحف الشريف أيضاً تسع وتسعون سورة .

وانظر إلى الآية الرابعة عشر: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ

يَعْرُجُونَ﴾^(١) ، والسر في إعجاز القرآن مجيء أكبر عددٍ من الحروف في

كلمة واحدة هو أحد عشر حرفاً ﴿فَأَسْقِنَكُمُوهُ﴾^(٢) .

(١) سورة الحجر، الآية: [١٤].

(٢) سورة الحجر، الآية: [٢٢].

نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف

١- روى البخاري ومسلم^(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

قال رسول الله ﷺ: «أقرأني جبريل علي حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»^(٢).

زاد مسلم قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي لا يكون إلا واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام.

٢- القراءات السبعة غير الأحرف السبعة: لأن الأحرف السبعة متقدمة على القراءات السبع فقد نزلت الحروف المقطعة على النبي الأمي بالوحي الجلي بالتلقين. أما القراءات فنقلت بالتواتر^(٣).

والقرء السبعة وُجدوا بعد وفاة النبي ﷺ سنة ١١هـ بفترة كبيرة، وهم حسب تاريخ الوفاة لكل منهم:

(١) ابن عامر: ت عام ١١٨هـ.

(٢) ابن كثير: ت عام ١٢٠هـ.

(٣) عاصم: ت عام ١٢٨هـ.

(٤) أبو عمرو البصري ت عام ١٥٤هـ.

(٥) حمزة: ت عام ١٥٦هـ.

(١) انظر البخاري ومسلم. المرجعين السابقين.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٣٢١٩)، والهندي في كنز العمال: (٣٠٦٨)، وتاريخ بغداد: (١٣٩٧/١٣١/٤).

(٣) انظر معجم القراءات القرآنية ص ٨٢. وعبد العال سالم بكر، وأحمد مختار عمر. طبعة جامعة الكويت ١٩٨٢.

(٦) نافع: ت عام ١٦٩ هـ.

(٧) الكسائي: ت عام ١٨٩ هـ^(١).

٣- الأحرف السبعة غير اللغات السبع: لأن أحداً لم يستطع أن يجزم بمعنى الأحرف السبعة ولم يفسرها رسول الله ﷺ، بل بقيت غير معلومة كما خفيت ليلة القدر ليجتهد الناس بالعبادة، كذلك أخفيت معاني هذه الأحرف ليجتهد الناس في دراسة هذا الكتاب الكريم على مرّ العصور، ففي كل جيل من الأجيال تظهر معجزات عديدة في هذا الكتاب لا يعرفها من سبقهم.

وقد جاء صاحب البرهان^(٢) ليوصلها إلى خمسة وثلاثين وجهاً ولكل وجه سبعة أقسام.

٤ - مذهب العلماء في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف:

المذهب الذي اختاره أكثر العلماء هو مذهب الإمام الرازي^(٣)، مع أن الإمام الرازي لم يجزم بمعاني هذه الحروف، فقد ذهب في بيان معنى نزول القرآن على سبعة أحرف إلى الآتي:

أ - الاختلاف في وجوه الإعراب مثل: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٤)، وقرئت: ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ حيث في الأولى: يضارُّ لأن (لا) ناهية، وفي الثانية: يضارُّ لأن (لا) نافية.

(١) انظر القراءات وأثرها من علوم العربية. د محمد محيسن الجزء الأول، ص ١٨ طبعة مكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٨٤ م.

(٢) البرهان من علوم القرآن (للإمام الزركشي). تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ط. دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٥٧ م.

(٣) الإمام الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، المفسر صاحب كتاب مختار الصحاح طبع المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٨ هـ. مطبعة الحسينية المصرية العامة للكتاب. تاريخ طبع ١٩٧٦ م.

(٤) سورة البقرة، الآية: [٢٨٢].

ب - اختلاف الحروف مثل: «يعلمون» و«تعلمون» باختلاف النقط.

ج - اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث مثل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^(١) فقد قرئت بالإفراد والجمع «أمانتهم وأماناتهم».

د - الاختلاف بإبدال كلمة بكلمة: ﴿وَطَلَّحَ مَنضُودٍ﴾^(٢) فقد قرئت «وطلع منضود» بالعين بدل الحاء ومخرج الحرفين واحد.

أما قراءة ابن مسعود ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوهُمَا﴾ - أيمنهما بدلاً من - أَيْدِيَهُمَا^(٣) فهي: قراءة شاذة، وردت من طريق الأحاد فقط لا يعمل بها.

هـ - الاختلاف بالتقديم والتأخير: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْلِنُونَ وَيُقْلِنُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ...﴾^(٤).

أما قراءة: «وجاءت سكرة الحق بالموت» فشاذة أيضاً لأنها من طريق أحادي وذلك بدلاً من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٥).

و - الاختلاف بشيء يسير من الزيادة أو النقصان جرياً على عادة العرب في حذف أحرف الجر والعطف تارة وإثباتها أخرى كقوله تعالى: ﴿وَأَعَدَّ

(١) سورة المؤمنون، الآية: [٨].

(٢) سورة الواقعة، الآية: [٢٩].

(٣) سورة المائدة، الآية: [٣٨].

(٤) سورة التوبة، الآية: [١١١].

(٥) سورة ق، الآية: [١٩].

لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(١).

فقد قرئت: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ وهما قراءتان متواترتان فزيادة: «من» وافقت رسم المصحف المكي، وهي قراءة: ابن كثير وأهل مكة، وحذفها وافق غيره، أي قراءة الباقيين: وهي كذلك في مصاحفهم.

- أما قراءة: ﴿وَالذِّكْرَ وَالْأُنثَى﴾ بدلاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٢) فهي شاذة من طريق أحادي .

ز - اختلاف اللهجات بالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والهمز والتسهيل وحروف المضارعة وقلب بعض الحروف وإشباع ميم الذكور وإشمام بعض الحركات مثل: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(٣) قرئت بإمالة: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٥) قرئت بترك الهمزة ونقل حركتها من أول الكلمة الثانية ﴿أَفْلَحَ﴾ إلى آخر الكلمة الأولى «قد» لتصبح ﴿قَدْ فَلَاحَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾^(٦).

٥- القصد من نزول القرآن على سبعة أحرف: هو التيسير على الأمة المحمّدية.

- فقد ورد في كتاب مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح^(٧)

(١) سورة التوبة، الآية: [١٠٠].

(٢) سورة الليل، الآية: [٣].

(٣) سورة الليل، الآية: [٣].

(٤) سورة طه، الآية: [٩].

(٥) سورة المؤمنون، الآية: [١].

(٦) سورة الفتح، الآية: [٦].

(٧) الدكتور صبحي الصالح: باحث في علوم القرآن. دار العلم للملايين ط ١٩٨٥. الطبعة السادسة عشر.

ما يلي : القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كفييتها من تخفيف أو تثقيل أو غيرهما فإذا صح أنه عليه الصلاة والسلام وسع على المسلمين في أول الأمر وراعى التخفيف على العجوز والشيخ الكبير، وأذن لكل منهم أن يقرأ على حرفه - أي: طريقته في اللغة - لما يجده من المشقة في النطق بغير لغته فليس معنى هذا أنه كان يأذن لهم بإثبات هذه القراءات وكتابتها على أنها حروف نزل عليها القرآن؛ وإذن فما كانت توسعته عليه الصلاة والسلام في هذا من القراءة إلا تخفيفاً على بعض الأفراد في حالات خاصة، وأما ما أذن فيه من هذه الحالات بإثباته، وأقرّ كتبه الوحي عليه فهو محفوظ بطريق التواتر في أحرف قليلة معدودة يُرفض ما عداها ولو جاء من طريق صحيح أحادي لأن التواتر شرط في إثبات القراءة^(١).

فتعميم هذه الحالات الفردية على جميع الأحرف السبعة كأنها ضرب من القراءة بالمعنى، لا يمكن أن يقتصر عليه في فهم الحديث اه .

- ويرى بعضهم أن الحروف السبعة هي السور المبدوءة بأحرف: ﴿حَمَّ﴾ وعددها سبع سور ولذلك عُدت ﴿حَمَّ﴾: آية، و ﴿عَسَقَ﴾: آية ثانية في سورة الشورى وهذه خمسة أحرف، بينما عُدت خمسة أحرف: في ﴿كَهَيْصَ﴾ كلها آية واحدة في سورة مريم .

كما يرى هؤلاء أن الأحرف السبعة هي السبع المثاني التي شُرحت في ثنايا هذا البحث سابقاً. ومن هذه المثاني أحرف التهجي الأربعة عشر وهي

(١) انظر البرهان في علوم القرآن (للزركش) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة دار إحياء الكتب العربية. تاريخ الطبعة ١٩٥٧م. انظر الإتقان في علوم القرآن (للسيوطي) جزآن مطبعة حجازي بالقاهرة تاريخ الطبع ١٩٤١م.

مجموعة بقولنا: «نصر حكيم له سر قاطع» فقد ثبّتت السبعة الأحرف مرتين وقد ذكّرت ذلك سابقاً.

- ولتمام الفائدة هذا بيان الأوائل لمن فسروا السبعة الأحرف أذكر منها:

أولاً: أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤هـ^(١) في كتابه غريب الحديث حيث قال:

المراد سبع من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه هذا لم نسمع به قط، ولكن نقول: هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات، ومعانيها في هذا كله واحدة ثم قال: ومما يبين ذلك قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقروا كما علمتم»، وقد وافق أبا عبيد في هذا القول كل من:

- أحمد بن يحيى ثعلب المتوفى ٢٩١هـ .

- عبد الحق بن غالب المشهور بابن عطية المتوفى ٥٤٦هـ.

- وتعقب بعض العلماء هذا الرأي بأن لغات العرب أكثر من سبع لغات وأجيب على ذلك بأن المراد أفصحها .

ثانياً: أبو شامة المتوفى ٦٦٥هـ: قال بعد أن نقل في كتابه^(٢) الآراء المتعددة التي وردت في هذه القضية الهامة:

(١) هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي، أبو عبيدة، من كبار أئمة الحديث واللغة والفقهاء، أشهر كتبه (الغريب المصنف)، وكتابه (الأموال) توفي سنة ٢٢٤هـ.

(٢) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز - شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، المعروف: بأبي شامة، وهو أحد علماء اللغة والقراءات والتفسير وله مصنفات عديدة.

وهذه الطرق المذكورة في بيان وجوه السبعة الأحرف في هذه القراءات المشهورة كلها ضعيفة، إذ لا دليل على تعيين ما عينه كل واحد منهم، ومن الممكن تعيين ما لم يعينوا، ثم لم يحصل حصر جميع القراءات فيما ذكروه من الضوابط، فما الدليل على ما ذكروه مما دخل في ضابطهم من جملة الأحرف السبعة دون ما لم يدخل في ضابطهم؟ وكان أولى من جميع ذلك لو حملت على سبعة أوجه من الأصول المطردة مثل:

- ١ - صلة ميم الجمع، وهاء الضمير، وعدم ذلك .
- ٢ - الإدغام، والإظهار .
- ٣ - المدُّ، والقصر .
- ٤ - تحقيق الهمز، وتخفيفه .
- ٥ - الإمالة، وتركها .
- ٦ - الوقف بالسكون، وبالإشارة إلى الحركة .
- ٧ - فتح الياءات، وإسكانها، وإثباتها، وحذفها^(١) [اه] .

تعقيب^(٢): هذا الرأي من الآراء المبتكرة حيث لم يسبقه أحد إلى القول به فيما أعلم، إلا أنه لم يف بالغرض المطلوب .

ثالثاً: محمد بن الجزري^(٣) ت ٨٣٣ هـ : بعد أن نقل في كتابه - النشر

(١) المرجع السابق .

(٢) تعقيب د . محمد سالم محسن في كتابه القراءات وأثرها في علوم العربية ص ٢٩ مكتبة الكليات الأزهرية . ط ١٩٨٦ م .

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد . أبو الخير شمس الدين المشهور بابن الجزري . شيخ القراء في زمانه من أشهر كتبه (النشر في القراءات العشر) توفي سنة ٨٣٣ هـ . انظر (غاية النهاية في طبقات القراء) . دار الكتب العلمية - بيروت ط . الثالثة ١٩٨٢ م .

في القراءات العشر - العديد من الآراء التي وردت في بيان المراد من الحديث الشريف قال: ولا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نَيْفٍ وثلاثين سنة، حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صواباً إن شاء الله، وذلك أنّني تتبعت القراءات صحيحها، وشاذها، وضعيفها، ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها:

الأول: أن يكون الاختلاف في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة نحو ﴿يَحْسَبُ﴾ بفتح السين وكسرهما.

الثاني: أن يكون بتغيير في المعنى فقط دون تغيير في الصورة نحو: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾^(١).

الثالث: أن يكون في الحروف مع التغيير في المعنى لا الصورة نحو: ﴿تَبَلَّوْا - تَنَلَّوْا﴾^(٢).

الرابع: أن يكون في الحروف مع التغيير في الصورة لا المعنى نحو: ﴿الصَّٰرِطُ - السَّرَاطُ﴾^(٣).

الخامس: أن يكون في الحروف والصورة: نحو: (يأتل - يتأل)^(٤).

السادس: أن يكون في التقديم والتأخير: نحو: (وقاتلوا - وقتلوا)^(٥).

السابع: أن يكون في الزيادة والنقصان: نحو: (وأوصى - ووصى)^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية: [٣٧].

(٢) سورة يونس، الآية: [٣٠].

(٣) سورة الفاتحة، الآية: [٦].

(٤) سورة النور، الآية: [٢٢].

(٥) سورة آل عمران، الآية: [١٩٥].

(٦) سورة البقرة، الآية: [١٣٢].

فهذه الأوجه السبعة لا يخرج الخلاف عنها. [اه]

تعقيب: مما لا شك فيه أن قول ابن الجزري هذا لا يعتبر قولاً مبتكراً كما يفهم من كلامه حيث سبقه بعض العلماء بما هو قريب منه^(١).

ومما قاله: إن السبب في تعدد القراءات إرادة التخفيف والتيسير على الأمة لاختلاف لغاتها وتباين لهجاتها.

إذاً فكل تفسير لبيان المراد من الأحرف السبعة يعتبر معقولاً ومقبولاً إذا كان متمشياً مع ما سبق تقريره من بيان السبب في تعدد القراءات، وكل تفسير يخرج عن هذا الإطار العام ينبغي رده وعدم قبوله وإعادة النظر فيه^(٢).

ومن قوله أيضاً^(٣): ولست أدعي أنّ ما أقوله هو كل هذه الأسباب بل هو بعضها والمجال لا يزال مفتوحاً أمام كل مفكر وكل ذي عقل سليم^(٤).

ومن قوله في فوائد تعدد القراءات:

إن الوقوف على فوائد تعدد القراءات أمر اجتهادي ولست أدعي أن ما سأذكره هو كل الفوائد، ولكن يكفي أنني فتحت الباب أمام كل باحثٍ لعله يأتي بجديد^(٤).



(١) انظر القراءات وأثرها في علوم اللغة العربية للدكتور محمد سالم محيسن ص ٢٩ مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٩٨٦ م.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

فواتح السور القرآنية وحروف التهجي النورانية

تنقسم فواتح السور المدرجة في القرآن الكريم كما يلي:

- ١٤ سورة: افتتحت بالثناء على الله، منها خمس سور افتتحت ب: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، وسورتان ب: ﴿تَبَرَّكَ﴾، وسبع ب: ﴿التَّسْبِيحُ﴾.
- ٢٩ سورة: افتتحت بحروف التهجي، أو الحروف النورانية، أو الحروف المقطعة بعدد الأحرف الهجائية بعد إضافة الألف المدية للأحرف الثمانية والعشرين.
- ١٠ سور: بالنداء.
- ٢٣ سورة: بالجمل الخبرية.
- ١٥ سورة: بالقسم.
- ٦ سور: بالشرط.
- ٧ سور: بالأمر، خمس سور بكلمة: ﴿قُلْ﴾، وسورة بكلمة: ﴿اقْرَأْ﴾ وسورة بكلمة ﴿سَبِّحْ﴾.
- ٦ سور: بالاستفهام ﴿هَلْ أَتَى﴾ - ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ - ﴿عَمَّ﴾ - ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ﴾ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ - ﴿أَرَأَيْتَ﴾.
- ٣ سور: بالعذاب والتهديد ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ - ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.
- ١ سورة واحدة بالتعليل ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ﴾.

فيصبح المجموع: «١١٤» سورة وهي عدد سور القرآن الكريم على عدد البسملة الموجودة في القرآن الكريم. حذفت من سورة التوبة وجاءت في سورة النمل في الآية «٣٠». فهذا هو الإعجاز المطلق في القرآن الكريم.

ملاحظة: إن كلمة ﴿قُل﴾^(١) التي وردت في القرآن الكريم بهذا الكم العددي، أي: «٣٣٢» مرة، لم ترد على أي من الانبياء والرسل منذ آدم إلى عيسى عليهم السلام فهي خصوصية للنبي الأمي ﷺ الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين، ويسر القرآن على لسانه هو كما جاء في سورة مريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾﴾^(٢)



(١) سنصدر إن شاء الله قريباً كتاباً مفصلاً بعنوان «من وحي اقرأ وقل» وأشرطة مسجلة بالنطق السليم لهذه الحروف المقطعة.

(٢) سورة مريم، الآيتان: [٩٦ - ٩٧].

المعجزة الكبرى حروف التهجي النورانية المقطعة تعريفها - معانيها - أسرارها الإعجازية

أ - تعريفها: في عددها وتوزيعها

١ - عدد أحرف المعجزة الكبرى هو أربعة عشر حرفاً بعد حذف المكرر والمجموعة في الجملة «نص حكيم له سر قاطع»، مفصلة كما يلي:

- الحرفان الأولان هما: « أ - ح » من التسعة الأحرف الأولى الهجائية: « ا - ب - ت - ث - ج - ح - خ - د - ذ »

- الخمسة الوسطية: « ر - س - ص - ط - ع » من العشرة أحرف الهجائية التي بعدها: « ز - س - ش - ص - ض - ط - ظ - ع - غ »

- والسبعة الأخيرة: « ق - ك - ل - م - ن - ه - ي » وذلك من الأحرف التسعة المتبقية: « ف - ق - ك - ل - م - ن - ه - و - ي ».

٢ - فعدد هذه الحروف النورانية المقطعة يساوي نصف عدد حروف الأبجدية الثمانية والعشرين من غير الألف فهو من حروف المعجزة الكبرى.

٣ - فيها نصف حروف الهمس العشرة المجموعة بقولنا:

«فحثه شخص سكت» وهي: «ح - ه - ص - س - ك»

- وفيها نصف حروف الجهر، وحروف الجهر ما بقي بعد حروف الهمس لأنهما صفتان متضادتان وعددها ثمانية عشر حرفاً ونصفها تسعة أحرف موجودة في أوائل السور وهي: «أ - ط - ي - ل - م - ن - ع - ق - ر».

- وفيها نصف حروف الشدة: «أَجْدُ قَطٍ بَكَتٌ» ففيها أربعة منها هي: «أ - ك - ق - ط».

- وفيها نصف حروف الرخاوة، وحروف الرخاوة ما بقي بعد حروف الشدة وعددها عشرون حرفاً ففيها عشرة أحرف منها هي «ح - م - س - ع - ل - ي - ن - ص - ر - ه».

- حروف الإطباق أربعة هي: «ص - ض - ط - ظ» ونصفها من الحروف النورانية: «ص - ط».

- وعكس الإطباق: الانفتاح، وأحرفه أربعة وعشرون حرفاً بعد حذف حروف الإطباق، ونصفها اثنا عشر حرفاً من الحروف النورانية وهي:

«ح - ر - س - ع - ق - ك - ل - ن - ه - ي - أ - م».

- وحروف الحلق ستة هي: «أ - ه - ع - ح - غ - خ».

ونصفها حروف نورانية هي: «ه - ح - ع».

- والأحرف غير الحلقية اثنان وعشرون حرفاً نصفها نورانية وهي:

«ن - ق - ص - ل - م - ي - س - ك - ط - ر - أ».

وبالاستقراء يمكننا استنتاج الكثير من أسرار هذه الحروف النورانية فهي من أسرار هذا القرآن الكريم .

ب - معانيها: لم يستطع أحد من العلماء الجزم بمعاني هذه الحروف

ولذلك قيل فيها الكثير، من ضمنها بعض المعاني الجديدة للمؤلف التي لم تكن معروفة قبل ذلك ومن هذه المعاني القديمة والحديثة ما يلي:

- أولاً: هذه الحروف للتحدي والإعجاز فلقد خاطب القرآن الكريم العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة وتحداهم في نفيس بضاعتهم التي أقاموا لها الأسواق الأدبية كسوق عكاظ وغيره، وعلّقوا أشعارهم على جدار الكعبة تحت اسم المعلقات السبع، فكأنه يتحداهم بأن هذا القرآن يتألف من هذه الأحرف التي تتكلمون بها فإن كنتم لا تصدقون أنه من عند الله فأتوا بكتاب مثله، أو بحديث مثله، أو بسورة مثله، فإن عجزتم فاعلموا أنه من عند الله القويّ القهار، وليس من عند محمد النبي الأمي ﷺ وهو بشر مثلكم، وكثير من الآيات في القرآن الكريم تشير إلى ذلك منها:

- قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾^(١).

- قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٢).

- قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

- قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٤).

(١) سورة البقرة، الآيتان: [٢٣-٢٤].

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٨٨].

(٣) سورة هود، الآية: [١٣].

(٤) سورة الطور، الآية: [٣٤].

- ثانياً: قال بعض العلماء هي اسم من أسماء الله تعالى تفتح بها السور، فكل حرف منها دلّ على اسم من أسمائه، وصفة من صفاته، فالألف مفتاح اسم: ﴿الله﴾، واللام مفتاح اسمه: ﴿اللطيف﴾ والميم مفتاح اسمه: ﴿المجيد﴾.

- ثالثاً: هي سرّ الله في القرآن والله في كل كتاب من كتبه سر، فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه، ولا يجوز أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها ونقرأها كما جاءت^(١).

- رابعاً: من أسرار معانيها التنبيه وجذب القلوب قال قطرب^(٢):

- كان المشركون ينفرون عند استماع القرآن، فلما سمعوا: ﴿المر﴾ و ﴿المص﴾ استنكروا هذا اللفظ، فلما أنصتوا له ﷺ أقبل عليهم بالقرآن المتألف من هذه الحروف ليثبتته في أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم.

- خامساً: قال بعضهم: «هي السبع المثاني» على اعتبار أن القرآن الكريم هو السبع المثاني كله، أو بعضه وهي من هذا البعض، فنصفها وهي أحرف «ك - م - ن - ق - ص - س - ل» تمدّ مداً زائداً لازماً بمقدار ست حركات. والأحرف الباقية وهي سبعة أيضاً «ا - ح - ي - ط - ه - ر - ع» منها ستة تمد بمقدار حركتين فأما الألف بسكتة لطيفة بمقدار حركتين فهو سر المعجزة، كما قرأ أبو جعفر: ﴿المر﴾ وسائر حروف التهجي من أوائل السور بسكتة يسيرة يفصل بعضها عن بعض وسواء كانت على حرف واحد أو أكثر من ذلك، والباقون لا يسكتون في ذلك ولا يفصلون والله الموفق.

(١) تفسير القرطبي - صفحة (١٣٣).

(٢) قطرب: هو محمد بن المستنير من علماء اللغة المشهورين، كان على مذهب أهل البصرة. توفي سنة ٢٠٦هـ. انظر مباحث علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ص ٢٤٤.

ملاحظة :

أ - افتتحت سورة الشورى بالأحرف ﴿حَمَّ﴾ ﴿عَسَقَ﴾ ﴿يَ﴾ وعددها بالرسم القرآني خمسة أحرف، كما افتتحت سورة مريم بالأحرف ﴿كَهَيْعَصَ﴾ وعددها خمسة أحرف أيضاً.

وقد عدت أحرف سورة الشورى آيتان بينما عدت أحرف مريم آية واحدة لحكمة لا يعلمها إلا الله، وإذا عددنا أحرف سورة الشورى نطقاً وجدناها أربعة عشر حرفاً، بينما نطق أحرف سورة مريم يساوي ثلاثة عشر حرفاً، ولعل في سورة الشورى إشارة إلى السبع المثاني وهو ما طابق حسابنا أن الأحرف الأربعة عشر في فواتح السور: «هي السبع المثاني» وهذا هو السرّ العظيم .

ب - هذا وإن الحروف المقطعة في فواتح السور هي حروف معانٍ خاصة وليست حروف مبانٍ، والفرق بين الأمي والمتعلم هو أن الأمي ينطق مسمّى الحرف والمتعلم ينطق باسم الحرف وصوته، فكيف لنبي أمي ينطق باسم الحرف وصوته وهو لم يتعلم من البشر حرفاً واحداً لا قراءةً ولا كتابةً؟ أقول وبالله التوفيق: هذا هو إعجاز القرآن الكريم المطلق، حيث إن هذه الحروف بالذات مقطعة لها رسم خاص بها موصولة ونطق خاص بها مقطعة باسم الحرف.

ج - كل القرآن الكريم مبني على الوصل في آخر كل آية وسورة، أما الحروف المقطعة فهي مبنية على الوقف بالسكون لكل حرف من هذه الحروف المقطعة.

- سادساً: لم ترد كل هذه الأحرف المقطعة مجموعة في أول القرآن، وإنما كُرت ليكون أبلغ في التحدي والتكرار كما كُرت قصص كثيرة، وكُرت التحدي الصريح في أماكن^(١)، منها ما جاء على حرف واحد مثل:

(١) والتكرار في القرآن لا يسمّى تكراراً إنما هو تأسيس لمعنى جديد.

﴿صَّ﴾، وحرّفين مثل: ﴿حَمَّ﴾، وثلاثة أحرف مثل: ﴿الْمَ﴾، وأربعة أحرف مثل: ﴿الْمَصَّ﴾، وخمسة أحرف مثل: ﴿كَهَيْعَصَّ﴾ لأن أساليب كلامهم منها ما هو على حرف واحد، وعلى حرفين، وعلى ثلاثة، وعلى أربعة، وعلى خمسة، ولا أكثر من ذلك.

- سابعاً: نقلاً عن الإمام ابن كثير^(١) قوله: (ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف المقطعة فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء في تسع وعشرين سورة مثل: ﴿الْمَ﴾ ذلك الكُتِبُ لَا رَبَّ فِيهِ^(٢) ﴿الْمَ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ^(٣) ﴿الْمَصَّ﴾ كُنْتُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ^(٤) ﴿الْمَ﴾ نَزِلُ الْكِتَابِ لَا رَبَّ فِيهِ^(٥) ﴿حَمَّ﴾ نَزِلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٦)، وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر). [اه]

- فواتح السور المبتدئة بالأحرف المقطعة التسعة والعشرين هي:

١ - ﴿الْمَ﴾ ذلك الكُتِبُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدَى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾^(٧).

٢ - ﴿الْمَ﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ

(١) الإمام ابن كثير: هو الإمام الجليل الحافظ عماد الدين، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ. انظر تفسيره طباعة دار المعارف - بيروت - سنة ١٩٨٠م. .

(٢) سورة البقرة، الآيتان: [١-٢].

(٣) سورة آل عمران، الآيات: [١-٣].

(٤) سورة الأعراف، الآيتان: [١-٢].

(٥) سورة السجدة، الآيتان: [١-٢].

(٦) سورة فصلت، الآيتان: [١-٢].

(٧) سورة البقرة، الآيتان: [١-٢].

الْفَرْقَانَ ﴿١﴾.

٣ - ﴿الْمَصَّ ﴿١﴾ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ
وَذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

٤ - ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٣﴾﴾.

٥ - ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَضَّلْتُ مِنْ لَدُنِّي حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿٤﴾﴾.

٦ - ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾.

٧ - ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾.

٨ - ﴿الرَّ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ
رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٧﴾﴾.

٩ - ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾.

١٠ - ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿٢﴾﴾.

(١) سورة آل عمران، الآيات: [١-٤].

(٢) سورة الأعراف، الآيات: [١-٢].

(٣) سورة يونس، الآية: [١].

(٤) سورة هود، الآية: [١].

(٥) سورة يوسف، الآيات: [١-٢].

(٦) سورة الرعد، الآية: [١].

(٧) سورة إبراهيم، الآية: [١].

(٨) سورة الحجر، الآية: [١].

(٩) سورة طه، الآيات: [١-٢].

- ١١ - ﴿طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾^(١) .
- ١٢ - ﴿طسّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾^(٢) .
- ١٣ - ﴿طسّم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾﴾^(٣) .
- ١٤ - ﴿الم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾^(٤) .
- ١٥ - ﴿الم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾^(٥) .
- ١٦ - ﴿يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾^(٦) .
- ١٧ - ﴿ص ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿٢﴾﴾^(٧) .
- ١٨ - ﴿حم ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾^(٨) .
- ١٩ - ﴿حم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾^(٩) .
- ٢٠ - ﴿حم ﴿١﴾ عَسَقَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴿٣﴾﴾^(١٠) .

(١) سورة الشعراء، الآيتان: [٢-١].

(٢) سورة النمل، الآية: [١].

(٣) سورة القصص، الآيتان: [٢-١].

(٤) سورة لقمان، الآيتان: [٢-١].

(٥) سورة السجدة، الآيتان: [٢-١].

(٦) سورة يس، الآيتان: [٢-١].

(٧) سورة ص، الآية: [١].

(٨) سورة غافر، الآيتان: [٢-١].

(٩) سورة فصلت، الآيات: [٣-١].

(١٠) سورة الشورى، الآيات: [٣-١].

- ٢١ - ﴿حَمَّ ۙ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۚ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ۙ﴾^(١) .
- ٢٢ - ﴿حَمَّ ۙ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۚ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۙ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۙ﴾^(٢) .
- ٢٣ - ﴿حَمَّ ۙ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۙ﴾^(٣) .
- ٢٤ - ﴿حَمَّ ۙ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۙ﴾^(٤) .
- ٢٥ - ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۙ﴾^(٥) .
- ٢٦ - ﴿كَهَيَّصَ ۙ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۙ﴾^(٦) .
- ٢٧ - ﴿الْمَ ۙ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا ۙ﴾^(٧) .
- ٢٨ - ﴿الْمَ ۙ غُلِبَتِ الرُّومُ ۙ﴾^(٨) .
- ٢٩ - ﴿نَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۙ﴾^(٩) .

فالنصوص القرآنية السابقة: من «١ الى ١٩» ومن «٢١ إلى ٢٥» تشير

إلى القرآن الكريم صراحة .

أما النصوص الخمسة الباقية: فتخبر بأشياء غيبية كما جاء في سورتي:

- (١) سورة الزخرف، الآيات: [١-٣].
- (٢) سورة الدخان، الآيات: [١-٣].
- (٣) سورة الجاثية، الآيتان: [١-٢].
- (٤) سورة الأحقاف، الآيتان: [١-٢].
- (٥) سورة ق، الآية: [١].
- (٦) سورة مريم، الآيتان: [١-٢].
- (٧) سورة العنكبوت، الآيتان: [١-٢].
- (٨) سورة الروم، الآيتان: [١-٢].
- (٩) سورة القلم، الآية: [١].

- مريم: من ذكر قصة زكريا ويحيى عليهما السلام.
- وسورة الروم: انتصار الروم وهم أهل كتاب على الفرس الوثنيين في بضع سنين .
- وسورة العنكبوت فتطلب من الذين آمنوا بهذا القرآن وبالنبي ﷺ أن يصبروا على الأذى.

- أما سورة القلم فتبين أخلاق النبي ﷺ الذي كان «خلقه القرآن»^(١).

فهذه النصوص الخمسة فيها إشارة إلى القرآن الكريم بأسلوب خفي كما هو الإعجاز في سورة الشورى، رقم ٢٠ من التسلسل السابق وهي تحتوي على أربعة عشر حرفاً عند النطق بها دون باقي السور المعجزة.

- ثامناً: هذه الأحرف المقطعة سر من أسرار الله تعالى ولا يستطيع الجزم بمعانيها أحد، وكذلك الأحرف السبعة الأولى والثانية التي نزل عليها القرآن كما جاء في الحديثين الصحيحين لم يستطع أحد أيضاً أن يجزم بمعانيها ولذلك يمكن الربط بينها .

- تاسعاً: هذه الأحرف أزلية في رأي كثير من العلماء لأنها من كلام الله الأزلي القديم، وإن الاعتقاد بأزلية هذه الأحرف قد أحاطها بجو من التورع عن تفسيرها والتخوف من إبداء رأي صريح فيها، فهي من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله كما قال فيها الشعبي^(٢): «سر هذا القرآن».

(١) لحديث السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عندما سئلت عن خُلُقِهِ ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن». وفي رواية أخرى «كان قرآناً يمشي على الأرض».

(٢) الشعبي: هو عامر بن شراحيل، ويكنى أبا عمر أكبر شيوخ أبي حنيفة، وأحد المشهور لهم بالحديث والفقهاء، أدرك خمس مئة من الصحابة وروي الحديث عن علي بن أبي طالب. توفي سنة ١٠٩ هـ. انظر مباحث القرآن صفحة ٥٠. المرجع السابق.

وفي هذا المعنى يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه: «إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي».

ويقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «في كل كتاب سر، وسر القرآن في فواتح أوائل السور».

ونقل أهل الأثر عن ابن مسعود والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم: «أن هذه الحروف علم مستور وسر محجوب استأثر الله به».

وحتى الذين خاضوا في معنى هذه الفواتح لم يدلوا فيها برأي قاطع، بل شرحوا وجهة نظرهم فيها مفوضين تأويلها الحقيقي إلى الله.

وأزلية هذه الأحرف ما انفكت - على سائر الأقوال - تحيطها بالسرية، وسريتها تحيطها بالتفسيرات الباطنية، وتفسيراتها الباطنية تخلع عليها ثوباً من الغموض لا داعي له، ولا معول عليه، وإدخال تلك الآراء وأعمقها في معنى الغموض قول من عدّ هذه الحروف على كرامة شخص أو شيعة معينة.

فها هو ذا السهيلي^(١) يقول: لعل عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر للإشارة إلى بقاء هذه الأمة.

وها هو ذا الخويبي^(٢) يروي أن بعض الأئمة استخرج من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَسْ رُومٌ﴾ أن بيت المقدس يفتحه المسلمون في سنة

(١) السهيلي: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي صاحب كتاب (مبهمات القرآن) توفي سنة ٥٨١هـ.

(٢) الخويبي: انظر الانتقان (١٦/٢) لعله أن يكون (الخويبي) بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء، وهو الفقيه المناظر أحمد بن خليل بن سعادة صاحب الإمام فخر الدين الرازي المتوفى سنة ٦٣٧هـ.

ثلاث وثمانين وخمسة مائة، ووقع كما قال.

ويروي العز بن عبد السلام أن علياً رضي الله عنه استخرج واقعة معاوية

من: ﴿حَمَّ (١) عَسَّ (٢)﴾ .

ورأي بعض الشيعة في مجموعة هذه الفواتح إذا حذف المكرر فيها ما يفيد أن «صراط علي حق نمسكه» فيرد عليهم بعض السنين الظرفاء بخطاب مستنبط من الفواتح نفسها بحروفها ذاتها غير المكررة «صح طريقك مع السنة»^(١) كما أنه توجد تفسيرات كثيرة لمعاني الحروف النورانية ولم يستطع أحد الجزم بمعانيها فهي سر من أسرار الله تعالى .

ج - أسرارها الإعجازية: إن سرّ حروف المعجزة لفواتح السور يكمن بالرسم العددي في المستفتح به وحيّاً بالنزول ليكون رمزاً للإعجاز رغم تكرار البعض منها لأن رسمها شيء والنطق بها شيء آخر ليكون رمزاً للإعجاز الذي فتح الله علينا بمعرفة حقيقته بالبراهين .

- فرسم الحرف الواحد منها جاء في ثلاث صور هي: ﴿قَ﴾ - ﴿صَ﴾ - ﴿تَ﴾ والنطق بكل حرف منها يتكون من ثلاثة أحرف - أي: « قاف - صاد - نون»

- ورسم الحرفين جاء في عشر سور ولكن سورة ﴿طه﴾ انفردت بنطق خاص عن باقي السور لأن النطق بكل حرف منهما اثنان فيصير مجموعة أربعة أحرف لذا جاء انفراد خصوصيتها استفتاحاً نور على نور بل إعجاز ما بعده إعجاز، أمام أخواتها من السور المستفتحة من حرفين رسماً لأنها تنطق بخمسة أحرف وهي:

(١) مباحث في علوم القرآن - الدكتور صبحي الصالح صفحة ٢٣٧ . المرجع السابق .

- «حم»، أي: حا - ميم .

- «طس»، أي: طا - سين .

- «يس»، أي: يا - سين .

لذا ثبت أن ﴿حَمَّ﴾ فقط وردت في القرآن الكريم: ست مرات

و﴿طَسَّ﴾: مرة واحدة .

و﴿يَسَّ﴾: مرة واحدة .

وعليه يصبح المجموع العددي لرسم الحرفين: ثمانية

- رسم ثلاثة الأحرف: سبعة، ﴿الرَّ﴾: استفتح بها خمس سور قرآنية،

و﴿طَسَّ﴾: استفتح بها سورتين:

- الأولى: تنطق بثمانية أحرف، أي: «الف - لام - را» .

- الثانية: أيضاً تنطق بثمانية أحرف، أي: «طا - سين - ميم» .

- أما ﴿الْمَّ﴾: في ست سور لأنها توافق الرسم الثلاثي بحروفها فهي

الإعجاز الذي يحمل في طياته جلّ الأسرار العددية رسماً كما وردت

استفتاحاً في ست سور ولأن الألف بسكتة بمقدار حركتين واللام ورد ثلاث

عشرة مرة في فواتح السور القرآنية معاً .

فرسمها: ﴿الْمَّ﴾ ونطق الألف بسكتة مستقلة بحركتين، واللام نمدتها

بست حركات، والميم أيضاً «الف - لام - ميم»، أي من تسعة أحرف .

- رسم أربعة الأحرف: اثنان، توجد سورتان في القرآن الكريم يفتتح

بهما ﴿الْمَرَّ﴾ و: ﴿الْمَصَّ﴾ .

- فرسم الأولى: ﴿الْمَرَّ﴾ ونطقها بأحد عشر حرفاً، أي: «الف - لام

- ميم - را» .

- ورسم الثانية: ﴿الْمَصَّ﴾ فنطقها إثنا عشر حرفاً، أي الألف بسكته مقدار حركتين: «الف - لام - ميم - صاد» .

وهنا يكمن السر الأعظم في الإعجاز لورود كل منهما مرة واحدة.

- رسم خمسة الأحرف: اثنان، الأولى: في سورة مريم: ﴿كَهَيْصَ﴾
آية واحدة، أما الثانية: في سورة الشورى ﴿حَمَّ﴾ ﴿عَسَقَ﴾ ﴿يَ﴾

فنطق سورة مريم: «كاف - ها - يا - عين - صاد» هو ثلاثة عشر حرفاً.

ونطق سورة الشورى: «حا - ميم - عين - سين - قاف» هذا هو سر الإعجاز وهو بأربعة عشر حرفاً.

وبكل ما تقدم نرجو من الله أن نكون ممن وفينا حق الأسرار وحقيقة هذه الحروف المعجزه الكبرى بالأدلة القاطعة على أن عدد حروف اللغة العربية الفصحى هو تسعة وعشرون حرفاً كما هو الرسم القرآني التوقيفي عن رب العزة، لا ثمانية وعشرون كما يُتعلّم بها دون إدراك سرها في الإعجاز معني وتدريساً.

وللتوضيح: فالسبعة الأحرف الأولى في فواتح السور القرآنية التي جمعتها عبارة: «سنقص لكم»، أي: «ك - م - س - ل - ن - ق - ص» وقد أجمع العلماء على مدّها ست حركات هذه الأحرف السبعة الأولى.

- والسبعة الأحرف الثانية التي جمعتها عبارة: «حي عا طهر» أي «ح - ي - ع - ا - ط - ه - ر». فمنهم من عدّها خمسة؛ وهؤلاء أجمعوا على مدّ الخمسة منها حركتين مدّاً طبيعياً بدون حرفي «أ - ع» للأسباب التالية:

- حرف العين مختلف في مدّه، فمنهم من قال: يمدّ حركتين ومنهم من قال: يمدّ أربع حركات لأنها حسبت من مدّ حروف اللين والشاطبي^(١) في نظمه قال:

ومدّ له عند الفواتح مُشْبِعاً وفي عينِ الوجهان^(٢) والطولُ فضلاً
- أما حرف الألف فهو مقصور بلا خلاف، أي: ما كان على ثلاثة أحرف وليس فيه حرف مدّ ولين^(٣). فهو السر لهذا الحرف الألف بالذات لأنه له نطق خاص بسكّنة لطيفة باسم الحرف.

وعليه فإن السبعة الأحرف الأولى عند هؤلاء قد أصبحت ثمانية أحرف بإضافتهم لها حرف العين كما جاء في كتبهم نصاً وروحاً؛ بل متناً وشرحاً لاستجماعها بقولهم: «عسل كم نقص» أي: «ع - س - ل - ك - م - ن - ق - ص» والسبعة الأحرف الثانية قد أصبحت عندهم خمسة أحرف بإسقاطهم حرفي الألف والعين كما تقدم والمجموعة في عبارة «حَيّ طهر» أي: «ح - ي - ط - ه - ر».

والصواب عندنا: أن حرف العين في أول سورتي مريم والشورى هو الإعجاز الذي نحن بصدده، وكما بيّنا في السبعة الأحرف الثانية أنه يمدّ حركتين فقط، وقد أضاف الإمام ابن الجزري إمام القراء أنه يجوز مدّ العين حركتين.

وأما حرف الألف فهو أول حرف من حروف هذا الإعجاز كما جاء في أول سورة البقرة، لأن النطق به: سكتة ساكنة بمقدار حركتين بدون تنفس، وممن سبقنا في نطقه بهذه الصورة هو أحد القراء العشر، وهو أبو جعفر

(١) متن الشاطبية ص ٢٩.

(٢) أي: من حروف الفواتح في ﴿كَهَيْعَصَ﴾ إشارة إلى اشباع المدّ وهو المراد بالطول، وإلى عدم الاشباع وهو التوسط، ثم قال: والطول فضلاً، يعني: الاشباع أفضل من التوسط، وهذا الوجهان بجميع القراء [اه الشاطبية ص ٦٠].

(٣) المرجع السابق.

يزيد بن القعقاع المتوفى عام ١٣٠هـ^(١)، الذي أخذ عن عبد الله بن عياش وأبي هريرة وعن أبي بن كعب رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ كما أن العلامة الشيخ محمد متولي شعراوي^(٢) رحمه الله قد نطق به في تفسيره لفواتح السور القرآنية، والحجة عندنا بالدليل والبرهان لقوله ﷺ: «لا أقول لكم - ألم - حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»^(٣) صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما قال.

فهذا هو النطق الصحيح لهذا الحرف بالذات لأنه من حروف المعجزة الكبرى.

وعليه لا بد من أن نستمد حساباتنا من هذه الحروف المعجزة التي حدّدت المدّ لكلٍ منها كما تقدم:

- فحرف الألف الوارد بفواتح السور ثلاث عشرة مرة: ينطق بالسكون بسكّنة لطيفة بمقدار حركتين باسم الحرف.

- أما حرف العين في سورتي مريم والشورى: يُمدُّ حركتين فقط لأنه ليس من الحروف السبعة المعجزة التي تمد ست حركات فهي سبعة فقط.



(١) انظر ترجمته في طبقات القراء ج ٢/٣٨٢، ومعرفة القراء جزء ١/٥٨ وتقريب النشر صفحة ٧٠.

(٢) سبق التعريف به، انظر المرجع السابق.

(٣) رواه: الحديث رواه عبد الله بن مسعود. انظر البخاري في الفتح القريب. في فضل قراءة القرآن، وكذلك أورده القرطبي في الجزء الأول.

معدودات كلمة سبع ومشتقاتها في القرآن الكريم :

- يلاحظ أن كلمة سَبْع معرفة ومُنْكَرَة ومذكّرة ومؤنثة، وردت أربعاً وعشرين مرةً في القرآن الكريم، هي على النحو الآتي:
- ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(١).
 - ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾^(٢).
 - ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾^(٣).
 - ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾^(٤).
 - ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾^(٥).
 - ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾^(٦).
 - ﴿يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾^(٧).
 - ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾^(٨).
 - ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا﴾^(٩).

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٩].

(٢) سورة البقرة، الآية: [٢٦١].

(٣) سورة يوسف، الآية: [٤٣].

(٤) سورة يوسف، الآية: [٤٣].

(٥) سورة يوسف، الآية: [٤٣].

(٦)(٧)(٨) سورة يوسف، الآية: [٤٦].

(٩) سورة يوسف، الآية: [٤٧].

- ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾^(١) .
- ﴿تَسِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾^(٢) .
- المقصود بالأرض سبع أرضين .
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾^(٣) .
- ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٤) .
- ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾^(٥) .
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٦) . فهذا أيضاً سبع أرضين .
- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٧) .
- ﴿سَحَرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾^(٨) .
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٩) .
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾^(١٠) .

(١) سورة يوسف، الآية: [٤٨].

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٤٤].

(٣) سورة المؤمنون، الآية: [١٧].

(٤) سورة المؤمنون، الآية: [٨٦].

(٥) سورة فصلت، الآية: [١٢].

(٦) سورة الطلاق، الآية: [١٢].

(٧) سورة الملك، الآية: [٣].

(٨) سورة الحاقة، الآية: [٧].

(٩) سورة نوح، الآية: [١٥].

(١٠) سورة الحجر، الآية: [٨٧].

- ﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمُ سَبْعًا شِدَادًا﴾^(١) .
- ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَيْجِ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾^(٢) .
- ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾^(٣) .
- ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾^(٤) .
- ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾^(٥) .

أما مشتقاتها فهي سبعون: ذكرت مرة واحدة، وسبعين: ذكرت مرتين،

أي:

- ١ - قال تعالى: ﴿مَرٌّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾^(٦) .
- ٢ - قال تعالى: ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾^(٧) .
- ٣ - قال تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(٨) .
- فأصبح مجموع سبع ومشتقاتها: سبعاً وعشرين مرة .

والأرضين السبع: مرتين .

فالمجموع الكامل هو تسع وعشرون مرة بعدد فواتح السور المبدوءة

- (١) سورة النبأ، الآية: [١٢] .
- (٢) سورة البقرة، الآية: [١٩٦] .
- (٣) سورة الحجر، الآية: [٤٤] .
- (٤) سورة الكهف، الآية: [٢٢] .
- (٥) سورة لقمان، الآية: [٢٧] .
- (٦) سورة الحاقة، الآية: [٣٢] .
- (٧) سورة الأعراف، الآية: [١٥٥] .
- (٨) سورة التوبة، الآية: [٨٠] .

بالحروف المقطعة، وإثباتاً في الإعجاز بعدد حروف اللغة العربية الفصحى والله أعلم.

- لقد وردت آيات الاستواء على العرش في القرآن الكريم كله سبع مرات في سبع مواضع في سبع آيات كما جاء في السور الآتية:

١- ﴿...الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١).

٢- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٢).

٣- ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٣).

٤- ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾^(٤).

٥- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٥).

٦- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٦).

(١) سورة الأعراف، الآية: [٥٤].

(٢) سورة يونس، الآية: [٣].

(٣) سورة الرعد، الآية: [٢].

(٤) سورة طه، الآيتان: [٤-٥].

(٥) سورة الفرقان، الآية: [٥٩].

(٦) سورة السجدة، الآية: [٤].

٧- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١).

كما وأن كثيراً من الآيات ما يستفاد بها تبحراً، ففي سورة ﴿المؤمنون﴾ مثلاً جلّ المراحل التي نحن بصددتها على أهمية الأطوار التي يتكون فيها الإنسان بالقدرة الإلهية وعظمتها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾^(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ^(١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^(١٤)^(٢).

ولقد أجمع العلماء^(٣) على تحديد مراحلها بالسبع مع ما هو متعارف عليه من مشتقات كل من:

الطين - النطفة - القرار المكين - العلقة - المضغة - العظام واللحم - الروح.

أسرار وحكمة كلمة ﴿سَبْعَ﴾: السر في هذا العدد أنه جاء في القرآن - وفي الجماد وفي النبات - وفي الحيوان وفي الطيور والحشرات لقوله تعالى:

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيْرٍ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلِكُمْ﴾^(٤).

- سبع: مراحل خلق وتكوين الإنسان.

(١) سورة الحديد، الآية: [٤].

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: [١٢-١٤].

(٣) انظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن في تفسير سورة المؤمنون. الجزء الثاني عشر، المرجع السابق.

(٤) سورة الأنعام، الآية: [٣٨].

- سبع: في السجود، أي: على سبعة أعضاء.
 - سبع: في الطواف، في الزيارة والعمرة والحج.
 - سبع: في السعي، في الزيارة والعمرة والحج.
- والسر في الحديث النبوي الشريف: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»^(١)

حكيمته فيما توصل إليه الإنسان علمياً:

- سبع فقرات: موجودة بأصغر رقبة عند العصفور.
 - سبع فقرات: موجودة بأطول رقبة عند الزرافة.
 - سبع فقرات: موجودة في رقبة الإنسان.
- كما جاءت حكيمته تعالى بالطيف منذ القدم «قوس قزح» أن ألوانه هي أيضاً سبعة.



(١) رواه البخاري في صحيحه: (٦٦، ١٤٢٣)، والترمذي في سننه: (٢٣٩١)، وفي تاريخ بغداد: (٣٧٨٥/١٧٦/١٠).

علم المبهمات في القرآن الكريم والحكمة منه

١ - فقد يُبهم المعنى أو الاسم في موضع ليُوضح في موضع آخر كقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(١). وتوضيحه بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢).

٢ - وقد يبهم الاسم لاشتهاره كقوله تعالى لآدم: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾^(٣)، والمقصود بزوجه: حواء، فلم تذكر لاشتهارها.

٣ - وقد يبهم للستر عليه وهذا من أدب القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾^(٤)، والمراد: رافع بن حريملة و وهب بن زيد.

٤ - وقد يبهم لأنه لا يكون في تعيينه كبير فائدة كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةً عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾^(٥) أي ليس من فائدة: في ذكر اسمه سواء أكان هو العزير أم غيره.

٥ - التنبيه على التعميم وهو غير خاص بخلاف ما لو عيّن^(٦) كقوله

(١) سورة الفاتحة، الآية: [٧].

(٢) سورة النساء، الآية: [٦٩].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٣٥].

(٤) سورة البقرة، الآية: [١٠٨].

(٥) سورة البقرة، الآية: [٢٥٩].

(٦) البرهان في علوم القرآن - الزركشي صفحة ١٥٩ .

تعالى : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١). قال عكرمة: أقيمت أربع عشرة سنة أسأل عنه حتى عرفته، هو ضمرة بن العيص، وكان من المستضعفين بمكة، وكان مريضاً فلما نزلت آية الهجرة خرج منها فمات بالتنعيم «موضع بمكة» [اه].

٦ - تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢).

فقد نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ألا ينفع مُسطح ابن أئاثه بنافعة أبداً بعد ما قال في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ما قاله في حديث الإفك^(٣).

٧ - تحقيره بالوصف الناقص:

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٤).

والمراد به: الوليد بن عقبة بن أبي معيط^(٥).

(١) سورة النساء، الآية: [١٠٠].

(٢) سورة النور، الآية: [٢٢].

(٣) انظر أسباب النزول للنيسابوري، المرجع السابق. الجزء الثامن عشر من تفسير سورة النور.

(٤) سورة الحجرات، الآية: [٦].

(٥) انظر المرجع السابق. في تفسير سورة الحجرات الجزء السادس والعشرون للمؤلف نفسه.

سبب التصريح باسم مريم وزيد بن حارثة رضي الله عنه في القرآن الكريم

لماذا ذكر اسم مريم صراحةً في القرآن الكريم ولم يذكر أي اسم من النساء غيرها؟ ولماذا ذكر اسم زيد من المسلمين ولم يذكر اسم غيره صراحة؟
أ - وللجواب على ذلك نقول: إذا تتبعنا آيات القرآن الكريم فلا نجد فيه اسم أي امرأة بشكل صريح إلا امرأة واحدة هي مريم أم عيسى عليه السلام، فقد ورد ذكر اسمها صراحةً أربعاً وثلاثين مرة بزيادة مرة عن عمر عيسى عليه السلام قبل رفعه إلى السماء.

والسبب في ذلك أن ملوك العرب والأمراء حسب لغتهم لم يكونوا يذكرون اسم الحرائر من النساء والزوجات صراحةً بل كانوا يذكرون اسم الإماء من غير الحرائر، فجاء القرآن الكريم بلغتهم ليبين أن مريم هي أمّة من عبيد الله وليست آلهة كما يزعم البعض، كما أنها ليست زوجة لله تعالى: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

ب - ذكر القرآن الكريم اسم زيد بن حارثة^(٢) رضي الله عنه صراحةً

(١) سورة المائدة، الآية: [١٧].

(٢) زيد بن الحارثة: هو من موالى رسول الله ﷺ وهبته السيدة خديجة للنبي ﷺ قبل النبوة، وهو ابن ثمانين سنين، وأعتقه الرسول ﷺ وتبناه وزوجه رسول الله ﷺ من مولاته (أم أيمن) فولدت له أسامة بن زيد، وكان قد تزوج من «زينب بنت جحش» التي تزوجها رسول الله ﷺ بعده، والتي فيها أنزل الله الآية القرآنية. انظر السيرة لابن هشام. المرجع السابق.

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفِيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(١).

لأن عادة التَّبَنِّي كانت متأصلةً في نفوس العرب، وقد تبني النبي ﷺ زيدا فكانوا يسمونه زيدا بن محمد ﷺ.

كما كانت العادة عندهم التبني بالادعاء فيقول الرجل منهم أمام الناس: أشهدوا أن فلانا ابني يرثني وأرثه، وهو ليس من صلبه، فأبطل الإسلام هذه العادة بنص القرآن الكريم وبفعل النبي ﷺ الذي تزوج زينب^(٢) زوجة زيد^(٣)، وذكر اسمه صراحة ليكون ذلك شاهداً على إبطال التبني على مرّ العصور والأزمان وفي كل الأمصار والأصقاع.

قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائِكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَم قولكم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾^(٤).



(١) سورة الأحزاب، الآية: [٣٧].

(٢) السيدة زينب أم المؤمنين: وهي زينب بنت جحش بن دئاب الأسدية. زوجها أخوها أحمد بن جحش إلى رسول الله ﷺ وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم. وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ. انظر المرجع السابق لابن هشام ص ٢٩١.

(٣) زيد: انظر المرجع السابق، والتعريف به صفحة ١٣٣ من المؤلف.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: [٤].

هل ورد في القرآن الكريم كلمات غير عربية؟

أ - نزل القرآن بلغة العرب فلا تجوز قراءته بغير العربية لقوله تعالى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١).

- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^(٢).

ب - لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب وأن فيه أسماء أعلاماً لمن لسانه غير لسان العرب كإسرائيل، وجبريل، وعمران، ونوح، ولوط^(٣).

ج - وللعلماء رأيان في ذلك: الرأي الأول: يقول بوجود كلمات غير عربية في القرآن الكريم ويوصلها بعضهم إلى مائة وخمس كلمات منها: الأب - الأرائك - الاستبرق - الإصر - ابلعي - الأسباط - الأسفار - الأكواب . . . إلى آخره^(٤)، وهذه الكلمات برأيهم لا تخرج القرآن عن كونه عربياً صريحاً.

ويُردُّ عليهم بما يلي: من قال إن هذه الكلمات غير عربية لا دليل له على أن العربية أتت من لغاتٍ أخرى فلماذا لا يكون العكس؟ أن تلك

(١) سورة يوسف، الآية: [٢].

(٢) سورة فصلت، الآية: [٤٤].

(٣) تفسير القرطبي - الجزء الأول صفحة (٥٩).

(٤) انظر الجدول المرفق.

اللغات أتت من العربية فهي أمُّ اللغات لأنها الباقية ما بقي القرآن لأنه كلام الله .

وهل يخاطب الله العرب بما لا يفهمونه والقرآن الكريم نزل بلغتهم؟

- فإن قيل : ليست هذه الكلمات على أوزان كلام العرب فلا تكون منه ، قلنا : ومن سلّم لكم أنكم حصرتم أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها^(١) [اه].
واللغة سبقت الأوزان لأن الأوزان والقواعد وُضعت بعد اللغة لا قبلها .

- **الرأي الثاني** : يقول إن كل ما ورد في القرآن من كلام فهو عربي إلا أسماء الأعلام فقد وردت بلغات أقوامهم وهذا عام في كل لغات العالم .

د - مذهب أبي عبيد القاسم بن سلام^(٢) في وجود أو عدم وجود كلمات غير عربية في القرآن الكريم حيث قال : (والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ، إلا أنها دخلت إلى العرب فعربتها بألسنتها ، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن ، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب ، فمن قال إنها عربية فهو صادق ، ومن قال أعجمية فصادق)^(٣) [اه].

ه - وهذا جدول ببيان الكلمات غير العربية الواردة في القرآن الكريم حسب رأي الفريق الأول ومعانيها؛ ويلاحظ أن هذه الكلمات يمكن إرجاعها إلى أصولها وهذا يدل على أنها عربية فكلمة : «حكيم» من الحكمة ، وكلمة : «كورت» تكويراً من الكور وهكذا الحال مع بقية الكلمات .

(١) تفسير القرطبي - الجزء الأول صفحة (٦٠)

(٢) أبو عبيدة : هو القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي أبو عبيدة من كبار أئمة الحديث واللغة والفقهاء . أشهر كتبه «الغريب المصنف» ، وكتاب «الأموال» . توفي سنة ٢٢٤هـ . انظر المباحث في علوم القرآن ، المرجع السابق : صفحة ٦٦ .

(٣) المرجع السابق

| الكلمة | معناها | لغتها | الكلمة | معناها | لغتها |
|----------|--------------|---------|-------------|--------------|-------------|
| الأب | الحشيش | مغربية | البلعي | ازدردى | حبشية |
| الأرائك | السرر | حبشية | الأسباط | القبائل | حبشية |
| الاستبرق | الحرير | فارسية | الأسفار | الكتب | سريانية |
| الإصر | العهد | نبطية | الأكواب | الأكواز | نبطية |
| أليم | موجع | زنجية | إناه | نضجه | بربرية |
| الأوَّاه | الموقن | حبشية | أوَّبي | سبَّحي | حبشية |
| بطائنها | ظواهرها | قبطية | البعير | الجمال | عبرانية |
| البيع | معابد اليهود | سريانية | التنور | المخبز | فارسية |
| التتبير | الهلاك | نبطية | من تحتها | من بطنها | نبطية |
| الجبت | الشیطان | حبشية | جهنم | نار الله | عبرانية |
| حصب جهنم | حطب جهنم | زنجية | وحرَّم | ومنع | حبشية |
| الحطة | الصواب | زنجية | الحواريُّون | الغسالون | نبطية |
| الحُوب | الإثم | حبشية | درستَ | قارأتَ | بلغة اليهود |
| الدرى | المضيء | حبشية | الدينار | نوع من القيد | فارسية |

| | | | | | |
|-----------|---------------|---------|-------------------|---------------|---------|
| الربانيون | العلماء | سريانية | الرحمن | صفة الله | عبرانية |
| الرس | البئر | أعجمية | الرقيم | الوادي | رومية |
| الرمز | تحريك الشفتين | عبرانية | رهواً | ساكناً | سريانية |
| الروم | جيل من الناس | أعجمية | الزنجبيل | نوع من الشراب | فارسية |
| السجل | الورق | حبشية | السجيل | حجر وطنين | فارسية |
| السرادق | الدهلين | فارسية | السري | النهر | سريانية |
| سقر | نار الله | أعجمية | خَرَّوَا سَجِّداً | مطاطيء الرؤوس | سريانية |
| السُّكْرُ | الخل | حبشية | السلسبيل | العذب | أعجمية |
| السندس | الديباج | فارسية | سيدها | زوجها | قبطية |
| سينين | الحسن | حبشية | سيناء | الحسن | نبطية |
| شطره | تلقاه | حبشية | الشهر | ثلاثون يوماً | رومية |
| الصلوات | كنائس اليهود | عبرانية | الطاغوت | الشیطان | حبشية |
| طفقاً | قصداً | رومية | طوبى | الجنة | حبشية |
| الطور | الجبل | سريانية | طوى | ليلاً | عبرانية |
| عبَّتْ | قتلت | نبطية | جنات عدن | كُروم | سريانية |

| | | | | | |
|----------|-----------------|---------|---------|----------------|------------|
| العرم | المياه المتدفقة | حبشية | الغساق | البارود المنتن | تركية |
| غيض | غيب | حبشية | الفردوس | البستان | رومية |
| الفوم | الحنطة | عبرانية | القرطاس | الورق | حبشية |
| القسط | العدل | رومية | القسطاس | الميزان | رومية |
| القسورة | الأسد | حبشية | قطنًا | كتابنا | نبطية |
| الاقفال | معروفة | فارسية | القمل | كبار القردان | عبرانية |
| القنطار | مئة رطل | رومية | القيوم | الذي لا ينام | سريانية |
| الكافور | من الطيب | فارسية | كفر عنا | امح عنا | نبطية |
| كفلين | ضعفين | حبشية | الكنز | مخبؤ النقدين | فارسية |
| كُورت | غُورت | فارسية | من لينة | من شجرة | لسان يهودي |
| المتك | الترنج | حبشية | المجوس | أمة من الناس | اعجمية |
| مرقوم | مسجل | عبرانية | المزجاة | القليلة | قبطية |
| المسك | من الطيب | فارسية | المشكاة | الكوة | حبشية |
| المقاليد | المفاتيح | فارسية | الملكوت | الملك | نبطية |
| المناص | الفرار | نبطية | المنساء | العصا | حبشية |

| | | | | | |
|---------|-----------|------------------------|-------------|----------|---------|
| المُهَل | عكر الزيت | بربرية | ناشئة الليل | قيامه | حبشية |
| هدنا | تبنا | عبرانية | هود | اليهود | اعجمياً |
| هونا | حكيماً | سريانية | هَيْتَ | تعالى | عبرانية |
| الوزر | الملجأ | نبطية | ياقوت | حجر كريم | فارسية |
| يحور | يرجع | حبشية | يصدون | يضجون | حبشية |
| اليم | البحر | سريانية ^(١) | | | |

(١) سريانية: سيتم توضيح أصل هذه الكلمات ورجوعها إلى العربية في الطبعة القادمة. بعد التعديل والتنقيح وبيان الأدلة والمدلولات القرآنية الشرعية على أصلتها العربية.

القرآن الكريم والشعر

قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعَعَهُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾^(١).

أ - شعراء المشركين غاؤون يتبعهم من هو على شاكلتهم من الإنس والجن وقال بعضهم عن هؤلاء الشعراء:

الشاعر إن هزل أضحك، وإن جدّ كذب، فالشاعر بين كذبٍ وضحك، ولذلك نزه الله رسوله عن الشعر.

ب - حكم الشعر: مباح، ومكروه، ومحرم.

روى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه قال: ردت رسول الله محمد ﷺ يوماً فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء»، قلت: نعم، قال: «هيه»^(٢) فأنشدته بيتاً فقال «هيه» ثم أنشدته بيتاً فقال: «هيه» حتى أنشدته مائة بيت.

وفي هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعاً وطبعاً.

(١) سورة الشعراء، الآيات: [٢٢٤-٢٢٧].

(٢) هيه: بكسر الهاء. كلمة يراد بها الإستزادة. انظر مختار القاموس، ترتيب الطاهر الزاوي ص ٦٤٥. الدار العربية للكتاب منشورات سنة ١٩٨٤ م.

ج - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «حَسَنَ الشعر كحسَن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام»^(١).

- والشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم فهو المتكلم بالباطل فيفضل أجبن الناس على عنترة، وأبخلهم على حاتم الطائي، كشعر الأخص وعمر بن أبي ربيعة ومن على شاكلتهما^(٢).

د - وَلَقَدْ بَوَّبَ بَوَّبَ الْبَخَارِي فِي صَحِيحِهِ - باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً حتى يُريه خير من أن يمتلئ شعراً».

وهذا في شعر الهجاء والمدح الكاذب للتكسب وفي الغالب عليه الشعر وتركه ذكر الله .

ومعنى «يُريه»: من الوري: كالرُمي وهو أن يدوي جوفه، وفي الصحاح ورى القيح جوفه يُريه ورِيّاً: إذا أكله^(٣).

هـ - وفي الحديث عن الشعر الذي يردّ به حَسَّان^(٤) على المشركين: «إنه لأَسْرَع فيهم من رشق النبل». أخرجه مسلم - وعن أنس رضي الله عنه أن النبي محمد ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة^(٥)

(١) رواه الحاكم بسند جيد.

(٢) انظر المقتطفات من الأدب العربي. طه حسين. دار المعارف القاهرة ١٩٧٨م.

(٣) انظر مختار الصحاح الرازي، ترتيب محمود خاطر. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب صفحة ٧١٨.

(٤) حسان: هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام. عاصر الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام. توفي في خلافة معاوية.

(٥) عبد الله بن رواحة: صحابي جليل من أوائل من أسلم، وشارك في العديد من الغزوات وكان أحد القادة الأربعة في غزوة مؤتة، والتي استشهد فيها، وكان حريصاً على الدعوة وغيوراً على الإسلام والمسلمين.

يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقلبه ويذهل الخليل عن خليله
فقال عمر: يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله ﷺ، فقال
رسول الله ﷺ: «خلّ عنه يا عمر فلَهُو أسرع فيهم من نضح النبل». رواه
الترمذي وصححه.

و - من الشعر المحمود قول محمد بن سابق^(١) حيث قال:

إني رضيت علياً للهدى علماً كما رضيت عتيقاً صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وشيعته وما رضيت بقتل الشيخ بالدار
كل الصحابة عندي قدوة علم فهل عليّ بهذا القول من عار
إن كنت تعلم أنني لا أحبهم إلا من أجلك فاعتقني من النار.
ز - ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم، ولا
من أولي النهى، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم، ولا من
أولي النهى والقدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثّل به، أو سمعه، فرضي
منه ما كان حكمة أو مباحاً، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم
أذى، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا
قوله^(٢) [اه].

وعن أبي هريرة قال رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر
يقول: «أصدق كلمة - أو: أشعر كلمة - قالتها العرب قول لبيد: ألا كل
شيء ما خلا الله باطل» - أخرجه مسلم.

(١) محمد بن سابق: انظر معجم الأدياء لياقوت الحموي. طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت - .

(٢) تفسير القرطبي (٣٦٨٤).

ح - قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(١) .

أي : صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام، فالقرآن كله حق، وصدق، وعدل، وهدى، ليس فيه مجازفة، ولا كذب، ولا افتراء كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات التي لا يحسن شعرهم إلا بها .

كما قيل في الشعر: «إِنْ أَعَذَبَهُ أَكْذَبَهُ»^(٢) .

- وتجد في القصيدة الطويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النساء، أو الخيل، أو الخمر، أو في مدح شخص معين، أو فرس، أو ناقه، أو حرب، أو شيء من المشاهدات المتعينة التي لا تفيد شيئاً إلا قدرة المتكلم المعين على الشيء الخفي أو الدقيق، ثم تجد له فيه بيتاً أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيدة وسائرهما هذر لا طائل تحته .

ملاحظة:

القرآن الكريم نزل بلغة العرب وهو مسجل في أم الكتاب بهذه اللغة قبل وجود الثقلين وحتى قيام الساعة، وللتأكيد والتوضيح والبيان:

- قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾^(٤) .

- قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾^(٤) .

(١) سورة الأنعام، الآية: [١١٥].

(٢) من كلام العرب: انظر مقتطفات من الأدب العربي. طه حسين، دار المعارف المصرية. القاهرة طبعة ١٩٧٨م. صفحة رقم ١٠٨. مجلد واحد.

(٣) سورة الزخرف، الآيتان: [٣-٤].

(٤) سورة يوسف، الآية: [٢].

- قال تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(١).

- قال تعالى: ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٢).

نزل به الروح الأمين عليه السلام بلغة هي أم اللغات في الدارين كما هو معروف بالآثر عن النبي ﷺ.

وإن أول لغة تلقاها أبو البشرية عن رب العز مباشرة دون وسيط لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٣)، كما تلقتها الملائكة عن ربها أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤).

حتى المعلقات السبع قبل الإسلام لا ذكر فيها لأي لهجة من لهجات العرب كما يدعون بل كُتِبَتْ باللغة العربية الفصحى ولا زالت معتمدة عند أهل اللغة إلى يومنا هذا^(٥).



(١) سورة النحل، الآية: [١٠٣].

(٢) سورة الشعراء، الآية: [١٩٥].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٣١].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٣٠].

(٥) انظر المعلقات السبع شرح الأنباري. طباعة دار الكتب المصرية بدون تاريخ. انظر المعلقات السبع شرح أبي سعيد العزيز وأبي جابر. - دار الكتب المصرية بدون تاريخ -

فوائد من القرآن الكريم

القرآن الكريم كله فوائد، ولا يمكننا في هذا المبحث أن نحصرها أو أن نسردها ولكن نذكر شيئاً منها لتبيان عظيم فوائده، والتي منها:

١ - قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَنْوَأَ عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١).

فقد نادى: يا، وكنت: أي، ونبّهت: ها، وسمت: النمل، وأمرت: ادخلوا، وقضت: مساكنكم، ونهت: لا يحطمنكم، وخصت: سليمان، وعممت: وجنوده، وعذرت: وهم لا يشعرون.

٢ - ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

فقد اشتملت الآية على أمرين: أرضعيه، وألقيه.

ونهيين: لا تخافي، ولا تحزني.

وبشارتين: رآدوه إليك، وجاعلوه من المرسلين.

٣ - سورة ليس فيها ذكر الجنة والنار وهي: سورة يوسف عليه السلام.

٤ - سورة لا تخلو كل آية من آياتها من كلمة الله هي: سورة المجادلة.

٥ - عدد أحرف أكبر كلمة في القرآن الكريم يوجد في الكلمات

التالية: ﴿لَيْسَتْخَلْفَنَّهُمْ﴾^(٣) - ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مَكْمُوهًا﴾^(٤) - ﴿فَأَسْفَيْنَاكُمُوهُ﴾^(٥).

(٤) سورة هود، الآية: [٢٨].

(٥) سورة الحجر، الآية: [٢٢].

(١) سورة النمل، الآية: [١٨].

(٢) سورة القصص، الآية: [٧].

(٣) سورة النور، الآية: [٥٥].

٦ - هاء السكت هي: هاء ساكنة زيدت في آخر الكلمة لبيان الحركة وتوجد في سبع كلمات بالقرآن الكريم هي:

- ﴿يَتَسَنَّهٗ﴾^(١).

- ﴿أَقْتَدِهٖ﴾^(٢).

- ﴿هَٰؤُمْ أَقْرَءُوا كِنْيَةً ۖ إِنِّي طَنَتُ أَنِّي مَلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾^(٣).

- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾^(٤).

- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾^(٥).

٧ - ضم حفص^(٦) هاء الضمير المكسورة التي قبلها ياء ساكنة أصلاً في موضعين:

- ﴿وَمَا أُنْسِنِيهِ﴾^(٧).

- ﴿أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾^(٨).

٨ - آيتان جمعتا كل حروف الهجاء وهي:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسَهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٥٩].

(٢) سورة الأنعام، الآية: [٩٠].

(٣) سورة الحاقة، الآيتان: [٢٠-١٩].

(٤) سورة الحاقة، الآيتان: [٢٩-٢٨].

(٥) سورة القارعة، الآية: [١٠].

(٦) حفص: هو حفص بن سليمان الأسدي الكوفي، أخذ الرواية عن عاصم بن أبي النجود الكوفي. انظر التعريف بالمصحف الشريف. طبعة دار طيبة للنشر. ط ٢٠٠٠م.

(٧) سورة الكهف، الآية: [٦٣].

(٨) سورة الفتح، الآية: [١٠].

مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ
كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ
عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾ .

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرِزَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ
يُعِجِبُ الرُّزَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴿٢﴾ .

٩ - الآية التالية تحتوي ستة عشر ميمًا:

﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ
سَمِعَتْهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣﴾ .

١٠ - توجد في القرآن الكريم أربع آيات فقط مبدوءة بحرف الشين هي:

- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ
الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴿٤﴾ .

- ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ .

(١) سورة آل عمران، الآية: [١٥٤].

(٢) سورة الفتح، الآية: [٢٩].

(٣) سورة هود، الآية: [٤٨].

(٤) سورة البقرة، الآية: [١٨٥].

(٥) سورة آل عمران، الآية: [١٨].

- ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَّهُ وَهَدَنُهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

- ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(٢).

١١ - في القرآن الكريم آيتان فقط آخرهما حرف الشين هما:

- قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾^(٣).

- قوله تعالى: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾^(٤).

١٢ - توجد كلمتان متتابعتان لا فاصل بينهما:

- الأولى قوله تعالى: «فيه فيه» في قوله تعالى: ﴿لَا نُفَعُ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٥).

- الثانية لفظ الجلالة «الله الله» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾^(٦).

١٣ - موضعان في القرآن الكريم فيهما حرف الحاء متتابعان بدون فاصل بينهما أيضاً:

- الأول في قوله تعالى: ﴿... وَلَا تَعَزَّمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ...﴾^(٧).

(٥) سورة التوبة، الآية: [١٠٨].

(١) سورة النحل، الآية: [١٢١].

(٦) سورة الأنعام، الآية: [١٢٤].

(٢) سورة الشورى، الآية: [١٣].

(٧) سورة البقرة، الآية: [٢٣٥].

(٣) سورة الفارعة، الآية: [٥].

(٤) سورة قريش، الآية: [١].

- الثاني في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (١).

- أول ما نزل من القرآن الكريم هو حرف الألف:

قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلَمْ يَكُنْ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ (٢).

وآخر ما نزل من القرآن هو الألف أيضاً:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣).

١٤ - السر الإعجازي في نزوله وختامه: إن أول ما نزل من القرآن الكريم بالوحي الجلي بالتلقين للنبي الأمي ﷺ هو جل الإعجاز الحقيقي للروابط المتينة في حروفه وكلماته وآياته وسوره، مثال:

- ﴿أَقْرَأْ﴾: عددها بعدد حروف لفظ الجلالة رسماً «الله»، والدلالة فيها حسابياً هو ما صحَّح في الحديث (٤) أن كلمة أقرأ قد تكررت ثلاث مرات وحيماً على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام وجاءت الرابعة أمراً بالقراءة القرآنية حتى قيام الساعة.

وللتوضيح أنها افتتحت وختمت بالألف لأن الألف هو أول حرف من لفظ الجلالة الله، كما أن الله هو الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء.

فسر الإعجاز هنا مجيء الألف التي احتضنت اقراً بداية ونهاية للربط بين: ﴿باسم ربك﴾ نزولاً لأنه المتولي تربية للإيجاد من عدم، وإمداده من عدم، وبين: ﴿بسم الله﴾ تلاوة.

(٣) سورة المائدة، الآية: [٣].

(١) سورة الكهف، الآية: [٦٠].

(٤) أخرجه البخاري: باب بدء الخلق.

(٢) سورة العلق، الآيات: [١-٥].

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ : سبعة أحرف رسماً ونطقاً.
- ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ : سبعة أحرف رسماً ونطقاً.
- أجمع علماء المسلمين على أن البسملة جزء من آية من سورة النمل لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(١).

- فنزل بها الروح الأمين «جبريل عليه السلام» على قلب النبي الأُمِّي ﷺ بالوحي الجلي ليعلمه رسم البسملة فوق السطر مستقلة بذاتها وحدها في كل سورة ما عدا سورة التوبة.

فهي لم تنزل آية مع أي سورة من سور القرآن الكريم ولكنها نزلت جزء من الآية في سورة النمل الآية: [٣٠]، فرسمها توقيفي عن رب العالمين، وقد قال رسول الله ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله هو أبترا»^(٢).

ولذلك أرى قراءتها حتمية في افتتاح السورة في صلاة الجهرية جهراً وفي السر سراً في الصلاة وخارج الصلاة لأنها من القرآن الكريم فالحسنات كثيرة في قراءتها تعد بالآلاف لقول النبي ﷺ:

«من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها»^(٣).

فإذا كان هذا العدد من الحسنات في اليوم فما بالك في الشهر أو في السنة أو في العمر كله، فعجباً لمن ضيَّع كل هذه الحسنات بدون دليل قطعي ولا برهان^(٤)، وخاصة إذا كان إماماً. كأنه لم يقرأ ماذا قال الله جلَّ جلاله لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٥).

(١) سورة النمل، الآية: [٣٠].

(٢) رواه الخطيب والسبكي، ورواه الدارقطني في سننه بلفظ بذكر الله.

(٣) رواه عبد الله بن مسعود. انظر البخاري في الفتح القريب، في فضل قراءة القرآن، وكذلك أورده القرطبي في الجزء الأول من تفسيره.

(٤) سيتم بيان أحكام البسملة ودليل قراءتها في الفاتحة والسورة معاً في الصلاة الجهرية والسرية. من الطبعة الثانية للمؤلف، وهي طبعة منقحة ومزودة بالدليل والبرهان.

(٥) سورة البقرة، الآية: [١٢٤].

١٤ - الإعجاز العددي في القرآن الكريم^(١): لقد أكرمنا بفضل الله ومنه بخلاصة كافية عن الإعجاز العددي نثبتها كما وردتنا بالأرقام العجيبة، والتوافقات الغريبة التي تُعتبر وجها من التوازن والتساوي، والتناسب في الإعجاز العددي في القرآن الكريم المشار إليه في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾^(٢)، فهي تدل على أن كل ما في القرآن الكريم يحكمه التوازن، وسيجد كل باحث ودارس في القرآن الكريم في موضوعاته، بل في حروفه وكلماته من أوجه الإعجاز ما يبهر العقول ويدل دلالة قاطعة على أنه من عند الله وعلى حقيقة نبوة سيدنا محمد ﷺ، والفتح ما زال مستمراً لكل باحث على الحقيقة بعلم.

| أعدادها | الموضوعات | أعدادها | الموضوعات |
|---------|---|---------|-------------------------------|
| ٨١١ | العلم والمعرفة والإيمان بمشتقاتها | ١١٥ | الدنيا والآخرة |
| ٣٦٨ | متاع الانسان من رزق ومال وبينين | ٧١ | الحياة والموت |
| ٥ | الأسباط والحواريون والقيسيون | ٦٨ | الشیطان والملائكة |
| ٧ | الفرقان وبني آدم | | البصر والبصيرة والقلب والفؤاد |
| | الملكوت وروح القدس | ١٤٨ | بمشتقاتها |
| ٤ | ومحمد والسراج | ٥٠ | النفع والفساد |
| ١٣ | الركوع والحج والطمأنينة | ٤ | الصيف والحر |
| ٦٨ | القرآن والملائكة والوحي | ٥ | الشتاء والبرد |
| ٧٠ | الإسلام ويومئذ ويوم القيامة | ٤٥ | البعث والصراف |
| ١٠ | رسالة الله وسور القرآن | | السيئات والصالحات كل منهما |
| ٩٩ | الصلاة ومشتقاتها بعدد أسماء الله الحسنى | ١٦٨ | بمشتقاتها |
| ١١ | إبليس والإستعاذة منه | ٢٦ | الحكم والعتاب |
| ٦٠ | السحر والفتنة | ١٣ | الفاحشة والغضب |
| ٧٥ | المصيبة والشكر ومشتقاتها | ٥ | الأصنام والخمر والخنزير |
| ٧٣ | الإنفاق والرضى | ٥ | البغضاء والحطب والتنكيل |
| ١٢ | البخل والحسرة والطمع والجحود | ٥ | الحسد والرعب والخيبة |
| ٢٣ | الإسراف والسّرعَة | ١٣ | اللّعة والكراهية |
| ٣٧ | السلطان والنفاق والإبتلاء | ١٠ | الرجس والرجز |
| ١٠ | الجبر والقهر والعتو | ١٣ | الضيق الطمأنينة |
| ٢٧ | العُجبُ والغرور | ٣١ | الطُّهر والإخلاص |

(١) انظر المصحف المعلم ط دار الفكر/بيروت.

(٢) سورة الشورى، الآية: [١٧].

| أعدادها | الموضوعات | أعدادها | الموضوعات |
|---------|---------------------------------|---------|--------------------------------|
| ٧٥ | القليل والشكور | ١٦ | الخيانة والخبث |
| ١٤ | الحرث والزراعة والفاكهة والعطاء | ١٥٤ | الكافرون والنار |
| ٢٦ | الشجر والنبات | ١٧ | الضالون والموتى |
| ١٢ | النطفة والطين والشقاء | ٤١ | المسلمون والجهاد |
| ١٦ | الألباب والأفتدة | ٩٢ | الدين والمساجد |
| ١٠٢ | الشدة والصبر | ٦٢ | التلاوة والصلوات |
| ٢٨ | المصير والأبد واليقين | ٦٧ | الصلاة والمناجاة |
| ٢٤١ | الناس والملائكة والعالمين | ٣٢ | الزكاة والبركات |
| ١٩١ | الضلالة والآيات | ١٤ | الصيام والصبر والدرجات والشفقة |
| ١٩٤ | الآيات والإحسان والخيرات | ٤٩ | العقل والنور |
| ٣٦٨ | الرسول والأنبياء وأسمائهم | ٢٥ | اللسان والموعظة |
| ٦٨ | القرآن والنور والحكمة والتنزيل | ٥٠ | السّلام والطّيبات |
| | القرآن والبينات ومبينات | ٦ | الحرب والأسرى |
| ٦٨ | وموعظة وشفاء | ٧٩ | الهدى والرحمة |
| ٤ | محمد والشريعة | ٨٣ | المحبة والطاعة |
| ١٢ | الشهر تكرر بعدد شهور السنة | ٢٠ | البر والثواب |
| ٣٦٥ | اليوم تكرر بعدد أيام السنة | ١٣ | القنوت والركوع |
| ٢٩ | الحساب | ٨ | الرغبة والرهبنة |
| ٢٩ | العدل والقسط | ١٦ | الجهر والعلانية |
| ١١٧ | الجزاء | ٢٢ | الغواية والخطأ والخطيئة |
| ٢٣٤ | المغفرة ضعف الجزاء | ٢٤ | الفحشاء والبغي والإثم |

آيات الوعد: ١٠٠٠، آيات الوعيد: ١٠٠٠.

آيات الأمر: ١٠٠٠، آيات النهي: ١٠٠٠.

آيات الأخبار والقصص: ١٠٠٠، آيات الأمثال والعبر: ١٠٠٠.

الفواصل في القرآن الكريم

تمهيد

أ - الفاصلة: هي آخر كلمة في الآية كفاية الشعر وقرينة السجع^(١).

ب - وهي تختلف عن السجع لأن المعنى في السجع يتبع اللفظ، أما في الفاصلة فاللفظ تابع للمعنى لأن الكلام انتظم في نفسه بألفاظ تؤدي المعنى المقصود فيه.

ج - وما قاله بعضهم في تقديم هارون على موسى تارة وتأخيرها تارة لأجل السجع فمردود بل الفائدة فيه إعادة القصة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحداً ولهذا أعيدت قصص كثيرة بألفاظ مختلفة على ترتيبات متقاربة، تنبيهاً على عجز الناس أن يأتوا بمثله مبتدأً أو مكرراً.

د - والذي دعا العلماء إلى تسمية ما في القرآن فواصل ولم يسموه سجعاً هو تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام وعن تنزيهه عن سجع الكهان.

هـ - وقد ورد السجع في بعض القرآن وورد بعضه غير مسجوع وفقاً لكلام العرب وعاداتهم لأن كلامهم كان كذلك والقرآن عربي ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

(١) انظر مختار الصحاح للإمام الرازي. ترتيب محمد خاطر طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب صفحة ٥٠٥. ط. بدون تاريخ.

(٢) سورة يوسف، الآية: [٢].

إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل

إذا اطردت الفواصل أثرت في النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك يُخرَجُ عن نظم الكلام لأجلها. وتكون هذه الفواصل بالآتي:
أولاً: بزيادة حرف أو أكثر.

أ - فمن ذلك زيادة الألف بكلمة الظنوناً في قوله تعالى: ﴿بَيَّأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾^(١).

لأن آخر الآيات تنوين نصب يوقف عليه بالألف فأضيفت الألف لكلمة الظنون مراعاةً للفاصلة.

ب - ومثلها كلمة الرسولاً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولًا﴾^(٢).

ج - وكذلك زيادة هاء السكت في «ما هيه» في قوله تعالى: ﴿فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾^(٣).

د - ومثلها زيادة الواو والنون في «يسبحون» في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٤).

ثانياً: بحذف حرف أو همزة، كقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١٠﴾ وَلِيَالٍ

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: [٩ - ١٠].

(٢) سورة الأحزاب، الآية: [٦٦].

(٣) سورة القارعة، الآيتان: [٩ - ١٠].

(٤) سورة يس، الآية: [٤٠].

عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ ﴿١﴾ ، حذفت الياء من كلمة يسري .

ثالثاً: الجمع بين المجرورات لتبقى الفاصلة في آخر الآية، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾^(٢) .

فهنا ثلاثة أحرف جر متتابعة هي: (اللام، على والباء) ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾^(٣) .

فآخر الفاعل وهو النذر عن المفعول به وهو آل لأجل الفاصلة .

رابعاً: إفراد ما أصله أن يجمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾^(٤) . فقد أفرد كلمة نهر للفاصلة .

خامساً: جمع ما أصله أن يفرد ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾^(٥) والأصل ولا خلة بالإفراد .

سادساً: تأنيث ما حقه أن يذكر ﴿كَلَّا إِنَّهَا نَذِيرَةٌ﴾^(٦) .

سابعاً: صرف ما حقه أن لا ينصرف، كقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾^(٧) قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا^(٧) .

فكلمة قواريراً ممنوعة من الصرف لأنها على صفة منتهى الجموع وَنُوتَتْ عند بعضهم مراعاةً للفاصلة وناسبت قواريراً الثانية الأولى فجاءت على لفظها .

(١) سورة الفجر، الآيات: [١ - ٤] .

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٦٩] .

(٣) سورة القمر، الآية: [٤١] .

(٤) سورة القمر، الآية: [٥٤] .

(٥) سورة إبراهيم، الآية: [٣١] .

(٦) سورة عبس، الآية: [١١] .

(٧) سورة الإنسان، الآيتان: [١٥-١٦] .

ثامناً: العدول عن الماضي إلى المضارع في قوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(١)، ولم يقل قتلتم وغير ذلك مما ورد في القرآن الكريم لمناسبة الفواصل.

تقسيم الفواصل إلى متماثل ومتقارب

١ - المتماثل: ما تماثلت فيه حروف المقاطع، كقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَيْبِ﴾^(١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴿٢﴾ وهذا يكون في السجع.

٢ - المتقارب: وهو ما تقاربت فيه حروف المقاطع ولم تتماثل كقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾.

قال الشافعي: «إن بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة باعتبار الفواصل، فالفواصل عنده بها (الرحيم - العالمين - الرحيم - الدين - نستعين - المستقيم - الضالين) أما من لم يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة فقد عدّ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٤) آية. ووقف على كلمة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ وهي لا تناسب الفواصل في سورة الفاتحة».

تقسيم الفواصل إلى متوازن ومتوازٍ ومطرف

١ - المتوازن: أن تتفق الكلمتان في الوزن وحرف السجع، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ﴾^(١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿٥﴾.

(١) سورة البقرة، الآية: [٨٧].

(٢) سورة التكوير، الآيات: [١٥ - ١٨].

(٣) سورة الفاتحة، الآيتان: [٣ - ٤].

(٤) سورة الفاتحة، الآية: [٧].

(٥) سورة الغاشية، الآيتان: [١٣ - ١٤].

(مرفوعة) (وموضوعة) آخرهما عين وتاء مربوطة، وزنهما مفعولة.

٢ - المتوازي: أن يراعى في مقاطع الكلام الوزن فقط دون السجعة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١﴾﴾. فمصفوفة ومبثوثة على وزن مفعولة.

٣ - المطرف: أن يتفقا بحروف السجع دون الوزن، كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿٢﴾﴾.

ملاحظة:

١ - أفضل السجع ما تساوت قرائنه فإن أبياته متساوية، كقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣﴾﴾.

٢ - ثم يأتي بعده السجع الذي طالت قرينته الثانية أو الثالثة كقوله: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٤﴾﴾.

اختلاف الفاصلتين والمحدث عنه واحد

وهذا كثير في القرآن الكريم ومن أمثلته:

أ - المثال الأول: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦﴾﴾.

(١) سورة الغاشية، الآيتان: [١٥ - ١٦].

(٢) سورة نوح، الآيتان: [١٣ - ١٤].

(٣) سورة الواقعة، الآيات: [٢٨ - ٣٠].

(٤) سورة العصر، الآيات: [١ - ٣].

(٥) سورة إبراهيم، الآية: [٣٤].

(٦) سورة النحل، الآية: [١٨].

فالمعطي للنعم هو الله والآخذ هو الإنسان: فالإنسان له وصفان ظلم كفار ويقابلها صفتان لله تعالى هما «غفور» و«رحيم»، أي: أقابل ظلمك يا عبدي بغفراني وكفرك برحمتي. لكن ما الحكمة بتخصيص آية النحل بذكر المنعم، وآية إبراهيم بذكر المنعم عليه؟

والجواب: أنه إذا تتبعنا سياق الآيات التي قبل هاتين الآيتين نجد أن الآيات التي قبل آية إبراهيم تتكلم عن صفات الإنسان، والآيات التي قبل آية النحل تتكلم عن صفات الله تعالى ولهذا اختلفت الفاصلتان والمتحدث عنه واحد.

ب - المثل الثاني: قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(١).
وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

وحكمة فاصلة الأولى أن قبلها:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٣)، فناسب الختام بفاصلة البعث: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾^(٤).

لأن قبله وصفهم بإنكار البعث، وأما الأخرى فالختم بها مناسب لأنه لا يضيع عملاً صالحاً ولا يزيد على من عمل شيئاً آية سيئات.

ج - ونظيره قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٥). ومرة بقوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٦).

(١) سورة الجاثية، الآية: [١٥].

(٢) سورة فصلت، الآية: [٤٦].

(٣) سورة الجاثية، الآية: [١٤].

(٤) سورة الجاثية، الآية: [١٥].

(٥) سورة النساء، الآية: [٤٨].

(٦) سورة النساء، الآية: [١١٦].

لأن الأولى نزلت في اليهود وهم الذين افتروا على الله ما ليس في كتابه، والثانية نزلت في الكفار ولم يكن لهم كتاب وكان ضلالهم أشد وأمثلة ذلك كثير في القرآن^(١).

اتفاق الفاصلتين والموضوع مختلف

كقوله تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾^(٢).

أي: فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن وهي العبادة. أما الثانية: فتدعو إلى ترك الشرك واجتنابه، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٣).

فوائد الفواصل

للفواصل فوائد كثيرة منها:

١ - تمكين المعنى: كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

فبعث الرسول تولية والتولية لا تكون إلا من عزيز غالب وتعليم الرسول الحكمة لقومه يستند إلى حكمة مُرسله لأن الرسول واسطة بين المرسل، والمرسل إليه فلا بد أن يكون حكيماً. فلا جرم أن يكون اقتراهما مناسباً وكقوله تعالى على لسان عيسى بالنسبة لقومه: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥).

(١) انظر أسباب النزول للنيسابوري ط. دار الفجر الإسلامي - بيروت - دمشق طبعة الثالثة سنة ١٩٩٢م.

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: [٥٠ - ٥١].

(٣) سورة النحل، الآية: [٣٦].

(٤) سورة البقرة، الآية: [١٢٩].

(٥) سورة المائدة، الآية: [١١٨].

ولم يقل الغفور الرحيم بالفاصلة.

فإنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه وهذه هي العزة والعزيم هو الغالب، والحكيم من يضع الشيء في محله. والله كذلك إلا أنه قد يخفى وجه الحكمة فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة فكان الوصف بالحكيم احترازاً حسناً، أي: وإن تغفر لهم مع استحقاقهم للعذاب فلا يعترض عليك أحد في ذلك.

- وقيل: لا يجوز الغفور الرحيم لأن الله تعالى قطع لهم بالعذاب في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾^(١).

- وقيل: لا يجوز الغفور الرحيم لأنه يكون على سبيل الدعاء، والدعاء لمن مات على الكفر لا يجوز وقد وردت هذه العبارة: ﴿العزيم الحكيم﴾/٢٩/ مرة في القرآن الكريم، وعبارة: ﴿عزيماً حكيماً﴾ فقد وردت /٥/ مرات في القرآن الكريم، أما ﴿حكيم عليم﴾ فعددتها خمسة: ثلاثة في الأنعام، وفي الحجر واحدة، وفي النمل واحدة.

2 - الإيغال في المعنى:

أ - الإيغال: تجاوز المعنى الذي يتكلم به المتكلم إلى أن يبلغ الزيادة عن الحد. يقال: أوغل في الأرض إذا بلغ منتهاها، وهكذا المتكلم يذيع معناها ثم يتعداه بزيادة فيه فيكون قد أوغل^(٢).

ب - أمثلة عن الإيغال: كقوله: ﴿وَلَا تَسْمِعُ أَصْمَمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾^(٣).

(١) سورة النساء، الآية: [٤٨].

(٢) انظر مختار الصحاح. المرجع السابق صفحة ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٣) سورة النمل، الآية: [٨٠].

فقد تمّ المعنى عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْمِعُ أَصَمَّ الدُّعَاءَ﴾^(١)، ثم زاد على ذلك بالفاصلة فقال: ﴿إِذَا وَلَوْ مُدْبِرِينَ﴾^(٢).

وزاد بكلمة مدبرين بعد ولّوا لأنّ التولية قد تكون بجانب دون جانب، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾^(٣). والأصم يفهم بالإشارة ما يفهم السميع بالعبارة والتولية تكون بجانب دون ﴿مُدْبِرِينَ﴾ فيدرك بالإشارة فجعل الفاصلة ﴿مُدْبِرِينَ﴾ ليعلم أن التولي كان بجميع الجوانب فلا يكلفهم شيئاً البتة.

ضابط الفواصل

لمعرفة ذلك طريقان توقيفي وقياسي:

أ - التوقيفي: سئلت أم سلمة، أم المؤمنين رضي الله عنها، عن قراءة النبي ﷺ فقالت: كان يقطع قراءته آية آية، أي: يقف على كل آية ليعلم رؤوس الآيات فما وقف عليه ﷺ دائماً تحققتنا أنه فاصلة وما وصله دائماً تحققتنا أنه غير فاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى فيحتمل أحد الوجهين السابقين^(٤).

ب - القياسي:

«وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص المناسب ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته محل فصل ووصل والوقف على كل كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرّفه، فأقول:

(١) سورة النمل، الآية: [٨٠].

(٢) سورة النمل، الآية: [٨٠].

(٣) سورة الإسراء، الآية: [٨٣].

(٤) انظر مباحث علوم القرآن. د. صبحي الصالح. دار العلم للملايين ط ١٦ الصفحة ٧١ - ٧٢. تاريخ الطبعة ١٩٨٥ م.

فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في النظم . وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف فليس بعيب في الفاصلة بالحركة والإشباع^(١) .

والأصل في الفاصلة القرينة المتجردة في الآية والسجعة : المساواة .

أولاً: ولهذا ترك عد **﴿وَيَأْتِ بِتَاخِرِينَ﴾**^(٢) ، **﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾**^(٣) ، **﴿كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ﴾**^(٤) ، **﴿لِتَبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾**^(٥) إلى آخر ما هنالك .

ثانياً: كما عدوا نظائرها كقوله تعالى: **﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾**^(٦) . **﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾**^(٧) ، **﴿الْمَنَ وَالسَّلْوَى﴾**^(٨) .

ثالثاً: وقد يتوجه الأمران في كلمة فالبعض يعدها، والآخر لا يعدها فمنها **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾**^(٩) .

ومثلها: **﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾**^(١٠) .

ووجه عده: مناسبة الروي، ووجه عدم عده تعلقه بما يليه، ومنها: **﴿إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** في قوله تعالى: **﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾**^(١١) .

- (١) البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة دار إحياء الكتب صفحة ٩٨ - ٩٩ .
- (٢) سورة النساء، الآية: [١٣٣] .
- (٣) سورة النساء، الآية: [١٧٢] .
- (٤) سورة الإسراء، الآية: [٥٩] .
- (٥) سورة مريم، الآية: [٩٧] .
- (٦) سورة آل عمران، الآية: [١٩٠] .
- (٧) سورة الكهف، الآية: [١٥] .
- (٨) سورة طه، الآية: [٨٠] .
- (٩) سورة البقرة، الآية: [١٠] .
- (١٠) سورة البقرة، الآية: [١١] .
- (١١) سورة آل عمران، الآية: [٤٩] .

وغير ذلك مثل: ﴿وَالطُّورِ﴾ - ﴿الرَّحْمَنِ﴾ - ﴿وَالْفَجْرِ﴾ .
 ﴿وَالضُّحَى﴾ - ﴿الْقَارِعَةُ﴾ - ﴿وَالْعَصْرِ﴾ .
 للمناسبة فهذه قد عدت آيات ولكن تفاوتت في الكمية .

الوجوه والنظائر

الوجه: هو اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ كلفظ الأمة والهدى .
 والنظائر: هي كالألفاظ المتواطئة .

أمثلة عن الوجوه:

أ - الأسف معناه الحزن كقوله تعالى في قصة يعقوب: ﴿يَتَأَسَّفَى عَلَيَّ يُونُسَ﴾^(١) .

إلا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾^(٢) فإن معناه أغضبونا .

ومثلها في قصة موسى قوله تعالى: ﴿غَضِبْنَا أَسْفًا﴾^(٣) فقال ابن عباس مغتاضاً .

ب - كل ما في القرآن من ذكر البروج فإنها الكواكب كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(٤) .

إلا التي في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^(٥) فمعناه القصور الطوال .

(١) سورة يوسف، الآية: [٨٤] .

(٢) سورة الزخرف، الآية: [٥٥] .

(٣) سورة الأعراف، الآية: [١٥٠] .

(٤) سورة البروج، الآية: [١] .

(٥) سورة النساء، الآية: [٧٨] .

ج - كل ما في القرآن من كلمة بعل فهي بمعنى الزوج كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُدْرِكُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾^(١).

إلا حرفاً واحداً كما في قوله تعالى: ﴿أَنْدَعُونَ بَعْلًا وِتَدْرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾^(٢) فإنه أراد صنماً.

د - كل ما في القرآن من كلمة حسابان فإنه يدل على العدد إلا حرفاً في قوله تعالى: ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٣) فإنه بمعنى العذاب.

هـ - كل كلمة رجز في القرآن الكريم معناها العذاب إلا في قوله تعالى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾^(٤) فمعناها الأصنام.

و - كل ما في القرآن من «أصحاب النار» فهم أهل النار إلا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٥) فإنهم خزنة جهنم.

ز - كل صلاة في القرآن فهي عبادة ورحمة إلا قوله تعالى: ﴿هَلِدِمَّتْ صَوْمِعُ وَيَبِيعُ وَصَلَوْتُ وَمَسَجِدُ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ﴾^(٦) فمعناها بيوت عبادة اليهود.

ح - كل كنز في القرآن يراد به المال إلا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾^(٧) فإنه أراد صحفاً وعلماً.

ط - كل نكاح في القرآن معناه التزوج إلا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾^(٨) فإن معناه الحلم.

(١) سورة النور، الآية: [٣١].

(٢) سورة الصافات، الآية: [١٢٥].

(٣) سورة الكهف، الآية: [٤٠].

(٤) سورة المدثر، الآية: [٥].

(٥) سورة المدثر، الآية: [٣١].

(٦) سورة الحج، الآية: [٤٠].

(٧) سورة الكهف، الآية: [٨٢].

(٨) سورة النساء، الآية: [٦].

ي - كل يأس في القرآن هو القنوط إلا قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَأْتِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(١) أي: ألم يعلموا. وهي لغة النَّخَع وهو وزن.

ك - كل ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ في القرآن بمعنى لكي إلا قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾^(٢) فإنه للتشبيه ومعناه كأنكم تخلدون.

ل - كل «ماء معين» معناه الجاري إلا في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾^(٣) فمعناه الظاهر الذي تناله الدلاء.

م - كل كلمة صوم في القرآن معناه العبادة المعروفة إلا: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾^(٤) يعني صمتاً.

ن - كل ما في القرآن بلفظ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾^(٥) فقد أخبرنا به.

وكل ما في القرآن بلفظ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾^(٦) فلم يخبرنا به.

قال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(٧).

غريب القرآن الكريم

أ - المراد به هنا هو معرفة مدلوله، وهذا يحتاج إلى معرفة لغة العرب ومعرفة النحو والإعراب.

(١) سورة الرعد، الآية: [٣١].

(٢) سورة الشعراء، الآية: [١٢٩].

(٣) سورة الملك، الآية: [٣٠].

(٤) سورة مريم، الآية: [٢٦].

(٥) سورة الحاقة، الآية: [٣].

(٦) سورة الشورى، الآية: [١٧].

(٧) سورة الشورى، الآية: [١٧].

قال الإمام مالك^(١) رضي الله عنه: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا». وقال مجاهد^(٢): «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب». وقال ابن عباس^(٣): «إذا سألتموني عن غريب اللغة فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب».

ب - أمثلة عن غريب القرآن الكريم:

- ١ - ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾^(٤) معناه وما جمع.
- ٢ - ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٥) افتح: اقض.
- ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٦) أي: القضاء.
- ٣ - ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٧) ومعنى فطرتها ابتدائها.

(١) الإمام مالك: هو إمام أهل المدينة، وأمير المؤمنين في الحديث. مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، ويكنى أبا عبد الله. استغرق تأليفه «الموطأ» أربعين سنة. عرضه خلالها على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة. توفي سنة ١٧٩هـ.

(٢) مجاهد: هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكنى بالأسود، شيخ القراء والمفسرين. أخذ القرآن والتفسير والفقه عن ابن عباس وأبي هريرة وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. توفي سنة أربع ومائة هو من سجد في صلاته.

(٣) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وجدّ خلفاء الدولة العباسية. ولد قبل الهجرة بثلاث سنين. من دعائه ﷺ له: «اللهم آتِنا الحكمة ووفقه في الدين وعلمه التأويل»، وقد أطلق عليه ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن. وذلك لغزارة علمه روى الحديث عن الصحابة فقد روى ١٦٧٠ حديثاً عنهم. توفي رضي الله عنه سنة ٦٨هـ. وقد قيل بعد وفاته «مات رباني هذه الأمة».

(٤) سورة الإنشاق، الآية: [١٧].

(٥) سورة الأعراف، الآية: [٨٩].

(٦) سورة السجدة، الآية: [٢٨].

(٧) سورة يوسف، الآية: [١٠١].

٤ - ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾^(١) وراء: ولد الولد.

٥ - ﴿وَفَلَكَهَآ وَأَبَا﴾^(٢) الأب: ما ترعاه البهائم.

التبن - كل ما نبت على وجه الأرض - ما سوى الفاكهة وهو للأنعام كالفاكهة للناس.

الوقف والابتداء

أ - جاء عن ابن عمر^(٣) رضي الله عنهما: «أنهم كانوا يُعَلِّمون ما ينبغي أن يُوقف عنده كما يتعلمون القرآن».

ب - وللوقف علاقة شديدة بالمعنى: فقد يتغير المعنى عند الوقوف في غير محل الوقف كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٤) فيوقف على كلمة النار ولا يجوز أن يصلها بما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾^(٥).

فتقف على كلمة حوله لأن حملة العرش هم الملائكة.

وكذلك نقف على قوله: ﴿رَحْمَتِهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٦)، ولا يجوز أن نقف على كلمة ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ بل نبدأ بها القراءة.

(١) سورة هود، الآية: [٧١].

(٢) سورة عبس، الآية: [٣١].

(٣) ابن عمر: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب أبو عبد الرحمن الفقيه المدني. أحد أعلام الصحابة في العلم والعمل. هاجر مع أبيه وهو ابن عشر سنين، وهو شقيق حفصة زوج رسول الله ﷺ. فقد روى ٢٦٣٠ حديثاً عن رسول الله ﷺ. توفي سنة ٧٣ هـ وله من العمر سبع وثمانون سنة.

(٤) سورة غافر، الآية: [٦].

(٥) سورة غافر، الآية: [٧].

(٦) سورة الإنسان، الآية: [٣١].

ج - والوقف والابتداء: تحتاج معرفته إلى علوم كثيرة منها:

النحو - القراءات - التفسير - القصص - الفقه واللغة.

- ولنقرأ قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١).

فمن لم يقبل شهادة القاذف وقف على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ (٢) ومن قبلها لم يقف على ذلك فأعمل الاستثناء بإلا.

- وكذلك الوقف على قوله: ﴿عِوَجًا﴾ ولا يجوز وصله بكلمة ﴿قِيَمًا﴾ لأن العوج لا يكون قيماً.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (١) قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٣).

- وكذلك الوقف على هاء السكت بالهاء في القرآن الكريم مثل كلمات: كُتِبَ عَلَيْهِ مَالِيهِ حِسَابِيهِ سُلْطَانِيهِ مَا هِيَ لَمْ يَتَسَنَّهْ اقْتَدَهْ، أما في اللغة وفي غير القرآن فهذه الهاء تثبت في الوقف وتسقط بالدرج أمّا في القرآن فيوقف على هذه الهاء لأنه إذا أسقطناها ووصلنا خالفنا رسم المصحف.

وإن أثبتناها بالوصل خالفنا اللغة العربية، والخروج من ذلك يكون بالوقف عليها ونطقها، ومخالفة اللغة العربية أولى من مخالفة الرسم والقراءة.

- أما معرفة التفسير فيتضح من المثال التالي في تيه بني إسرائيل بقوله

(١) سورة النور، الآيتان: [٤ - ٥].

(٢) سورة النور، الآية: [٤].

(٣) سورة الكهف، الآيتان: [١ - ٢].

تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١).

فإذا وقفنا على ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أبداً وإذا وقفنا على ﴿سَنَةً﴾ كانت محرمة هذه المدة أربعين سنة فقط.

- كذا يجب الوقف على قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾^(٢)، ثم يتدىء: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٣).

- وكذلك الوقف على قوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾^(٤).

والابتداء بقوله: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(٥).

- هذه بعض الأمثلة عن الوقف والابتداء وعلاقتها بمختلف العلوم لمن أراد المزيد ليستزيد ولم أشأ أن أتطرق لأقسام الوقف كالتام والكافي والحسن والقبیح والاضطراري والاختياري فهي مبسطة مفصلة في كتب علم التجويد^(٦).

الوقف على اسمي الموصول الذين - الذي

جميع ما في القرآن من الذين والذي يجوز فيه الوصل بما قبله على أنه نعت له، والقطع عما قبله على أنه خبر محذوف لمبتدأ إلا في سبعة مواضع يتعين فيها الابتداء، وهي:

أ - ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ

(١) سورة المائدة، الآية: [٢٦].

(٢) سورة يونس، الآية: [٦٥].

(٣) سورة النساء، الآية: [١٣٩].

(٤) سورة التحريم، الآية: [٤].

(٥) سورة التحريم، الآية: [٤].

(٦) انظر البرهان في تجويد القرآن، لعبد الفتاح القاضي، منشورات الأزهر الشريف. باب حكم الوقف والابتداء صفحة ٤٧.

بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿١﴾ .

ب - ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢) .

ج - ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطٰنُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ﴾ (٣) .

د - ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤) .

هـ - ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٥) .

و - ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سُرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٦) .

ز - ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) .

(٥) سورة التوبة، الآية: [٢٠] .

(٦) سورة الفرقان، الآية: [٣٤] .

(٧) سورة غافر، الآية: [٧] .

(١) سورة البقرة، الآية: [١٢١] .

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٤٦] .

(٣) سورة البقرة، الآية: [٢٧٥] .

(٤) سورة الأنعام، الآية: [٢٠] .

من علم الرسم القرآني، أو علم مرسوم الخط التاء المبسوطة والمقبوضة

تمهيد

الخط ثلاثة أقسام:

خط المصحف: ويتبع فيه الاقتداء بالسلف.

خط العروض: وقد جرى على ما أثبتته اللفظ وإسقاط ما حذفه فيكتب التنوين نوناً وتحذف همزة الوصل في درج الكلام، وهذان الخطان لا يقاس عليهما.

والخط الثالث: ما جرى على العادة المعروفة وهو الذي يتكلم عليه النحويون والقاعدة في الكتابة: «من عرف صواب اللفظ عرف صواب الخط»، «ويسمى بالخط الإملائي».

وقد تكلمت سابقاً عن رسم الواو والألف والياء وغيرها زيادة أو حذفاً. ومن هذا المبحث خصص الكلام عن التاء المربوطة أو المقبوضة، وعن التاء المفتوحة أو المبسوطة، أو المجرورة كما يسميها البعض لأنها تجر بالقلم هكذا «ت».

تاء التأنيث المربوطة والمفتوحة

١ - تعريف تاء التأنيث: هي التاء التي تدل على المؤنث وتلحق آخر الفعل إذا كان الفاعل مؤنثاً كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

(١) سورة التحريم، الآية: [١١].

وتكون في آخر الاسم نحو: ورحمة ونعمة.
 والملحقة بآخر الفعل ترسم تاءً مفتوحة والملحقة بآخر الاسم ترسم
 غالباً تاءً مربوطة أو مقبوضة أو «هاء».
 ولكن في المصاحف كلمات خرجت عن هذا الأصل ورسمت تاء
 مفتوحة.

٢ - عدد الكلمات المرسومة بالتاء المفتوحة: وهي تاء التأنيث عشرون
 كلمة منها: «١٣» كلمة متفق على قراءتها بالإفراد، وسبع كلمات تقرأ
 بالإفراد والجمع والكلمات المتفق على قراءتها بالإفراد هي: رحمت نعمت
 امرأت سُنَّتْ لَعَنَتْ معصيت كلمتُ بقيتُ قُرْتُ فطرت شجرت جنَّتْ ابنتُ.

والكلمات المختلف في قراءتها بالإفراد والجمع، هي:

جَمَلَاتٌ، وَأَزْلَفَتِ الْجِنَّةُ، غِيَابَتِ، بَيْنَاتِ، آيَاتِ، الْغُرَفَاتِ، ثَمَرَاتِ.

٣ - حكمها في الوصل والوقف.

أ - حكمها في الوصل: أن تقرأ تاء إذا كانت مفتوحة أو مربوطة.

ب - وحكمها في الوقف: أن تقرأ تاء إذا كانت مفتوحة وتقرأ هاء إذا
 كانت مربوطة حسب رسمها بالقرآن الكريم.

٤ - وهذه الأسماء لما لازمت الفعل صار لها اعتباران أحدهما:

من حيث هي أسماء وصفات وهنا تقبض التاء فتكتب مربوطة بالهاء.

والثاني: من حيث أن يكون مقتضاها فعلاً وأثراً ظاهراً في الوجود فهذا
 تمد فيه كما في (حققت، وقالت) وجهة الفعل ظاهرة وجهة الاسم باطنة^(١).

وفيما يلي توضيح لهذه الكلمات ومواضعها:

(١) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي صفحة ٤١.

الكلمة الأولى: رحمت

كتبت مبسوطة في سبعة مواضع لأن المدقق في ذلك يرى أن مقتضاها فعلاً ظاهراً وإن جاءت اسماً وهذه المواضع، هي:

- ١ - ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾^(١) فهم يفعلون ويعلمون.
 - ٢ - ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) فوصفها على التذكير لظهور الفعل.
 - ٣ - ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(٣).
 - ٤ - ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُ زَكَرِيَّا﴾^(٤).
 - ٥ - ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾^(٥).
 - ٦ - ﴿أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾^(٦).
 - ٧ - ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٧).
- وما عدا هذه المواضع السبعة فمرسوم بالتاء المربوطة، كقوله تعالى:
- ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٨).

الكلمة الثانية: نعمت

رسمت مفتوحة في أحد عشر موضعاً: لظهورها بالفعل والمواضع هي:

- (١) سورة البقرة، الآية: [٢١٨].
- (٢) سورة الأعراف، الآية: [٥٦].
- (٣) سورة هود، الآية: [٧٣].
- (٤) سورة مريم، الآية: [٢].
- (٥) سورة الروم، الآية: [٥٠].
- (٦) سورة الزخرف، الآية: [٣٢].
- (٧) سورة الزخرف، الآية: [٣٢].
- (٨) سورة الزمر، الآية: [٥٣].

- ١ - ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١) .
- ٢ - ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) .
- ٣ - ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَمَّ قَوْمٌ﴾^(٣)
الموضع الثاني بينما الموضع الأول بالمربوطة وهو: ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٤) .
- ٤ - ﴿إِلَىٰ آلِ الْيَتِيمِ ءَامِنُوا أَذْكُرُوا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٥) الموضع الثاني بينما الموضع الأول بالمربوطة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(٦) .
- ٥ - ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(٧) .
- ٦ - ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٨) .
- ٧ - ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾^(٩) .
- ٨ - ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾^(١٠) .
- ٩ - ﴿إِلَىٰ نِعْمَتِ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ فِي يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾^(١١) .

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٣١].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [١٠٣].

(٣) سورة المائدة، الآية: [١١].

(٤) سورة المائدة، الآية: [٧].

(٥) سورة إبراهيم، الآية: [٢٨].

(٦) سورة إبراهيم، الآية: [٦].

(٧) سورة إبراهيم، الآية: [٣٤].

(٨) سورة النحل، الآية: [٧٢].

(٩) سورة النحل، الآية: [٨٣].

(١٠) سورة النحل، الآية: [١١٤].

(١١) سورة لقمان، الآية: [٣١].

- ١٠ - ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾^(١) .
- ١١ - ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ . بِكَافٍ كُرُوا نِعْمَةً﴾^(٢) .
- وما عدا ذلك فمكتوب بالتاء المربوطة .

الكلمة الثالثة: امرات

في سبعة مواضع هي :

- ١ - ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾^(٣) .
- ٢ - ﴿امْرَأَتِ الْعَزِيزِ تُرْوِدُ﴾^(٤) .
- ٣ - ﴿اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْعَزِيزِ﴾^(٥) .
- ٤ - ﴿امْرَأَتُ عِمْرَانَ فِرْعَوْنَ﴾^(٦) .
- ٥ - ﴿امْرَأَتِ نُوحٍ﴾^(٧) .
- ٦ - ﴿وَأَمْرَاتِ لُوطٍ﴾^(٨) .
- ٧ - ﴿امْرَأَتِ فِرْعَوْنَ﴾^(٩) .

يقول الإمام الزركشي في كتاب البرهان في علوم القرآن صفحة «٤١٦»،

- (١) سورة فاطر، الآية: [٣].
- (٢) سورة الطور، الآية: [٢٩].
- (٣) سورة آل عمران، الآية: [٣٥].
- (٤) سورة يوسف، الآية: [٣٠].
- (٥) سورة يوسف، الآية: [٥١].
- (٦) سورة القصص، الآية: [٩].
- (٧) سورة التحريم، الآية: [١٠].
- (٨) سورة التحريم، الآية: [١٠].
- (٩) سورة التحريم، الآية: [١١].

ومنه امرأة هي في سبعة مواضع وهي خمسة من النساء «امرات عمران» و«امرات فرعون» و «امرات نوح» و «امرات لوط» و «امرات العزيز» .

كلها ممدودة تنبيهاً على التبعل والصحة وشدة المواصلة والمخالطة والائتلاف في الوجود والمحسوس وأربع منهن منفصلات في بواطن أمرهن عن بعولتهن بأعمالهن . وواحدة خاصة واصلت بعلمها باطناً وظاهراً وهي امرأت عمران فجعل الله لها ذرية طيبة، وأكرمها بذلك وفضلها على العالمين وواحدة من الأربع انفصلت بباطنها عن بعلمها طاعة الله، وتوكلاً عليه، وخوفاً منه، فنجأها وأكرمها وهي امرأت فرعون، واثنان منهن انفصلتا عن أزواجهما كفراً بالله فأهلكهما الله ودمرهما ولم ينتفعا بالوصلة الظاهرة مع أنها أقرب وصلة بأفضل أحباب الله . كما لم تضر امرأت فرعون وصلتها الظاهرة بأخبث إنسان .

وواحدة انفصلت عن بعلمها بالباطن اتباعاً للهوى وشهوة نفسها فلم تبلغ من ذلك مرادها مع تملكها من الدنيا واستيلائها على من مالت إليه بحبها وهو في بيتها وقبضتها فلم يغن ذلك عنها شيئاً وقوتها وعزتها إنما كانا لها من بعلمها العزيز ولم ينفعها ذلك في الوصول إلى إرادتها مع عظيم كيدها كما لم يضر يوسف ما امتحن به منها ونجاه الله من السجن ومكّن له في الأرض وذلك بطاعته لربه ولا سعادة إلا بطاعة الله ولا شقاوة إلا بمعصيته . فهذه كلها وقعت بالفعل في الوجود في شأن كل امرأة منهن فلذلك مدت تاءاتهن .

الكلمة الرابعة: سُنَّتْ

في خمسة مواضع هي :

١ - **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ** ^(١) .

(١) سورة الأنفال، الآية: [٣٨] .

- ٢ - ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾^(١) .
 ٣ - ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٢) .
 ٤ - ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٣) .
 ٥ - ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾^(٤) .

وما عدا ذلك فمرسوم بالتاء المربوطة نحو:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٥) .

فآية الأنفال وردت في الانتقام لأن ما قبلها يدل عليها، وهو قوله:
 ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٦) ، وقوله بعدها: ﴿وَفَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا
 تَكُونَ فِتْنَةً﴾^(٧) .

و(سُنَّت) في فاطر للانتقام لقوله تعالى قبلها: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ
 إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٨) .

- ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾^(٩) .

فكل هذه الآيات معناها العذاب؛ أما إذا كان معناها الشريعة والطريقة
 فهي باطنة تقبض تآؤها كما في الأحزاب في قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي
 الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١٠) .

أي: حكم الله وشرعه .

- (١) سورة فاطر، الآية: [٤٣].
 (٢) سورة فاطر، الآية: [٤٣].
 (٣) سورة فاطر، الآية: [٤٣].
 (٤) سورة غافر، الآية: [٨٥].
 (٥) سورة الأحزاب، الآية: [٦٢].
 (٦) سورة الأنفال، الآية: [٣٨].
 (٧) سورة الأنفال، الآية: [٣٩].
 (٨) سورة فاطر، الآية: [٤٣].
 (٩) سورة غافر، الآية: [٨٥].
 (١٠) سورة الأحزاب، الآية: [٦٢].

الكلمة الخامسة: لعنت

مدت تاؤها في موضعين هما:

- ١ - ﴿ثُمَّ نَبَّهَلْ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾^(١).
- ٢ - ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾^(٢).

الموضع الأول:

لأن آية المباهلة واللعان بمعنى: الفعل الظاهر.

وما عدا الموضعين المذكورين فمرسوم بالهاء نحو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٣).

الكلمة السادسة: ومعصيت

- ١ - ﴿وَيَتَّبِعُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوٰنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾^(٤).
- ٢ - ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوٰنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾^(٥).

ولا ثالث لهما بالقرآن لأن معناها كالفعل الظاهر فهو فعل معصية لوقوع النهي عنه.

الكلمة السابعة: كَلِمَتٌ

- ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾^(٦).

(١) سورة آل عمران، الآية: [٦١].

(٢) سورة النور، الآية: [٧].

(٣) سورة البقرة، الآية: [١٦١].

(٤) سورة المجادلة، الآية: [٨].

(٥) سورة المجادلة، الآية: [٩].

(٦) سورة الأنعام، الآية: [١١٥].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾^(١).

هو ما تمّ لهم بالوجود الآخروي بالفعل الظاهر دليله في الملك وتمامه ظهورها بالوجود بالفعل وما عدا ذلك فمكتوب بالتاء المربوطة، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾^(٢).

الكلمة الثامنة: بَقِيَّتُ

في موضع واحد:

١ - ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

وما عداها فمكتوب بالتاء المربوطة كقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَعَالُ هَارُونَ﴾.

فمدت بقيت لأنها بمعنى ما يبقى لهم من الملك الظاهر في أموالهم من الربح المحسوس لأن الخطاب إنما هو فيها من الملك.

الكلمة التاسعة: قُرَّتْ

في موضع واحد:

١ - ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتْ عَيْنِي لِىَ وَلَكَ﴾^(٤).

فمدت التاء لأنه بمعنى الفعل إذ هو خبر عن موسى وهو موجود حاضر في ذلك. بعكس قرة أعين: إذ هو غير حاضر فهو في الآخرة.

وما عدا ذلك فمربوطة، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٥).

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٣٧].

(٢) سورة إبراهيم، الآية: [٢٤].

(٣) سورة هود، الآية: [٨٦].

(٤) سورة القصص، الآية: [٩].

(٥) سورة السجدة، الآية: [١٧].

الكلمة العاشرة: فِطْرَتَ

١ - ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^(١) ولا ثاني له في القرآن الكريم .

وقد وصفها بأنها (فطر الناس عليها) فهي فصل خطاب ظاهر في الوجود كقوله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة»^(٢).

الكلمة الحادية عشرة: شَجَرَت

١ - ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾^(٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ^(٣).

وعدا هذا الموضع فمرسوم بالتاء المربوطة مثل: ﴿شَجَرَوِ الْخُلْدِ﴾^(٤) لأنها بمعنى الفعل اللازم وهو تزقمها بالأكل بدليل قوله تعالى: ﴿لَاكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنَ زَقُّومٍ﴾^(٥) فإلثون منها البُطُونُ^(٥) فهذه صفة فعل كما في الآية الكريمة. وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾^(٦) فقد وصفها فتنة للظالمين و﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾^(٧) فهي صفة اسم فكتبت تاؤها مربوطة.

الكلمة الثانية عشرة: جَنَّتْ

﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^(٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٍ^(٨) وما عداها

(١) سورة الروم، الآية: [٣٠].

(٢) رواه الترمذي بإسناد جيد.

(٣) سورة الدخان، الآيتان: [٤٣ - ٤٤].

(٤) سورة طه، الآية: [١٢٠].

(٥) سورة الواقعة، الآيتان: [٥٢ - ٥٣].

(٦) سورة الصافات، الآية: [٦٢].

(٧) سورة الصافات، الآية: [٦٤].

(٨) سورة الواقعة، الآيتان: [٨٨ - ٨٩].

فالتاء مربوطة كقوله تعالى: ﴿أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾^(١) مدت لأنها بمعنى فعل التنعيم بالنعيم بدليل اقترانها بالروح والريحان وتأخرها عنهما وهما في الجنة. وأما (جنة نعيم) فبمعنى الاسم الكلي فكتبت مربوطة.

الكلمة الثالثة عشرة: ابنت

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾^(٢).

وهذا الموضع لا ثاني له في القرآن الكريم فقد مدت التاء تنبيهاً على معنى الولادة والحدوث من النطفة المهينة. ولم يضاف في القرآن ولد إلى والد ووصف به اسم الولد سوى عيسى عليه السلام وأمه فجاء باسم: ﴿عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾^(٣) لما اعتقد النصارى أنهما إلهان فنبه سبحانه بولادتهما على جهة حدوثهما بعد عدمهما حتى أخبر تعالى بصفة الإضافة دون الموصوف فقال: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^(٤) لما غلوا في إلهيته أكثر من أمه كما نبه على حالتها وتغيير أحوالهما في الوجود فخصهما ما يلحق البشر قال تعالى: ﴿كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^(٥).

ويلاحظ: أن مجموع هذه الكلمات الثلاث عشرة: إحدى وأربعين كلمة كتبت بالتاء المبسوطة أو المفتوحة.

(١) سورة المعارج، الآية: [٣٨]

(٢) سورة التحريم، الآية: [١٢]

(٣) سورة البقرة، الآية: [٨٧]

(٤) سورة المؤمنون، الآية: [٥٠].

(٥) سورة المائدة، الآية: [٧٥].

الكلمات المختلف بقراءتها بالإفراد والجمع

سبعة هي :

| الكلمة | العدد | السورة | رقم الآية |
|---------|-------|----------|-----------|
| بينات | ١ | فاطر | ٤٠ |
| آيات | ٢ | يوسف | ٧ |
| | | العنكبوت | ٥٠ |
| الغرفات | ١ | سبأ | ٣٧ |
| ثمرات | ١ | فصلت | ٤٧ |
| كلمات | ٤ | الأنعام | ١١٥ |
| | | يونس | ٣٣ |
| | | يونس | ٩٦ |
| | | غافر | ٦ |
| جمالت | ١ | المرسلات | ٣٣ |
| غيابت | ٢ | يوسف | ١٠ |
| | | يوسف | ١٥ |

يلاحظ أن مجموع هذه الكلمات اثنتا عشرة كلمة.

والآيات، هي:

| الكلمة | الآية |
|---------|--|
| بينات | ﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَاتٍ مِّنْهُ﴾ |
| آيات | ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّالِفِينَ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ |
| الغرفات | ﴿وَهُمْ فِي الْعُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ |
| ثمرات | ﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ |
| كلمات | ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ |
| جملت | ﴿كَانَهُ جَمَلَتْ صَفْرًا﴾ |
| غيبت | ﴿لَا تَقْنُتُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ |

من علوم الرسم القرآني الموصول والمفصول

١ - كل كلمة مؤلفة من حرفين فأكثر تكتب مفصولة عن ما بعدها، أما في الرسم القرآني بالمصحف فقد تأتي مفصولة عما بعدها وقد تأتي موصولة.

٢ - معنى المفصول والموصول.

- **المفصول**: هو الكلمة التي تفصل عن التي تليها في رسم المصحف العثمانية مثل: (أم من) في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَفْنِهِمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنَّا خَلَقْنَا﴾^(١).

- **الموصول**: هو الكلمة التي توصل في التي تليها برسم المصحف العثمانية نحو: (ألا) في قوله تعالى: ﴿أَلَا نُرِزُّ وَزُرَّةٌ وَزُرَّ أُخْرَى﴾^(٢).

٣ - فائدة المفصول والموصول:

المتفق على فصله يجوز الوقوف على الكلمة الأولى منه عند وجود عذر أو اختبار مثل: (حيث ما) فيجوز الوقوف على حيث.

والمتفق على وصله يجوز الوقوف على الكلمة عند انقضائها عند وجود عذر أو اختبار مثل: (أما). أما المختلف في وصله وفصله فيجوز الوقوف فيه على الكلمة الأولى أو الثانية.

(١) سورة الصافات، الآية: [١١].

(٢) سورة النجم، الآية: [٣٨].

جدول يبين أقسام المفصول والموصول وكلمات كل قسم وحكمه

| ملاحظات | حكم الكلمات | عدد الكلمات | الأقسام |
|---|---|--|-----------------|
| إذا وقع الحرف المذكور مفصلاً وبعده أنواع عديدة يفصل عما بعده وإذا كانت نوعاً واحداً يوصل بما بعده | الفصل فقط | ٣ كلمات عن من - حيث ما - أن لم | القسم الأول |
| | الوصل فقط | ٥ كلمات كالوهم - وزنوهم - أل التعريف مع ما بعدها - هاء التنبيه مع ما قبلها - ياء النداء مع ما بعدها | القسم الثاني |
| | الفصل في مواضع وما عداها فموصول إلا كلمة إن لم فالوصل في موضع وما عداها فمفصول | ٨ كلمات إن ما - عن ما - أم من - كي لا يوم هم - لام مال - إن لم - ابن - أم | القسم الثالث |

| | | | |
|---|---|---|-------------------------|
| <p>موصولة إلا كلمة أن لو فليس لها مواضع</p> | <p>الفصل في مواضع والخلاف بين الفصل والوصل في مواضع وما عدا ذلك فحكمه الوصل</p> | <p>٨ كلمات أن لا - أن ما - إن ما من ما - بئس ما - في ما كي ما - أن لو</p> | <p>القسم الرابع</p> |
| | <p>الفصل في مواضع والخلاف بين الفصل والوصل في مواضع وما عدا ذلك فحكمه الفصل إلا وولات حين ففيه خلاف^(١)</p> | <p>٣ كلمات أين ما - أن لن - وولات حين</p> | <p>القسم الخامس</p> |

(١) ولتمام الفائدة أترك الكلام للإمام الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن بدءاً من الصفحة

فصل في الفصل والوصل

- اعلم أن الموصول في الوجود توصل في الخط، كما توصل حروف الكلمة الواحدة، والمفصول معنى في الوجود يفصل في الخط، كما تفصل كلمة عن كلمة.

١ - فمنه «إنما» بالكسر، كله موصول إلا واحدة: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾^(١) لأن حرف «ما» هنا وقع على مفصل، فمنه خير موعود به لأهل الخير، ومنه شر موعود به لأهل الشر، بمعنى «ما» مفصول في الوجود والعلم.

٢ - ومنه «أنما» بالفتح كله موصول إلا حرفان: ﴿وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾^(٢)، ﴿وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾^(٣).

وقع الفصل عن حرف التوكيد، إذ ليس لدعوى غير الله وصل في الوجود، إنما وصلها في العدم والنفي، بدليل قوله تعالى عن المؤمن: ﴿أَنْمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾^(٤)، فوصل «أنما» في النفي، وفصل في الإثبات، لانفصاله عن دعوة الحق.

٣ - ومنه «كلما» موصول كله إلا ثلاثة:

(١) سورة الأنعام، الآية: [١٣٤].

(٢) سورة الحج، الآية: [٦٢].

(٣) سورة لقمان، الآية: [٣٠].

(٤) سورة غافر، الآية: [٤٣].

﴿كُلَّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِنْنَةِ أَرْكَسُوا فِيهَا﴾^(١) فما ردوا إليه ليس شيئاً واحداً في الوجود، بل أنواع مختلفة في الوجود، وصفة مردهم ليست واحدة بل متنوعة، فانفصل «ما» لأنه لعموم شيء مفصل في الوجود.

﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾^(٢) فحرف «ما» واقع على أنواع مفصلة في الوجود.

وفي قد أفلح ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾^(٣)، والأمم مختلفة في الوجود، فحرف «ما» وقع على تفاصيل موجودة لتفصل وهذا بخلاف قوله: ﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾^(٤)، فإن هؤلاء هم بنو إسرائيل أمة واحدة، بدليل قوله: ﴿فَلَمَّ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ﴾^(٥) والمخاطبون على عهد النبي ﷺ لم يقتلوا الأنبياء، إنما باشره آبائهم، لكن مذهبهم في ذلك واحد، فحرف «ما» يشمل تفاصيل الزمان، وهو تفصيل لا مفصل له في الوجود إلا بالفرض والتوهم، لا بالحس، فوصلت «كل» لاتصال الأزمنة في الوجود، وتلازم أفرادها المتوهم.

وكذلك: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾^(٦) هذا موصول، لأن حرف «ما» جاء لتعميم الأزمنة، فلا تفصيل فيها في الوجود، وما رزقوا هو غير مختلف، لقوله تعالى: ﴿وَأَنؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾^(٧).

(١) سورة النساء، الآية: [٩١].

(٢) سورة إبراهيم، الآية: [٣٤].

(٣) سورة المؤمنون، الآية: [٤٤].

(٤) سورة المائدة، الآية: [٧٠].

(٥) سورة البقرة، الآية: [٩١].

(٦) سورة البقرة، الآية: [٢٥].

(٧) سورة البقرة، الآية: [٢٥].

٤ - ومنه «أينما» موصول إذا كانت «ما» غير مختلفة الأقسام في الفعل الذي بعدها، وذلك من أربعة مواضع هي: ﴿أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ﴾^(١)، ﴿فَأَيْنَمَا تُولُو﴾^(٢) ﴿أَيْنَمَا تُفْجِئُوا أَخْذُوا﴾^(٣)، ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ﴾^(٤) فهذه كلها لم تخرج عن «الآين» الملكي، وهو متصل حساً، ولم يختلف فيه الفعل الذي مع «ما». وتفصل «آين» حيث تكون «ما» مختلفة الأقسام في الوصف الذي بعدها، مثل: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾^(٥) ﴿أَيْنَ مَا تُفْجِئُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾^(٦) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾^(٧).

٥ - ومنه «بئسما» موصول، إلا ثلاثة أحرف: اثنان في البقرة:

﴿بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾^(٨) ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾^(٩).

والثالثة في الأعراف: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُونِي﴾^(١٠).

فحرف «ما» ليس فيه تفصيل، لأنه بمعنى واحد في الوجود من جهة كونه باطلاً مذموماً، على خلاف حال «ما» في المائدة: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْأَثْمِ وَالْعُدُونِ وَأَكَلِهِمُ السُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١١)، فحرف «ما» يشتمل على الأقسام الثلاثة التي ذكرت قبل.

وكذلك: ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾^(١٢) حرف «ما» مفصول، لأنه

يشمل ما بعده من الأقسام.

(٧) سورة الحديد، الآية: [٤].

(١) سورة النحل، الآية: [٧٦].

(٨) سورة البقرة، الآية: [٩٠].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١١٥].

(٩) سورة البقرة، الآية: [٩٣].

(٣) سورة الأحزاب، الآية: [٦١].

(١٠) سورة الأعراف، الآية: [١٥٠].

(٤) سورة النساء، الآية: [٧٨].

(١١) سورة المائدة، الآية: [٦٢].

(٥) سورة الشعراء، الآية: [٩٢].

(١٢) سورة المائدة، الآية: [٨٠].

(٦) سورة آل عمران، الآية: [١١٢].

٦ - ومنه: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾^(١)، ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُوقٌ﴾^(٢) حرفان، فصل الضمير منهما لأنه مبتدأ، وأضيف «اليوم» إلى الجملة المنفصلة عنه.

﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾^(٣) و: ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾^(٤)، وصل الضمير لأنه مفرد، فهو جزء الكلمة المركبة من «اليوم» المضاف والضمير المضاف إليه.

٧ - ومنه «في ما» مفصول أحد عشر حرفاً:

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ﴾^(٥)، وذلك لأن «ما» يقع على فرد واحد «من» أنواع ينفصل بها المعروف في الوجود «وما» على البدلية أو الجمع، يدل على ذلك تنكيره «المعروف» ودخول حرف التبويض عليه، فهو حسي يقسم، وحرف «ما» وقع على كل واحد منهما على البدلية أو الجمع، وأما قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٦)، فهذا موصول لأن «ما» واقعة على شيء واحد غير مفصل، يدل ذلك عليه وصفه بالمعروف.

وكذلك: ﴿فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾^(٧) مفصول، لأن شهوات الأنفس مختلفة أو مفصلة في الوجود. وكذلك البقية فتدبره في سائرهما.

(١) سورة الذاريات، الآية: [١٣].

(٢) سورة غافر، الآية: [١٦].

(٣) سورة الطور، الآية: [٤٥].

(٤) سورة الزخرف، الآية: [٨٣].

(٥) سورة البقرة، الآية: [٢٤٠].

(٦) سورة البقرة، الآية: [٢٣٤].

(٧) سورة الأنبياء، الآية: [١٠٢].

٨ - ومنه: ﴿لِكَيْلًا﴾ موصول في ثلاثة مواضع، وباقيها منفصل، وإنما يوصل حيث يكون حرف النفي دخل على معنى كلي فيوصل، لأن نفي الكلي نفي لجميع جزئياته، فعلة نفيه هي علة نفي أجزائه، وليس للكلي المنفي أفراد في الوجود، وإنما ذلك فيه بالتوهم، ويفصل حيث يكون حرف النفي دخل على جزئي، فإن نفي الجزئي لا يلزم منه نفي الكلي، فلا تكون علة نفي، والمواضع الثلاثة هي في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلًا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(١).

﴿لِكَيْلًا يَكُونُ عَلَيْكَ حَرْجٌ﴾^(٢).

﴿لِكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾^(٣).

فهذه هي الموصولة، وهي بخلاف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾^(٤) في النحل، لأن الظرف في هذا خاص الاعتبار، وهو في الأول عام الاعتبار لدخول «من» عليه، وهذا كقوله تعالى في أهل الجنة في: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾^(٥)، اختص المظروف بقبل في الدنيا، ففيها كانوا مشفقين خاصة. وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾^(٦) فهذا الظرف عام لدعائهم بذلك في الدنيا والآخرة فلم يختص الظروف بقبل بالدنيا.

وكذلك: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجٍ أُدْعِيَ إِلَيْهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطْرًا﴾^(٧) فهذا المنفي هو حرج مقيد بظرفين.

(١) سورة الحج، الآية: [٥].

(٢) سورة الأحزاب، الآية: [٥٠].

(٣) سورة الحديد، الآية: [٢٣].

(٤) سورة النحل، الآية: [٧٠].

(٥) سورة الطور، الآية: [٢٦].

(٦) سورة الطور، الآية: [٢٦].

(٧) سورة الأحزاب، الآية: [٣٧].

وكذلك: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(١) فهذا النفي هو كون: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾^(٢) دولة بين الأغنياء من المؤمنين، وهذه قيود كثيرة.

٩ - ومن ذلك «هم» ونحوه من الضمائر تدل على جملة المسمى من غير تفصيل، والإضمار حال لا صفة وجود، فلا يلزمها التقسيم الوجودي إلا الوهمي والخطأ بما يرسم على العلم الحق.

١٠ - ومن ذلك «مال» أربعة أحرف مفصولة، وذلك أن اللام وصلة إضافية، فقطعت حيث تقطع الإضافة في الوجود:

فأولها: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ﴾^(٣)، وهذه الإشارة للفريق الذين نافقوا من القوم الذين قيل: ﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤) فقطعوا وصل السيئة بالحسنة في الإضافة إلى الله ففرقوا بينهما، كما أخبر سبحانه والله قد وصل ذلك وأمر به في قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ فقطعوا في الوجود ما أمر الله به أن يوصل، فقطع لام وصلهم في الخط علامة لذلك. وفيه تنبيه على أن الله يقطع وصلهم بالمؤمنين، وذلك في يوم الفصل: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِمْ مِنْ تُورِكُمْ﴾^(٥) والثاني: ﴿وَيَقُولُونَ يَوَدِّلُنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾^(٦).

وهؤلاء قطعوا بزعمهم وصل جعل الموعد لهم بوصل إحصاء الكتاب،

(١) سورة الحشر، الآية: [٧].

(٢) سورة الحشر، الآية: [٧].

(٣) سورة النساء، الآية: [٧٨].

(٤) سورة النساء، الآية: [٧٧].

(٥) سورة الحديد، الآية: [١٣].

(٦) سورة الكهف، الآية: [٤٩].

وعدم مغادرته لشيء من أعمالهم في إضافتها إلى الله، فلذلك ينكرون على الكتاب في الآخرة، ودليل ذلك ظاهر من سياق خبرهم في تلك الآيات من الكهف.

والثالث: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾^(١) فقطعوا وصل الرسالة لأكل الطعام فأنكروا فقطعوا قولهم هذا ليزول اعتقادهم أنه رسول. فقطع اللام علامة لذلك.

والرابع: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾^(٢) هؤلاء الكفار تفرقوا جماعات مختلفة، كما يدل عليه: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾^(٣) قطعوا وصلهم في قلوبهم بمحمد ﷺ، فقطع الله طمعهم في دخول الجنة، ولذلك قطعت اللام علامة عليه.

١١ - ومن ذلك: ﴿ابن أم﴾ في الأعراف مفصول، على الأصل: ﴿يَبْنُومُ﴾^(٤) موصول لسر لطيف، وهو أنه لما أخذ موسى برأس أخيه اعتذر إليه فناده من قرب على الأصل الظاهر في الوجود، ولما تمادى ناداه بحرف النداء، ينبيه لبعده عنه في الحال، لا في المكان، مؤكداً لوصلة الرحم بينهما بالربط، فلذلك وصل في الخط، ويدل عليه نصب «الميم» ليجمعها الاسم بالتعميم.

١٢ - ومن ذلك ستة أحرف لا توصل بما بعدها، وهي: الألف، والواو، والندال، والذال، والراء، والزاي، لأنها علامات لانفصالات ونهايات، وسائر الحروف توصل في الكلمة الواحدة.

(١) سورة الفرقان، الآية: [٧].

(٢) سورة المعارج، الآية: [٣٦].

(٣) سورة المعارج، الآية: [٣٧].

(٤) سورة طه، الآية: [٩٤].

فصل في بعض حروف الإدغام

١ - فمنه: ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(١) فرد ظهر فيه النون وقطع عن الوصل، لأن معنى «ما» عموم كلي تحته أنواع مفصلة في الوجود غير متساوية في حكم النهي عنها، ومعنى «عن» المجاوزة، والمجاوزة للكلي مجاوزة لكل واحد من جزئياته، ففصل علامة لذلك.

٢ - وكذلك: «من ما» ثلاثة أحرف مفصولة لا غير ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٢)، ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٣)، ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٤).
وحرف «ما» في هذه كلها مقسم في الوجود بأقسام منفصلة غير متساوية في الأحكام، وهي بخلاف قوله: ﴿مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾^(٥)، فإنها وإن كان تحتها أقسام كثيرة فهي غير مختلفة في وصفها بكتب أيديهم، فهو نوع واحد يقال على معنى واحد من تلك الجهة هو في إفراده بالسوية.

٣ - وكذلك: «أم من» بالفصل، أربعة أحرف لا غير:
﴿لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٦)، ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ﴾^(٧)، ﴿أَمْ مَنْ

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٦٦].

(٢) سورة النساء، الآية: [٢٥].

(٣) سورة الروم، الآية: [٢٨].

(٤) سورة المنافقون، الآية: [١٠].

(٥) سورة البقرة، الآية: [٧٩].

(٦) سورة النساء، الآية: [١٠٩].

(٧) سورة التوبة، الآية: [١٠٩].

خَلَقْنَا ﴿١﴾ ، ﴿أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿٢﴾ فهذه الأربعة الأحرف «من» فيها تقسم في الوجود أنواع مختلفة في الأحكام بخلاف غيرها مثل: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ ءَاهْدِي أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ ﴿٣﴾ فهذا موصول، لأنه من نوع واحد حيث يمشي على صراط مستقيم. وكذا: ﴿أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ ﴿٤﴾، لا تفصل تحتها في الوجود.

٤ - وكذلك: «عَن مَّن» مفصول:

حرفان: ﴿مَلَكَيْهِنَّ كُفْمٌ﴾ ﴿٥﴾، ﴿أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي﴾ ﴿٦﴾ لفظ «من» فيهما كلي وحرف «عن» للمجاورة، والمجاورة عن الكلي مجاوزة لجميع جزئياته دون العكس، فلا وصلة بين الجزأين في الوجود فلا يوصلان في الخط.

٥ - وكذلك «ممن» موصول كله لأن «مَن» بفتح الميم جزئي بالنسبة إلى «ما» فمعناه «أزيد» من جهة المفهوم، ومعنى «ما» أزيد من جهة العموم، والزائد من جهة المفهوم منفصل وجوداً بالحصص، والحصّة منه لا تنفصل، والزائد من جهة المفهوم لا ينفصل وجوداً.

٦ - وكذلك: ﴿وَإِن أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ﴾ ﴿٧﴾ فَرُدُّ مَفْصُولٌ، ظهر فيها حرف الشرط في الخط لوجهين: أحدهما: أن الجواب المرتب عليه بالفاء ظاهر في موطن الدنيا، وهو البلاغ، بخلاف قوله: ﴿مَلَكْتُ أَيْمَنُكُمْ﴾ ﴿٨﴾ فإنه أخفى فيه حرف الشرط في الخط لأن الجواب المرتب عليه بالفاء خفي

(١) سورة الصافات، الآية: [١١].

(٢) سورة فصلت، الآية: [٤٠].

(٣) سورة الملك، الآية: [٢٢].

(٤) سورة النمل، الآية: [٦١].

(٥) سورة النور، الآية: [٤٣].

(٦) سورة النجم، الآية: [٢٩].

(٧) سورة الرعد، الآية: [٤٠].

(٨) سورة غافر، الآية: [٧٧].

عنها، وهو الرجوع إلى الله. والثاني: أن القصة الأولى منفصلة من الشرط وجوابه، وانقسم الجواب إلى جزأين: أحدهما: الترتيب بالفاء وهو البلاغ، والثاني: المعطوف وهو الحساب. وأحدهما: في الدنيا، والآخر في الآخرة. والأول: ظاهر لنا، والثاني: خفي عنا.

وهذا الانقسام صحيح في الوجود، فقد انقسمت هذه الشرطية إلى شرطين لانفصال جوابها إلى قسمين متغايرين، ففصل حرف الشرط علامة لذلك، وإذا انفصلت لزم كتبه على الوقف، والشرطية الأخرى لا تنفصل، بل هي واحدة لإيجاد جوابها، فانفصال حرف الشرط علامة لذلك.

٧ - وكذلك: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾^(١) فورد في القصص ثابت النون، ﴿أَفَنْ يَمْشُوا﴾^(٢) ورد بغير نون، أظهر حرف الشرط في الأول لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو: ﴿فَاعْلَمْ﴾^(٣) متعلق بشيء ملكوتي ظاهر، سفلي وهو اتباعهم أهواءهم، وأخفى في الثاني لأن جوابه المترتب عليه بالفاء هو علم متعلق بشيء ملكوتي خفي، علوي وهو إنزال القرآن بالعلم والتوحيد.

٨ - ومن ذلك: «أن لن» كله مفصول إلا حرفين هما: ﴿أَلَنْ تَجْعَلَ لِكُم مَّوْعِدًا﴾^(٤)، ﴿أَلَنْ تَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾^(٥) سقطت النون منهما في الخط تنبيهاً على أن ما زعموا وحسبوا هو باطل في الوجود وحكم ما ليس بمعلوم نسبوه إلى الحي القيوم، فأدغم حرف توكيدهم الكذب في حرف النفي السالب هو، بخلاف قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦) فهؤلاء لم ينسبوا ذلك

(١) سورة القصص، الآية: [٥].

(٢) سورة هود، الآية: [١٤].

(٣) سورة القصص، الآية: [٥٠].

(٤) سورة الكهف، الآية: [٤٨].

(٥) سورة القيامة، الآية: [٣].

(٦) سورة التغابن، الآية: [٧].

لفاعل، إذ ركب الفعل لما لم يسم فاعله، وأقيموا فيه مقام الفاعل، فعدم بعثهم تصوره من أنفسهم، وحكموا به عليها توهمًا، فهو كاذب من حيث حكموا به على مستقبل الآخرة، ولكونه حقًا بالنسبة إلى دار الدنيا الظاهرة ثبت التوكيد ظاهرًا وأدغم في حرف النفي من حيث الفعل المستقبل الذي هو فيه كاذب.

٩ - ومن ذلك كل ما في القرآن «أن لا» فهو موصول إلا عشرة مواضع فهي مفصولة تكتب النون فيها باتفاق، وذلك حيث ظهر في الوجود صحة توكيد القضية ولزومها:

كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(١)، ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾^(٢). ﴿وَطَنُّوْا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾^(٣) ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٤)، و: ﴿أَنْ لَا نَعْبُدُوهُ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٥) ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾^(٦) ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٧) ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾^(٨) ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾^(٩) ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا﴾^(١٠). وواحد فيه خلاف ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾^(١١).

فتأمل كيف صح في الوجود هذا التوكيد الأخير، فلم يدخلها عليهم

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٠٥].

(٢) سورة الأعراف، الآية: [١٦٩].

(٣) سورة التوبة، الآية: [١١٨].

(٤) سورة هود، الآية: [١٤].

(٥) سورة هود، الآية: [٢٦].

(٦) سورة الحج، الآية: [٢٦].

(٧) سورة يس، الآية: [٦٠].

(٨) سورة الدخان، الآية: [١٩].

(٩) سورة الممتحنة، الآية: [١٢].

(١٠) سورة القلم، الآية: [٢٤].

(١١) سورة الأنبياء، الآية: [٨٧].

مسكين على غير ما قصدوا وتخليلوا فيه . وكذلك لام التعريف المدغمة في اللفظ في مثلها أو غيرها، لما كانت للتعريف - وشأن المعرف أن يكون أبين وأظهر، لا أخفى وأستر - ظهرت في الخط، ووصلت بالكلمة، لأنها صارت جزءاً منها من حيث هي معرفة بها، هذا هو الأصل، وقد حذف حيث يخفى معنى الكلمة مثل «اليل» فإنه بمعنى مظلم لا يوضح الأشياء بل يسترها ويخفيها، وكونه واحداً إما للجزئي أو للجنس فأخفى حرف تعريفه في مثله، فإن تعين للجزئي بالتأنيث رُجع إلى الأصل . ومثل «الذي» و «التي» وتثنيتهما وجمعهما، فإنه مُبهم في المعنى والكم، لأن أول حده للجزئي وللجنس وكثيره للثلاث أو غيرها، ففيه ظلمة الجهل كالليل، ومثل للجزئي في الإيجاب، فإن لام التعريف دخلت على «لا» النافية وفيها ظلمة العدم كالليل، ففي هذه الظلمات الثلاث يُخفى حرف التعريف وكذلك «الأيغة» نقلت حركة همزتها على لام التعريف وسقطت همزة الوصل لتحريك اللام، وحذفت ألف عضد الهمزة ووصل اللام، فاجتمعت الكلمتان، فصارت «ليكة» علامة على اختصار وتلخيص وجمع في المعنى، وذلك في حرفين: أحدهما: في الشعراء جمع فيه قصتهم مختصرة وموجزة في غاية البيان، وجعلها جملة، فهي آخر قصة في السورة بدليل قوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾^(١) فأفردتها، والثاني في ص، جمع الأمم فيها بألقابهم وجعلهم جهة واحدة، هم آخر أمة فيها، ووصف الجملة، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾^(٢)، وليس الأحزاب وصفاً لكل منهم، بل هو وصف جميعهم .

وجاء بالانفصال على الأصل حرفان نظير هذين الحرفين: أحدهما:

(١) سورة الشعراء، الآية: [٨].

(٢) سورة ص، الآية: [١٣].

﴿وَأَن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ﴾^(١)، أفردهم في الذكر والوصف.

والثاني قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾^(٢) جُمِعُوا فِيهِ مَعَ غَيْرِهِمْ، ثُمَّ حَكَمَ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَ لَا عَلَى الْجُمْلَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ كُذِّبَ الرُّسُلِ﴾^(٣)، فَحَيْثُ اعْتَبِرَ فِيهِمُ التَّفْضِيلُ فَصَلَّ لِامِ التَّعْرِيفِ، وَحَيْثُ اعْتَبِرَ فِيهِمُ التَّوْصِيلُ وَصَلَّ لِلتَّخْفِيفِ.

وكذلك ﴿لَتَنَخَّذَنَّ عَلَيَّهِ أَجْرًا﴾^(٤) حذفت الألف ووصلت، لأن العمل في الجدار قد حصل في الوجود، فلزم عليه الأجر واتصل به حكماً بخلاف: ﴿لَتَأْتِيَنَّكَ خَلِيلًا﴾^(٥) «فليس فيه وصلة للزوم»^(٦).



(١) سورة الحجر، الآية: [٧٨].

(٢) سورة ص، الآية: [١٣].

(٣) سورة ق، الآية: [١٤].

(٤) سورة الكهف، الآية: [٧٧].

(٥) سورة الإسراء، الآية: [٧٣].

(٦) انظر الزركشي: المرجع السابق صفحة ٤١٧ - ٤٢٩.

بيان بعدد حروف الهجاء في القرآن الكريم

من كتاب

نهايات البيان في علوم القرآن للشيخ ظفر علي

| العدد | الحرف | العدد | الحرف | العدد | الحرف | العدد | الحرف |
|-------|-------|-------|-------|-------|--------|-------|-------|
| ١٢٨٦٤ | التاء | ١١٤٩٠ | الباء | ٢٨٧١٨ | الهمزة | ٣٨٢٨٣ | الألف |
| ٢٤٩٢ | الخاء | ٤١٣٨ | الحاء | ٣٣١٧ | الجيم | ١٤١٤ | الثاء |
| ١٥٩٩ | الزاي | ١٢٤٠١ | الراء | ٤٩٣٢ | الذال | ٥٩٩١ | الذال |
| ١٦٨٧ | الضاد | ٢٠٧٢ | الصاد | ٢٤٢١ | الشين | ٦٠١٠ | السين |
| ١٢٢١ | الغين | ٩٤٠٥ | العين | ٨٥٠ | الطاء | ١٢٧٦ | الطاء |
| ٣٨٠٩٨ | اللام | ١٠٤٩٧ | الكاف | ٧٠٣٤ | القاف | ٨٧٤٦ | الفاء |
| ٢٤٨١٦ | الواو | ١٤٨٤٩ | الهاء | ٢٧٢٦٩ | النون | ٢٦٨٣٢ | الميم |
| | | ٢١٩٦٤ | الياء | | | | |

| | |
|---|-------------------------|
| ١١٤ سورة | عدد سور القرآن الكريم |
| ٧٧٤٣٩ كلمة | عدد كلمات القرآن الكريم |
| ٣٢٣٠١٥ حرفاً | عدد حروف القرآن الكريم |
| ٦٢٣٦ آية (عند من عد البسمة آية) | عدد آيات القرآن الكريم |
| ٨ أنصاف | |
| نصفه بالحروف النون من كلمة نكرا بالكهف وقيل الفاء من يتلطف | |
| نصفه بالكلمات كلمة والجلود في سورة الحج | |
| نصفه بالآيات يأفكون بالشعراء | |
| ونصفه على عدد السور الحديد | عدد أنصاف القرآن الكريم |

استدل بعضهم على أن عمر المسيح /٣٣/ سنة قبل أن يرفع إلى السماء بعدد الكلمات بقوله

تعالى :

| | | | | | | | | | | |
|-----|-----|---------|---------|---------|--------|--------|-------|---------|---------|--------|
| قال | إني | عبد | الله | آتاني | الكتاب | وجعلني | نبياً | وجعلني | مباركاً | أين |
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ | ١١ |
| ما | كنت | وأوصاني | بالصلاة | والزكاة | مادمت | حياً | وبراً | بوالدتي | ولم | يجعلني |

| | | | | | | | | | | |
|--------|--------|---------|-----|-----|------|------|------|------|------|------|
| ١٢ | ١٣ | ١٤ | ١٥ | ١٦ | ١٧ | ١٨ | ١٩ | ٢٠ | ٢١ | ٢٢ |
| جباراً | شقيماً | والسلام | علي | يوم | ولدت | ويوم | أموت | ويوم | أبعث | حياً |
| ٢٣ | ٢٤ | ٢٥ | ٢٦ | ٢٧ | ٢٨ | ٢٩ | ٣٠ | ٣١ | ٣٢ | ٣٣ |

تقسيم سور القرآن

تقسم سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام: طول - مئين - مئاني - مفصل .

١ - الطُّول: وعددها (سبع) على تعداد آياتها، وهي: [البقرة وعدد آياتها ٢٨٦، الشعراء ٢٢٧ آية، الأعراف ٢٠٦ آية، آل عمران ٢٠٠ آية، الصافات ١٨٢ آية، النساء ١٧٦ آية، الأنعام ١٦٥ آية].

٢ - المئُون: وهي كل سورة تزيد آياتها على مائة أو تقاربها.

٣ - المئاني: وهي تليها في عدد الآيات وتقع بين المئين والمفصل وسميت بذلك لأنها تثنى أو تكرر بالقراءة أكثر من المئين والطول.

٤ - المفصل: وسمي بذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة أو لأنه فصل قاطع فلا يوجد فيه نسخ أوله/ق/ أو الحجرات وآخره سورة الناس.

ويقسم إلى ثلاثة أقسام أيضاً:

- طويل: من أوله/ق/ أو الحجرات إلى عم أو البروج.

- وسط: من عم أو البروج إلى الضحى.

- قصير: من الضحى إلى الناس.

وفائدة هذا التقسيم: لتيسير الحفظ على الناس وإعانتهم على القراءة.

فضل آية الكرسي

أ - في الصحيحين عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أي آية في كتاب الله أعظم؟»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا أُتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟». قال قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١). قال: فضرب في صدري، وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»^(٢).

ب - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «سيد أي القرآن آية الكرسي» أخرجه الحاكم.

ج - وفي الترمذي مرفوعاً غريباً: «لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة فيها آية الكرسي».

د - قال ابن العربي^(٣): «إنما صارت آية الكرسي أعظم لعظم مقتضاها. فإن الشيء إنما يشرف بشرف ذاته ومقتضاه ومتعلقاته. وهي في أي القرآن ك: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤) في سورة. وهذه آية فسورة الإخلاص اقتضت التوحيد في خمسة عشر كلمة، وآية الكرسي اقتضت

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٥٥].

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) ابن العربي: هو محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي الملقب بالشيخ الأكبر له العديد من الكتب أشهرها الفتوحات الملكية» توفي سنة ٦٣٨ هـ انظر علوم القرآن المصدر السابق صفحة ٢٣٨.

(٤) سورة الإخلاص، الآية: [١].

التوحيد في خمسين حرفاً فظهرت القدرة في الإعجاز بوضع معنى معبر عنه مكتوب مَدَّدُهُ سبعة الأبحر لا ينفد عدد حروفه خمسون كلمة. ثم يعبر عن معنى الخمسين خمس عشرة كلمة وذلك كله بيان لعظم القدرة والانفراد بالوحدانية^(١).

هـ - اشتملت آية الكرسي على «١٧» موضعاً فيها اسم الله ظاهراً أو ملحوظاً وهي:

| | | | | | | |
|-------|-------|------------|-----------|----------|---------|---------|
| | الله | لا إله إلا | الحي | القيوم | ضمير لا | ضمير له |
| | هو | هو | | | تأخذه | |
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ٦ | |
| ضمير | ضمير | ضمير يعلم | ضمير علمه | ضمير شاء | ضمير | |
| عنده | بإذنه | كرسيه | | | | |
| ٧ | ٨ | ٩ | ١٠ | ١١ | ١٢ | |
| ضمير | وهو | العلي | العظيم | ضمير | | |
| يؤوده | | | حفظهما | | | |
| ١٣ | ١٤ | ١٥ | ١٦ | ١٧ | | |

(١) انظر البرهان في علوم القرآن الجزء الأول صفحة ٤٤٢.

- ١٧ - ضمير حفظهما عند فك المصدر فنقول ولا يؤوده أن يحفظهما «هو»
- وروى ابن عُيَيْنَةَ^(١) في جامعه عن أبي صالح عنه: فيها «بسورة البقرة» وهي سنام آي القرآن ولا تقرأ في دار فيها شيطان إلا خرج منها.

(١) ابن عيينة: هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الإمام الكبير. حافظ العصر شيخ الإسلام، ولد بالكوفة سنة سبع ومائة وكان يختبر الحديث ولا يخطيء. توفي سنة ثمان وتسعين ومائة هـ.

الأمثال في القرآن الكريم

١ - روى البيهقي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن القرآن أنزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال».

٢ - وحقيقة المثل: إخراج الغامض إلى الظاهر.

ولما للأمثال من فوائد فقد امتن الله علينا بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾^(١)، وبقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢)، وسمي مثلاً لأنه مائل بخاطر الإنسان أبداً أي: شاخص فيتأسى به ويتعظ.

٣ - ويأتي المثل بمعنى الصفة كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾^(٣) وقوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا نَارٌ تَلِكُ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكٰفِرِينَ النَّارُ﴾^(٤).

٤ - والغرض من المثل: تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد كتشبيه الإيمان بالنور، والكفر بالظلمة، والمعقول بالمحسوس.

٥ - ويستعمل المثل لبيان الحال كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة إبراهيم، الآية: [٤٥].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٧].

(٣) سورة الرعد، الآية: [٣٥].

(٤) سورة العنكبوت، الآية: [٤٣].

(٥) سورة النحل، الآية: [٦٠].

٦ - ويستعمل للوصف: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾^(١) كما مر في الصفحة السابقة، وكقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾^(٢)، وكقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾^(٣).

٧ - قال بعضهم: المثل والمثل شيء واحد، وقال آخرون: لو كان المثل والمثل سيان للزم التنافي في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٤) وبين ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾^(٥) فإن الأولى نافية، والثانية مثبتة له^(٦).

٨ - وقد ضرب الله أمثالا كثيرة في القرآن الكريم. فضرب للمنافقين مثلين: مثلاً: بالنار، ومثلاً: بالمطر فقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(٧) ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِي عَادَاتِهِمْ مِّنَ الصَّوَغِ حَذَرِ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٩).

٩ - ويقول النبي ﷺ: «إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فجعل الجنادب والفراشات يقعن فيها وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تفلتون من يدي»^(٨).

١٠ - مثل من أمثال القرآن الكريم وتوضيحه:

١ - قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ

(١) سورة النحل، الآية: [٦٠].

(٢) سورة الفتح: [٢٩].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٢٦٤].

(٤) سورة الشورى، الآية: [١١].

(٥) سورة النحل، الآية: [٦٠].

(٦) انظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٢٠ مجلد تفسير سورتي الشورى والنحل.

(٧) سورة البقرة، الآيات: [١٧ - ١٩].

(٨) رواه ابن ماجه وضعفه الترمذي.

الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١﴾ .

في هذه الآية مثلان:

- الأول: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ ﴿٢﴾ .

وتوضيح هذا المثل يأتي بعد قليل.

- الثاني: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حَلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ﴾ ﴿٣﴾ ابتغاء حلية كالذهب والفضة والنحاس وغيرها من معادن الأرض فيعلوها الخبث والزبد. وإنما يوقدون عليه ليزول منه ما علق من تراب الأرض وغيره.

والمثلان ضربهما الله للحق والباطل، فالباطل: وإن علا في بعض الأحيان يضمحل كالزبد. والحق: كالمعدن الذي يخلص نقياً بعد اختباره بالنار. وأكتفي بهذا القدر الموجز عن المثل الثاني لأوضح المثل الأول.

توضيح المثل الأول:

أ - هذه الصورة حسية تجري تحت سمع الناس وبصرهم ماء ينزل من السماء فتسيل منه الأودية ويعلوه الزبد. ويطفو على سطحه ويغيب في الأرض قسم منه.

فما المراد بهذه الصورة؟

ليس المقصود بهذه الصورة ظاهرها لأن الله تعالى يقول في الآية الكريمة: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ ويقول: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ .

(١) سورة الرعد، الآية: [١٧].

(٢) سورة الرعد، الآية: [١٧].

(٣) سورة الرعد، الآية: [١٧].

وأول من نأخذ عنه تفسير القرآن الكريم هو رسول الله ﷺ:

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفخ الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ. فذلك مثل من فقه في دين الله: ونفعه ما بعثني الله به ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»^(١).

فالرسول ﷺ يشبه ما جاء به من الوحي والعلم بالمطر، وعلى ضوء هذا التفسير النبوي يمكن دراسة المثل في الآية الكريمة.

وهذا المثل في الآية مؤلف من أربعة عناصر هي:

- ١ - قد جاءنا من الله علم وهدى مثله كمثل الغيث المبارك.
- ٢ - الذين جاءهم العلم كالأرض التي نزل عليها الغيث.
- ٣ - هذا الهدى يجري في أعماق قلوبهم كما يجري الغيث في أعماق الأرض وقلوب الناس تقبل من الهدى حسب طبيعتها بالضيق والسعة كما يقبل كل واد من الغيث حسب ضيقه وسعته.
- ٤ - لب العبرة في المثل: ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾^(٢) والزبد رغوة ذات فقائيع تطفو على سطح الماء ثم لا تلبث أن تزول تاركة تحتها الماء النافع، فالباطل في تفاهته وسرعة زواله كالزبد والحق في أصالته وبقائه كالماء النافع الذي جعل منه الله تعالى كل شيء حي.

وللتوسع في توضيح هذا المثل نضيف الآتي:

(١) متفق عليه.

(٢) سورة الرعد، الآية: [١٧].

- العنصر الأول:

الإنسان مؤلف من جسم وروح فليس من المعقول والحكمة أن ينزل الله للأجسام ما تحتاجه وتتغذى به ويهمل الروح التي هي أهم شيء في هذا الكائن الحي وبذلك تتبدد شبهات الملاحدة الذين ينكرون النبوات ورسالة السماء.

وهذا الذي أنزله الله للقلوب والأرواح مقابل الماء الذي أنزله الله للأجسام والأبدان وهو الوحي: روح القلوب وسر حياتها فإذا سرى الوحي في الأرواح عاشت كما يعيش الجسم إذا سرى فيه الماء، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِنْتُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾^(١).

و - العنصر الثاني:

إن حياة النفوس بهدى الله تعالى ولا حياة لها بغيره كما أن حياة الأرض بالماء ولا حياة لها بدونه فلا حياة لها بذهب أو فضة أو مال ولا غير ذلك، فبالماء وبالماء فقط تحيا الأرض فالذين يظنون أن تحيا نفوسهم بغير ما أنزل الله من مدنيات أو علوم خالية من الروح، أو يظنونها تحيا بكثرة ما يجمعون من عرض الدنيا إذ لا موت إلا فيما يطلبون ولا حياة إلا فيما يعرضون عنه ويدعون.

قال تعالى:

﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

(١) سورة الشورى، الآية: [٥٢].

(٢) سورة الأنعام، الآية: [١٢٢].

فهؤلاء: ﴿أَمُوتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(١).

ما داموا بعيدين عن مصدر الحق كما تموت الأرض إذا بعدت عن الماء والله ينادينا ليقول: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

وأرض القلوب والنفوس كهذه الأرض التي نعيش عليها. فقد قال قبل هذه الآية:

﴿الْمَ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُوا ﴿١٦﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾^(٣).

- وإن للماء الذي يسري في الأرض شاهداً ملموساً نراه في الزرع والزهرة والشجر والثمر فهل بحياة النفوس والقلوب بالوحي من آثار؟

وللجواب على ذلك نقول: نعم ومن هذه الآثار:

١ - الشعور بالرضا والغبطة فليس لكم القليل أو الكثير حساب في غبطته ورضاه وإنما هو سر نبع في وجدانه من عالم غير عالم الكميات التي يحيط بها العد ويقدرها الكيل والميزان. فهو سعيد بغير سبب من أسبابنا المنظورة.

٢ - الشعور باليسر أمام ما يلقي عليه من أعباء الحياة: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾^(٤).

لأنه لا يعمل بطاقته الظاهرة فقط بل بمدد من الطاقة الروحية أيضاً.

(١) سورة النحل، الآية: [٢١].

(٢) سورة الحديد، الآية: [١٧].

(٣) سورة الحديد، الآيتان: [١٦ - ١٧].

(٤) سورة الطلاق، الآية: [٤].

٣ - يحل في نفسه حب الفضيلة وبغض الرذيلة وتتلاشى في نظره الفوارق الاجتماعية.

٤ - يجعل حب الدنيا في يده فيضمها ويقبضها متى شاء ولا يجعلها بقلبه وبذلك يسيطر على الشهوات ولا تسيطر عليه الشهوات فيكون عبداً لها، فهو سيد على ماله لا عبد له قال تعالى:

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَابِ﴾^(١).

٥ - ليست الحياة في نظر من يؤمن بالوحي صراعاً على حطام الدنيا، وليست شهوة حسية بل هي عبودية مطلقة لله تعالى، من خلق كريم وتضحية وجهاد وإيثار وشجاعة وعند ذلك يكون هذا الكائن الحي هو الزرع المبارك الكريم، الذي ينبت في أرض بشريتنا كما نبت قديماً برعاية الرسول ﷺ في بشرية الصحابة رضوان الله عليهم، حين سقيت وهي مية بوحى الله العظيم. فأصبحوا كما قال الله فيهم:

﴿كَزَرَ أَخْرَجَ سَطَطَهُ فَأَزْرَهُ فَأَسْتَغْلَطَ فَأَسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرْعَ﴾^(٢).

ز - العنصر الثالث:

إن الأودية تختلف سعة وضيقاً، فأعظمها شأنًا أكثرها ماءً. وأبعدها عمقاً واتساعاً، وأصلحها لإمداد الأرض بالماء. وثمره ذلك كثرة الثمار والأشجار على جانبيه وامتداد الحقول والبساتين من حوله. وكذلك الناس تتفاوت قلوبهم في تقبل أمر الله، فمنهم من يمتلىء ويتقبل الكثير، ومنهم

(١) سورة آل عمران، الآية: [١٤].

(٢) سورة الفتح، الآية: [٢٩].

من يقبل دون ذلك أو لا يتسع لما يتسع له الأول. وعلى هذا تتفاوت أقدار الناس. فأعلاهم قدراً أكثرهم إحاطة ووعياً لما أنزله الله، وأعظمهم إفاضة على العباد ونفعاً لهم. وثمره ذلك أن تنبع شجرة التقوى من القلب وتستفيض دائرة الهدى والخير من حوله وتهوى أفئدة الناس إلى منهاجه والاقتراء به. وكان رسول الله ﷺ يفرح بكثرة أتباعه ويفخر بهم ويحث على أن يتكاثروا، هذا ولكل واد طاقة يتقبل الماء بقدرها فإذا أمد بما فوق طاقته كان طغياناً وفيضاناً وتخریباً وتدميراً وإتلافاً. كذلك لكل نفس طاقة تقف عندها في تقبل هدى الله وعلمه فإذا أراد المرء أن يحمل فوق طاقته تمزق بالسأم والصد عن الله.

وفي الحديث قوله ﷺ: «إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى».

فقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أزاغها وإن شاء أقامها، مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، والوادي قبل أن يأتيه السيل يكون جافاً ممتلئاً بالقش وغيره، فإذا أتاه السيل أخذ ذلك وأصبح الوادي طرياً وطفاً القش والأوراق على سطح الماء. وكذلك هدى الله إذا جرى في قلوب العباد طهرها وأزال ما فيها من أكدار الطبائع وذنسها فلا يبقى شيء منها في القلوب، بل تطفو متخذة سبيلها إلى الزوال السريع.

ح - العنصر الرابع:

الزبد رغوة ذات فقائيع تظهر على وجه الماء حين يخضه الجريان أو حين يضطرب لسبب ما ولا تلبث أن تذهب رغوته إلى لا شيء وموقع

(١) سورة القصص، الآية: [٥٦].

الزبد في هذا المثل صورة دقيقة لموقع الباطل إلى جانب الحق في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(١) فالزبد: هو الباطل، والأودية قلوب الناس والماء هو الوحي^(٢).

ط - الزبد وعناصر تكوينه:

ليس الزبد عنصراً من عناصر الماء وإن وجد على سطحه وهو ظاهرة عابرة عارضة. غازات وهباء وليونته وطراوته مستمدة من الماء، فهو لا شيء. وكذلك شأن الباطل إلى جانب الحق. فالحق جوهر الأصالة لكل شيء في الوجود. والباطل لا أصل له. ونسبته إلى الحق كنسبة فقاعة الزبد إلى الماء فهو غرور الأهواء يحاول أن يبدو للناس في أثواب الأصالة التي يبدو فيها الحق فينخدع بذلك أهل الغفلة وقصار النظر. والعقبي للحق الذي يتضمن عناصر البقاء. وإذا كانت فقاعة الزبد تستعير ليونة الماء لتستر فهي لا شيء، وهكذا الباطل يدعم وجوده إنما يحاول دعم لا شيء. فهو هيئ كهبوان الفقاعة المتطائرة الضائعة، وإذا أخذت حفنة كبيرة من هذا الزبد لا فقاعة واحدة. فانظر ماذا يبقى بكفك من هذا الهباء الذي يتألف من الزبد؟

ي - الباطل في نظر أهل الحق:

ليس للباطل فائدة وليس له قوة فإنزله كزوال الزبد إذا أخذته بكفك من الماء. وإلى هذا يشير القرآن الكريم.

﴿لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ

(١) سورة الرعد، الآية: [١٧].

(٢) انظر مجمع البيان لتفسير ألفاظ القرآن - سميح عاطف الزين - دار الكتاب اللبناني الطبعة الأولى ١٩٨٠. صفحة ٣٨٥. حرف (الزاي)

جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَهَادُ ﴿١﴾.

ك - أهواء الباطل وغازات الزبد:

هذه الغازات تكونت من عفونة أجسام تحللت وفسدت ببعض عوامل التحليل والفساد. وبهذه الغازات كثر الزبد وكبرت فقاعاته. وهذه الغازات يقابلها أهواء المرء وشهواته، فإذا كانت الغازات هي العامل الأساسي في تكوين الزبد فالأهواء والشهوات هي العامل الأساسي لوجود كل باطل على ظهر هذه الأرض. فأي شيء في الإنسان ضربه العفن والفساد؟ لقد جاء العفن منذ أن خلقه الله من طين خسيس بالأصل المكنون بالحما المسنون والماء المتجدد يطهر العفن ويزيله كماء الوادي. وكذلك الوحي، يزيل العفن من نفوسنا ويطهرنا، ففطرنا على الإيمان بالله.

ل - التقاء الزبد والباطل:

- ١ - كل منهما ظاهرة عارضة ضائعة الأصل والنسبة.
- ٢ - كل منهما شيء لا نفع له ولا ثمرة ينتهي إليها.
- ٣ - كل منهما سريع التحول والزوال لا استقرار له ولا دوام.
- ١٠ - مثل من السنة وتوضيحه

وأختم هذا المبحث بمثل من السنة المطهرة لبيان تقريب المعاني الذهنية إلى الفهم عن طريق الأمثال ولبیان بلاغة الرسول ﷺ.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأنه كاد أن يبطلها بها فقال عيسى عليه السلام: إن الله تعالى أمرك بخمس كلمات لتعمل بها

(١) سورة آل عمران، الآيتان: [١٩٦ - ١٩٧].

وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها . فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم^(١) .

فقال يحيى : أخشى إن سبقتني أن يخسف بي أو أعذب . فجمع الناس في بيت المقدس ، فامتلاً المسجد وقعدوا على الشرف . فقال : إن الله تبارك وتعالى أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن :

- أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق فقال : هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدِّ إليّ فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك .

- وإن الله يأمركم بالصلاة . فإذا صليتم فلا تلتفتوا فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت .

- وأمركم بالصيام فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك ، فكلهم يعجب ويعجبه ريحه وإن ربح الصائم أطيب عند الله تعالى من ربح المسك .

- وأمركم بالصدقة فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه ، فقال : أنا أفدي نفسي منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم .

- وأمركم أن تذكروا الله تعالى فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم . كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله^(٢) .

(١) رواه الدارقطني .

(٢) رواه أحمد والترمذي .

من قصص القرآن الكريم

أولاً: تعريف القصص:

القصص لغة^(١) تتبع الأثر والقصص يأتي بمعنى المصدر كما في سورة الكهف ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾^(٢)، أي: رجعا يقصان الأثر الذي جاء به. وفي التنزيل على لسان أم موسى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهٗ﴾^(٣) أي تتبَّعي أثره.

والقصص: الأخبار المتتابعة قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(٥).

وقصص القرآن الكريم: هو إخباره عن الأنبياء والأمم الماضية والحوادث الواقعة.

ثانياً: أنواع القصص القرآنية:

١ - الإخبار عن الأنبياء السابقين وما جرى لهم مع أممهم كقصة موسى وصالح وهود وشعيب وغيرهم.

٢ - قصص غير الأنبياء كأصحاب الكهف وذو القرنين وقارون وأصحاب الأخدود.

٣ - قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت للرسول ﷺ كحديث الإفك، وغزوة بدر، وأحد، والخندق، وتبوك. وحادثتي الهجرة والإسراء والمعراج.

(١) انظر مجمع البيان المصدر السابق صفحة ٧٠٣ باب (قص).

(٢) سورة الكهف، الآية: [٦٤].

(٣) سورة القصص، الآية: [١١].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [٦٢].

(٥) سورة يوسف، الآية: [١١١].

ثالثاً: والقصص القرآني حقائق تاريخية قاطعة لا خيالات متصورة مسبوكة قال تعالى: ﴿تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾^(١).

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾^(٢)

﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾^(٣).

رابعاً: فوائد القصص القرآني:

أ - تثبيت قلب الرسول ﷺ عندما يحدثه القرآن الكريم عمّا لاقاه الرسل قبله من أذى، وكيف كانت لهم العاقبة.

ب - إيضاح أسس الدعوة إلى الله.

ج - تصديق الأنبياء السابقين.

د - صدق نبوة محمد ﷺ.

هـ - مقارعة أهل الكتاب بالحجة والبرهان، كقوله تعالى:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَنُوتُوا بِالتَّوْرَةِ فَآتَلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤).

خامساً: تكرار القصص القرآني:

القصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن الكريم وتعرض بأساليب متنوعة في سور مختلفة تقديمياً وتأخيراً وإطناباً وإيجازاً لبيان بلاغة القرآن الكريم وقوة إعجازه ولتتمكن القصة من النفوس. ولاختلاف الغاية التي تساق القصة من أجلها.

(١) سورة الكهف، الآية: [١٣].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [٦٢].

(٣) سورة القصص، الآية: [٣].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [٩٣].

قصة من قصص القرآن الكريم

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْإِنْسَانُ عَلِيمًا﴾ فَضَلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَّابِعُهَا النَّاسُ عَلِيمًا مِّنْطِقِ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَّابِعُهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَقَفَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعَذَّبْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحْتُهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّىٰ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَتَّابِعُهَا الْمَلَأُوا إِنِّي أُلْفَىٰ إِلَيْكَ كِدْبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأُتُوهُ مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَتَّابِعُهَا الْمَلَأُوا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا

وَجَعَلُوا أَعْرَةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةً ۖ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ
بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا
آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلِنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا
وَلِنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَتَأَيَّأُ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِّنَ الْجِنَّ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ
طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن
شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا
نَنظُرُ أَن نَّهْنِدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَّا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ
كَانَتْ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ءإِنَّمَا
كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن
سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ
سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ (١).

لا أريد أن أسرد هذه القصة فهي مبسطة وموضحة في كتب التفسير
وبما أن في هذه القصة عبراً كثيرة فسأوضح بعض هذه العبر (٢).

أولاً: في هذه القصة تقرير القواعد الأصلية المادية والروحية لقيام
الدولة الفاضلة، وهي:

(١) سورة النمل، الآيات: [١٥-٤٤].

(٢) انظر قصص الأنبياء لابن كثير، الجزء الأول دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ الطبع.

أ - القوة . ب - العلم . ج - الرسالة . د - إيمان الرئيس الأعلى
وعنايته بكل شيء . هـ - إيمان أفراد الشعب برسالة الدولة .

ويتجلى شرحها وبيانها في الآتي :

أ - القوة : تجمع قوة الأبدان وكثافة الجنود المدربين ووفرة الأسلحة :
﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١) يدفعون حفظاً
لنظامهم والبقاء على تنظيم صفوفهم لكثرتهم فهم من كل الأجناس من
الجن والإنس والطير، وهذا الجيش الذي لا مثيل له ولا نظير يبعث الرعب
في النفوس حتى النمل تخاف منه :

قال تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا
مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢) .

ويعرّف سليمان عليه السلام قوة جيشه فيقول للهدهد:

﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ
صَاغِرُونَ﴾^(٣) .

تصوير رائع في كلام موجز لم يترك ناحية من نواحي الجند إلا ألم
بها. كثرة العدد والنظام والقوة بتعدد الأجناس - إلقاء الرعب في قلوب
المخلوقات حتى التي لم يقصدها الجيش كالنمل فهو جند مظفر بإذن رب
العالمين .

ب - العلم :

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَ الْاِحْمَدُ لِلّٰهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلٰى
كَثِيْرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنْطِقَ

(١) سورة النمل، الآية: [١٧].

(٢) سورة النمل، الآية: [١٨].

(٣) سورة النمل، الآية: [٣٧].

الطير وأوتينا من كل شيء^ط إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الْمُمِينُ^(١).

وهذه الوراثة وراثة علم لا وراثة مال وفي الحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»^(٢)، والتفاهم مع الطير وتعلم منطقتها علم لم تتوصل إليه البشرية إلى اليوم. وهو علم اللغات والعلم من كل شيء. ومنطق الطير نجده في حوار مع الهدهد. حتى كان يفهم ما تقوله الحشرات كالنملة التي تحدثت مثلاً، فقالت:

﴿يَتَأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحِطُّمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبِّسْ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٠﴾﴾^(٣).

- وأما ما عدا اللغات من العلوم فتجده في قوله تعالى: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ^ط﴾^(٤).

- وثمرة هذا العلم العملية: السيطرة على القوى المختلفة في هذا الكون وتسخيرها لمنافع الدولة وسكانها.

- وقد استعمل هذا العلم ليدهش ملكة سبأ وملاها ويلين قلوبهم للإيمان بأن جاء بعرشها إليه والمسافة بعيدة، وجاء به الذي عنده علم من الكتاب.

﴿قَالَ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنْ لَجْنٍ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ

(١) سورة النمل، الآيتان: [١٥ - ١٦].

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٨١/٢.

(٣) سورة النمل، الآيتان: [١٨ - ١٩].

(٤) سورة النمل، الآية: [١٦].

هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۖ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿١﴾ .

ج - الرسالة :

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا ۚ يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ ۗ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ ۗ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ۗ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ۗ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ ۗ عُدُوها شَهْرٌ وَرَوْحُها شَهْرٌ ۗ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۗ وَمَنْ أَلْجَنَ مِنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۗ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ۗ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرَبٍ وَتَمَثِيلٍ ۗ وَجَفَانٍ ۗ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ ۗ رَأْسِيَّتٍ ۗ أَعْمَلُوا ۗ آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢﴾ .

فلقد سخر الله لسليمان العلم وقوى الطبيعة .

- ولهذا يرسل سليمان بهذا الكتاب الموجز لملكة سبأ:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٠﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣) كتاب موجز جامع قاطع حازم الإصرار على إنزالهم على حكم الإسلام، فتقول بعد ذلك لملكة سبأ:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٤) .

د - إيمان الرئيس الأعلى وعنايته بكل شيء:

فقد كان سليمان عليه السلام يتفقد كل شيء حتى الهدهد بين هذه

الملايين من المخلوقات:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَأَ أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾

(١) سورة النمل، الآيات: [٣٨ - ٤٠].

(٢) سورة سبأ، الآيات: [١٠ - ١٣].

(٣) سورة النمل، الآيات: [٣٠-٣١].

(٤) سورة النمل، الآية: [٤٤].

لَأَعَذَّبْتُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنَّ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾.

وهنا نجد العناية بكل شيء مضافاً إلى ذلك الحزم في محاسبة من يخالف النظام وهذه العناية سببها وباعثها إيمان سليمان بدولته ووضوح الأهداف أمامه ومعرفة ما يجب أن يعمل، وذلك ليكون هذا الرسول قدوة لمن يلي أمور الناس بعده.

- وسليمان عليه السلام لم يأخذ اعتذار الهدهد قضية مسلمة بل وضعها موضع التحقيق والاختبار قال تعالى: ﴿قَالَ سَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢).

والوقوف عند المبدأ والغاية واضح فلا الأموال الضخمة ولا الكنوز والجواهر تبعده قيد أنملة عن هدفه، ولذلك لم يقبل الهدايا التي أرسلتها بلقيس لإغرائه وقال متهمكما:

﴿قَالَ أَتُمَدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَّ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَانِيكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣).

وقد قصّ الله تبارك وتعالى عن ذي القرنين الملك العادل ذلك بقوله
جل وعلا:

﴿قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٤).

(١) سورة النمل، الآيتان: [٢٠ - ٢١].

(٢) سورة النمل، الآية: [٢٧].

(٣) سورة النمل، الآيتان: [٣٦ - ٣٧].

(٤) سورة الكهف، الآيتان: [٩٤-٩٥].

هـ - إيمان أفراد الشعب برسالة الدولة:

ولذا نجد أن الهدهد يعتز بقيامه بواجبه وعصيان سليمان قائد الجن والإنس فيقول:

﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢١﴾﴾.

ثم يلمح له بوجوب قتالهم لردهم إلى عبادة الله ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢).

فخطاب الهدهد لسليمان ليس خطاب المذنب المهمل بل هو خطاب الذي رضي عن عمله واطمأن إلى أداء واجبه فهو لا يعبأ أن يخاطب أعظم قائد بلغة الحق القوي.

- ولهذا فإن الأمة التي لا يساوي رجالها هدهداً هي أمة غشاء وهباء، وإن الأمة التي هدهدها كهدهد سليمان تسود الأمم وتكون قدوة للأنام.

وإن فساد العقيدة والعمل يخلق رجالاً من أمثال رجال بلقيس يقولون لها: ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (٣).

وهي لم تجمعهم إلا لتقول لهم: ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ (٤) فلم يسمعوها رأياً تستأنس به.

(١) سورة النمل، الآيتان: [٢٢-٢٣].

(٢) سورة النمل، الآية: [٢٤].

(٣) سورة النمل، الآية: [٣٣].

(٤) سورة النمل، الآية: [٣٢].

و - من لطائف هذه القصة:

- ١ - بيان عاقبة الاستعمار، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(١).
- ٢ - فطنة بلقيس^(٢):

أ - لم تحاول رشوة سليمان بالمال بل أرسلت إليه الهدايا لاختبار حقيقته. فإن كان من الملوك رضي بالمال وإن كان من أصحاب العقيدة لم يقبل الأموال:

قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣).

ب - وحين نكروا عرشها وسألوها أهكذا عرشك؟ قالت: كأنه هو. فلم تقل إنه هو فقد تركته وراءها فدل ذلك على ضعفها، ولم تقل ليس هو لأنه غباوة وبلادة ذهن. وخرجت من ذلك بقولها: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾^(٤).

٣ - إن بلقيس كانت عاقلة في إسلامها وشركها، فقد علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس ولذلك قالت ونفذت: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٥).

٤ - لا يجوز معاقبة البريء بل يعاقب المذنب، فالعقوبات الجماعية لا يقرها الإسلام، عندما تشمل المذنب والبريء معاً.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أن نملة قرصت نبياً من

(١) سورة النمل، الآية: [٣٤].

(٢) بلقيس: ملكة سبأ، وهي التي ورد النعت عليها في القرآن الكريم في سورة النمل. وقد أسلمت على يد سيدنا سليمان لله رب العالمين.

(٣) سورة النمل، الآية: [٣٥].

(٤) سورة النمل، الآية: [٤٢].

(٥) سورة النمل، الآية: [٣٥].

الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله تعالى إليه: «أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح»^(١)، وفي طريق آخر (فهلا نملة واحدة).

٥ - وفي قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾^(٢) لطيفة وهي أنه على الإمام أن يتفقد رعيته كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه والقصص مبسوسة في كتب السيرة.

٦ - وصفت ملكة سبأ كتاب سليمان بأنه كريم لأنه بدأ ببسم الله الرحمن الرحيم وفي الحديث: «كل كلام لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أجزم»^(٣).

٧ - الملاء في هذه الآيات هم أشرف القوم ولهم منزلة خاصة على غيرهم وهم بمقام الرفعة والسيادة ولذلك عضدت همزة الملاء بالواو والألف فكتبت ﴿أَلْمَلَأُوا﴾^(٤) لتدل على ذلك وهذا من دقائق الرسم القرآني المتعلق بالتفسير وقد أفرد له بحث خاص بهذا الكتاب.

٨ - كان النبي ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ولا يقبل الصدقة، وكذلك الأنبياء ومنهم سليمان، سليمان لم يقبلها لأنها في الواقع رشوة، وكذلك بلقيس أرادت بها معرفته نبياً أو ملكاً فإذا قبلها فهو ملك لا نبي لأنه ورد في كتابه: ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾^(٥)، وهذا الموضع لا تقبل فيه هدية.

وصفة الهدية المقبولة هي التي تولد الحب والتواصل بين الناس:

| | |
|----------------------------|---------------------------|
| هدايا الناس بعضهم لبعض | تولد في قلوبهم الوصالا |
| وتزرع في الضمير هوىً ووداً | وتكسبهم إذا حضروا الجمالا |

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة النمل، الآية: [٢٠].

(٣) رواه الخطيب والسبكي، ورواه الدارقطني في سننه بلفظ (بذكر الله)

(٤) سورة النمل، الآية: [٢٩].

(٥) سورة النمل، الآية: [٣١].

٩ - في قول النملة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١). دليل على عدل سليمان وجنوده ورحمتهم فإذا كانوا لا يدوسون نملة، فهل يقتلون أحداً ظلماً؟! ولذلك تبسم سليمان ضاحكاً من قولها سروراً بما سمع وأكد التبسم بالضحك لأنه يدل على السرور. أما إذا قال تبسم مطلقة فقد يدل على السرور أو الغضب نقول: «تبسم تبسم الغضبان».

١٠ - الحيوانات تفهم ولها لغات تتفاهم بها.

فالنمل حيوان فطن قوي شمّام يدخر الحب ويشقه لثلا ينبت، ويتخذ القرى. ويشق الكزبرة أربعة أقسام لأنها تنبت إذا صارت قطعيتين، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي باقيه عنده. فتبارك الله أحسن الخالقين^(٢).



(١) سورة النمل، الآية: [١٨].

(٢) قصة من الحديث النبوي وهي قصة «أم زرع».

العتاب في القرآن الكريم

أ - وجه القرآن الكريم في بعض آياته عتاباً لطيفاً للرسول ﷺ . وهذا يدل على أن القرآن هو كلام الله ولو كان كلام محمد ﷺ ما سجل على نفسه هذا العتاب .

والعتاب الوارد في القرآن الكريم والموجه إلى رسول الله ﷺ لا نسميه «عتاباً» بل نطلق عليه بأنه «تعديل» لأن العتاب يوجه لمن خالف حكماً قطعياً معلوماً لديه، ولذلك لم يوجد بين يدي رسول الله ﷺ حكماً حتى يخالفه، والعتاب هنا لا يزيل على رسول الله ﷺ العصمة. فقد اجتهد رسول الله ﷺ بشريته المبنية على العصمة والفتنة.

ب - الخطأ في الاجتهاد ليس معصية فلا يقدر في عصمة الرسول ﷺ بل يستحق صاحبه أجراً إذا كان أهلاً لذلك وبذل جهده، والمجتهد يخطئ ويصيب والله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

فللمجتهد أجران إن أصاب وأجر إن أخطأ. وفي الحديث: «إذا حكم أحدكم في شيء فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر واحد»^(٢).

ج - كان ﷺ يقول لأحد أمراء السرايا والجيوش:

«وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك على أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا»^(٣).

(٣) [رواه مسلم وأحمد والترمذي وابن ماجه].

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٨٦].

(٢) [رواه الجماعة]

د - الرسول قدوة ولذلك اجتهد ليقلده الناس من بعده، لأن الحياة لا تستقيم بدون اجتهاد.

فإن لم يصب الحقيقة نزل عليه الوحي يبين له الحكم الصحيح، وبذلك فهو القدوة لأنه لم يصدر عنه إلا الحق والصواب.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

هـ - وفي الاجتهاد دليل على بشرية الرسول ﷺ وعبوديته. لا كما زعم النصارى في عيسى ابن مريم عليه السلام وفي الحديث: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله»^(٢).

وقال ﷺ: «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليّ، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحسب أنه صادق. فأقضي له على نحو ما أسمع. فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار، فليأخذها أو يتركها»^(٣).



(١) سورة الأحزاب، الآية: [٢١].

(٢) [رواه البخاري].

(٣) [رواه الشيخان ومالك وأصحاب السنن].

أمثلة من القرآن الكريم عن العتاب

١ - قال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾^(١) فقد استأذن المنافقون رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقبل معذرتهم وأذن لهم فعاتبه الله على ذلك وطلب منه أن يتثبت من أمرهم ليعلم الصادق من الكاذب.

٢ - ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُشْخَبَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ تَوَلَّا كَذِبًا مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

فقد استشار النبي ﷺ أصحابه في شأن أسرى بدر من المشركين فأشار عمر رضي الله عنه بقتلهم، وأشار أبو بكر بأخذ الفداء منهم، فأخذ برأي أبي بكر وكان رأي عمر هو الصواب فنزل القرآن الكريم يؤيد رأي عمر رضي الله عنهما^(٣).

٣ - قصة عبد الله ابن أم مكتوم^(٤).

عندما كان الرسول ﷺ يكلم وجهاء قريش طمعاً في إسلامهم جاء عبد

(١) سورة التوبة، الآية: [٤٣].

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: [٦٧-٦٨].

(٣) انظر أسباب النزول، المرجع السابق للنيسابوري الطبعة ١٩٩٢م. انظر أسباب النزول عن الصحابة والمفسرين الشيخ عبد الفتاح القاضي . ط. دار السلام ٢٠٠٠م.

(٤) عبد الله ابن أم مكتوم: وهو رجل أعمى، أسلم قديماً وكان عندما يلقاه رسول الله ﷺ يقول له: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» راجع المرجع السابق صفحة ٢٤٨.

الله وطلب منه أن يعلمه مما علمه الله، فعبس في وجهه وأعرض عنه. فنزل القرآن الكريم يعاتبه وذلك بقوله تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَإِنَّ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكُبُ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَإِنَّ عَنْهُ لُحَاهَى ﴿١٠﴾﴾ (١).

٤ - لما توفي زعيم المنافقين عبد الله بن أبي كنفه النبي ﷺ في قميصه وأراد أن يستغفر له. فجذبه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال: أتستغفر له وتصلي عليه وقد نهاك ربك. فقال ﷺ: «إنما خيرني ربي» فقال:

﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٢). وسأزيده على السبعين ثم صلى عليه فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣). فترك الصلاة على المنافقين.



(١) سورة عبس، الآيات: [١ - ١٠].

(٢) سورة التوبة، الآية: [٨٠].

(٣) سورة التوبة، الآية: [٨٤].

المكي والمدني

أ - أصح ما قيل في تعريفه :

المكي: ما نزل قبل الهجرة النبوية ولو نزل خارج مكة .

المدني: ما نزل بعد الهجرة النبوية ولو نزل بمكة أو عرفات أو غيرها من الأماكن .

وسأقتصر في هذا المبحث على: الضوابط التي يعرف بها المكي والمدني .

ب - ضوابط المكي والمدني .

١ - المكي :

أولاً: كل سورة فيها لفظ «كلا» فهي مكية . وقد ذكرت كلمة «كلا» في القرآن الكريم (٣٣) مرة في (١٥) سورة من النصف الأخير من القرآن الكريم . قال الإمام الشاطبي رحمه الله^(١) :

وما نزلت كلا بيثرب فاعلمن ولم تأت في القرآن في نصفه الأعلى وحكمة ذلك أن (كلا) نزلت بمكة لأن أكثر أهلها جابرة فتكررت تهددهم وتزجرهم ، بخلاف النصف الأول بالمدينة ففيها أهل كتاب . فلم يُحتج (لكلا) بالنسبة لليهود لذلتهم وضعفهم .

ثانياً: كل سورة فيها سجدة فهي مكية

(١) الشاطبي: هو محمد بن فيرا بن أبي القاسم بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي . انظر شرح القارئ ص ٤٢٠ منشورات الحلبي وأولاده ١٩٥٤ م .

ثالثاً: كل سورة في أولها الحروف النورانية أو التهجي فهي مكية سوى البقرة وآل عمران إجماعاً وفي سورة الرعد خلاف
رابعاً: كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم السابقة مكية سوى سورة البقرة.

خامساً: أكثر سور المفصل مكية

٢ - المدني:

أولاً: كل سورة فيها الحدود والفرائض فهي مدنية

ثانياً: كل سورة فيها الإذن بالجهاد أو بيان أحكامه فهي مدنية

ثالثاً: كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية ما عدا العنكبوت فهي مكية إلا الآيات (١-١١) منها فهي مدنية وهي التي ذكر فيها المنافقون.



أنواع السور المكية والمدنية

أربعة أنواع:

أ - سور كلها مكية كالمدثر.

ب - سور كلها مدنية كآل عمران.

ج - سور مكية ما عدا آية أو آيات منها فمدنية كالأعراف فكلها مكية إلا آية ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١).

د - سور كلها مدنية إلا بعض آياتها كالحج فهي مدنية إلا أربع آيات منها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٦٣].

(٢) سورة الحج، الآيات: [٥٢ - ٥٥].

خواص القرآن المكي

- ١ - حارب الشرك والوثنية بالأدلة القاطعة فالأصنام لا تخلق ذباباً قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(١).
- ٢ - تقديم الأدلة من الأنفس والكون قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢) ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٢).
- ٣ - الحديث عن عاداتهم القبيحة قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾﴾^(٣).
- ٤ - شرح أصول الأخلاق وحقوق الاجتماع.
- ٥ - قص نبأ الرسل وأخبار الأمم الماضية.
- ٦ - الإيجاز في الخطاب.



(١) سورة الحج، الآية: [٧٣].

(٢) سورة الذاريات، الآيتان: [٢١-٢٢].

(٣) سورة التكوير، الآيتان: [٨ - ٩].

خواص القرآن المدني

١ - التحدث عن دقائق التشريع كآية الدِّين في سورة البقرة.

٢ - دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى الإسلام.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١).

٣ - الإطناب والتطويل في سوره وآياته.



(١) سورة آل عمران، الآية: [٦٤].

تأثير القرآن الكريم في نفوس الأعداء والأصدقاء

١ - للكلام تأثيره في النفوس، ولا يوجد كتاب أحدث أثراً في نفوس الناس كالقرآن الكريم، لأنه كلام رب العالمين. وكلام الله روح ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(١).

وهو نور قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾^(٢).

ومن آمن به فهو في حياة ونور قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٥).

٢ - تأثير القرآن الكريم في أعدائه:

(١) سورة الشورى، الآية: [٥٢].

(٢) سورة المائدة، الآية: [١٥].

(٣) سورة الأنعام، الآية: [١٢٢].

(٤) سورة النحل، الآية: [٩٧].

(٥) سورة الأنفال، الآية: [٢٤].

أ - كانوا يتسللون ليلاً ليستمعوا إلى تلاوة النبي ﷺ .

ب - منعوا أبا بكر الصديق من الصلاة في فناء داره لأن نساء المشركين وأطفالهم كانوا يستمعون له ويتأثرون بذلك .

ج - تعاهدوا أن لا يسمعه وأن يلغوا فيه إذا سمعوه .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا لَهُذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾ (١) .

د - كان صناديدهم يحملهم طغيانهم وكفرهم إلى حمل السلاح لقتل محمد رسول الله ﷺ فيذهبون وبعد سماعهم للقرآن يعودون مسلمين مدافعين عنه . وقصة إسلام عمر وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير أكبر دليل على ما أقول (٢) .

٣ - تأثير القرآن في نفوس المؤمنين به :

أ - تنافسهم في حفظه وقراءته في الصلاة وخارج الصلاة قال تعالى : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣) .

وكان التفاضل بينهم بما يحفظ أحدهم من القرآن . وكانت المرأة ترضى بأن يكون مهرها سورة يعلمها إياها زوجها من القرآن الكريم .

ب - تطبيقهم له عملياً وتركهم كل حكم يخالف حكمه من مألوف عاداتهم الجاهلية .

ج - جهادهم واستبسالهم في الدفاع عنه ونشر تعاليمه وكان ﷺ يرد

(١) سورة فصلت، الآية: [٢٦].

(٢) في إسلام عمر وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير . انظر حياة الصحابة للكاندهلوي، السيرة النبوية لابن كثير .

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: [١٧-١٨].

بعضاً ممن يتطوع للجهاد منهم لصغره. وكان عليه الصلاة والسلام يتخلف عن بعض المعارك جبراً لخواطر الفقراء الذين لا يستطيعون تجهيز أنفسهم.

قال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً. ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني. والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل»^(١).

٤ - مصلحون كثيرون قبل سيدنا محمد ﷺ لم يحدثوا ما أحدثه هذا القرآن فقد تمكن من بسط مبادئه على العالم القديم. وأزاح أعظم الدول في فترة وجيزة كدولتي الفرس والروم.

الأعاجيب أن يروع كسرى ويسير الرومان تحت السلاح
وينال الملك العظيم بداءة من حفاة الأعراب غُبر الوشاح
عدة الحرب مصحف وحسام والخلود الخلود للأرواح

مقارنة بين تأثير محمد ﷺ في أصحابه وتأثير موسى في أصحابه:

١ - بعد خروج بني إسرائيل من البحر ونجاتهم من فرعون بعد غرقه قالوا لموسى: ﴿يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَنْطَلُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْيَرَ اللَّهُ بَعْضِكُمْ عَلَى الْبَعْضِ وَهُوَ فَضْلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢).

٢ - ولما ذهب موسى لمناجاة ربه واستخلف عليهم أخاه هارون نسوا الله، وعبدوا العجل، قال تعالى:

(١) [رواه الشيخان ومالك].

(٢) سورة الأعراف، الآيات: [١٣٨-١٤٠].

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾ .

٣ - ولما طلب منهم موسى قتال الجبارين ودخول الأرض المقدسة قالوا كما أخبر تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢﴾ .

أما أصحاب محمد ﷺ:

١ - فقد قطعوا شجرة بيعة الرضوان عندما أخذ الناس يتبركون بها. فخاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن طال العهد بالناس أن يعودوا لوثنيتهم فيعبدونها.

٢ - ولما استشار ﷺ أصحابه في بدر لقتال المشركين قالوا له:

«والله لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد»^(٣).



(١) سورة الأعراف، الآيتان: [١٤٨ - ١٤٩].

(٢) سورة المائدة، الآيات: [٢٢ - ٢٤].

(٣) رواه البخاري ومسلم: انظر السيرة النبوية لابن كثير المرجع السابق.

نماذج لتفسير الآيات

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾^(١).

أولاً: وإن منكم إلا واردها.

هذا قسم والواو تتضمنه، ويفسره الحديث الشريف: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم»^(٢) وكأنه يريد هذه الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾^(٣).

ثانياً: تفسير الورود:

يفسر الورود كما في الآيات الكريمة بالآتي:

أ - بالمرور على الصراط.

ب - بالإشراف عليها من بعد.

ج - برؤيتها في القبر.

د - بأنها في حق الكفار فقط.

(١) سورة مريم، الآيتان: [٧١ - ٧٢].

(٢) رواه النسائي.

(٣) سورة مريم، الآية: [٧١].

ثالثاً: والورود: المرور على الصراط... وليس الدخول فيها.

ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(١). وفي صحيح مسلم: «ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون: اللهم سلم سلم». قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟. «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان. فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب. فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم» وهذا الحديث أقرب للصواب من غيره.

رابعاً: والورود إشراف وإطلاع وقرب بحضورهم موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها. ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا إليه.

قال تعالى في قصة موسى:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٢).

أي: أشرف واطلع على ماء مدين ولم يدخل الماء.

وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية» قالت حفصة، أم المؤمنين رضي الله عنها، فقلت: يا رسول الله، وأين قول الله تعالى:

(١) سورة الأنبياء، الآية: [١٠١].

(٢) سورة القصص، الآية: [٢٣].

﴿وَأِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(١) فقال رسول الله ﷺ: «فمه»^(٢). ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًا﴾^(٣).

خامساً: وقال بعض المفسرين: الورد النظر إليها في القبر وفي الحديث عن ابن عمر: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي».

سادساً: وقيل هذا خطاب للكفار لأن منكم تعود على ضمير الغيبة في الآيات التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ (٦٦) أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾^(٤).

وهذا كقوله تعالى:

﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (٦٦) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾^(٥).

فرجعت الكاف في لكم إلى الهاء في ﴿وسقاهم﴾.

سابعاً: أطفال المسلمين بالجنة لقوله ﷺ: «من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث (الحلم) كانوا له حجاباً من النار»^(٦) أو دخل الجنة أي

(١) سورة مريم، الآية: [٧١].

(٢) انظر أسباب النزول، المرجع السابق.

(٣) سورة مريم، الآية: [٧٢].

(٤) سورة مريم، الآيات: [٦٦-٧١].

(٥) سورة الإنسان، الآيتان: [٢١-٢٢].

(٦) رواه النسائي.

كان موتهم له حجاباً من النار لأن الرحمة إذا نزلت بأبائهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم. وأما أطفال الكفار فجمهور العلماء على أنهم في الجنة.

ثامناً: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾^(١).

فالحتم هو: إيجاب القضاء، أي: كان ذلك حتماً مقضياً، أي: قضاء الله عليكم^(٢).

تاسعاً: ثم ننجي الذين اتقوا نخلصهم ونذر نترك الظالمين فيها جثياً وقوله تعالى هذا يرجح أن الورود هو الدخول فيها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً ويبقى الكافرون فيها.



(١) سورة مريم، الآية: [٧١].

(٢) انظر مجمع البيان تفسير لألفاظ القرآن المرجع السابق.

من علم مرسوم الخط رسم الهمزة

تمهيد

الهمزة لا صورة لها بالخط لأنها مبدأ الحروف وأنها متحركة وأول الحركات الفتح فهي من جهة الابتداء من الألف الذي هو أول الحروف الثلاثة التي هي للمد واللين ثم تعضد بأحد هذه الحروف الثلاثة حيث تثبت ولا يأتي سقوطها فإن أتى سقوطها خرجت من أصلتها فلم تعضد إلا أن يكون في المعنى ما يقوي ظهورها فتعضد.

أنواع الهمزات

١ - الهمزة في أول الكلمة:

لا يتأتى سقوطها لأنها متحركة وليس قبلها غيرها وهي من جهة المعنى مبدأ الحروف. فعضدت بأول الحروف وهو الألف بأي حركة تحركت الهمزة

٢ - الهمزة في آخر الكلمة:

أ - إذا وقعت الهمزة في آخر الكلمة أخرجت عن أصلتها بحسب وصفها آخر الكلمة محل الوقوف والسكون.

وإذا كان ما قبلها متحركاً، لا يتأتى سقوطها بإلقاء حركتها عليه لأنه متحرك مثل «يستهيء» ويصبح النطق بالهمزة ساكنة مثل «إن يشأ» وكذلك في الوقف.

فإذا تقوى معناها بالكلمة بحيث تكون له مرتبة ظاهرة أصلية: فتعضد بحرف حركتها مثل (الملؤا) - (ورأى).

ب - رسم الهمزة في آخر الكلمة بالقرآن الكريم:

الهمزة المتطرفة تكتب على حرف يناسب حركة ما قبلها فإذا كان قبلها الفتح كتبت على ألف مثل «الملاً» وإذا كان قبلها ضم كتبت على واو مثل «لؤلؤ» وإذا كان قبلها كسر كتبت على ياء مثل «يستهنىء» وإذا كان قبلها سكون كتبت على السطر مثل «يشاء» هذه هي القواعد القياسية في كتابة الهمزة.

لكن إذا كان للكلمة معنى زائد أو رتبة عالية أو أهمية خاصة. أو ظهور متميز كتبت على صورة لا تتفق مع هذه القاعدة القياسية، ومن أمثلة ذلك الكلمات التالية:

أولاً: (الملؤا - نبؤا - يبؤوا الخلق) في هذه الكلمات ما قبل الهمزة حرف متحرك.

ثانياً: ما قبل الهمزة ساكن.

كالألف مثل كلمات (جزأوا - علمؤا - شركاؤا) وغيرها وقد عضدت هذه الكلمات بالواو والألف

- وهنالك كلمات تعضد همزتها بالياء:

مثل: (تلقائي - وإيتائي - انائي - ورائي).

ثالثاً: رسم الهمزة إذا كان الساكن قبلها غير الألف مثل: (الخبء - بريء).

أولاً: إذا كان قبل الهمزة متحرك:

١ - كلمة «الملاً» مرسومة بالألف إلا في أربعة مواضع هي: موضع في سورة (المؤمنون) وثلاثة في سورة (النمل).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾.

«فالملاء» هنا عليّة القوم وزعماؤهم ورؤساؤهم ولذلك كتبت بالواو وعضدت بالألف بعدها بينما في نفس السورة وبعد ثماني آيات وفي الآية «٣٣» تحديداً قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِفَاءِ الْآخِرَةِ وَأُتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ كتبت «الملاء» هكذا على الألف، لأن معنى «الملاء»: عامة الشعب من الكافرين.

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾.

«فالملاء» هنا لهم رتبة خاصة وهم قادة الجيش وأعيان الدولة وزعماؤها ولذلك كتبت بالواو وعضدت بالألف لبيان مزيتهم.

ومثلها في نفس السورة قال تعالى:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣﴾﴾.

لنفس السبب لأنهم هم أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِي قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤﴾﴾.

والقائل هو سليمان وقد قال ذلك لمن لهم رتبة ظاهرة في الوجود فعضرت

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: [٢٣ - ٢٤].

(٢) سورة النمل، الآيتان: [٢٩-٣٠].

(٣) سورة النمل، الآية: [٣٢].

(٤) سورة النمل، الآية: [٣٨].

الجن تعهد بإحضار عرش الملكة قبل أن يقوم سليمان عليه السلام من مكانه والذي عنده علم من الكتاب تعهد لسليمان بإحضاره قبل أن يرتد إليه طرفه وهل فوق هذه المكانة من مكان وبلمحة بصر يحضر عرشاً من اليمن إلى بيت المقدس^(١).

ملاحظة:

وردت كلمة «الملاً» ٢٢ مرة في القرآن الكريم.
أربعة منها مكتوبة هكذا: المَلُؤَا و ١٨ مكتوبة هكذا المَلَأَ.
وهذا الرسم له فائدة عظيمة في علم التفسير: ف «الملاً» عامة الناس
والمملؤا عظماء القوم وساداتهم.

٢ - كلمة «نبأ» عضدت فيها الواو بالألف بثلاث كلمات هكذا نَبَأُ وهي:

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ
فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ
مُرِيبٍ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾^(٤).

عضدت فيها الهمزة لظهور تلك الأنباء وعظمتها في الوجود وهذه أنباء
ليست كغيرها ترى من سياق الآيات وما عداها فقد كتبت بالألف كقوله تعالى:
﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق﴾ وكقوله تعالى: ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكَ

(١) انظر قصص الأنبياء لابن كثير، المرجع السابق.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: [٩].

(٣) سورة ص، الآية: [٢١].

(٤) سورة ص، الآيتان: [٦٧-٦٨].

فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿١﴾ وقوله:
﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَدَافُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢).

ملاحظة:

وردت كلمة «النَّبِيَّ» ١٥ مرة في القرآن الكريم (٣).

٣ - كلمة «يبدأ الخلق» عضدت الهمزة فكتبت يَبْدُوا الخلق حيثما

وردت بالقرآن الكريم في المواضع التالية:

﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ (٤).

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ
فَإِنِّي تُوفِّكُونَ﴾ (٥).

﴿أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (٦).

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٧).

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (٨).

وقد وردت هذه الكلمة «٦» مرات في القرآن الكريم لأن ظهور الخلق
أمر عظيم وإعادته أمر جسيم:

(١) سورة الحجرات، الآية: [٦].

(٢) سورة التغابن، الآية: [٥].

(٣) انظر مجمع البيان ص ٢٧٠، المصدر السابق.

(٤) سورة يونس، الآية: [٤].

(٥) سورة يونس، الآية: [٣٤].

(٦) سورة النمل، الآية: [٦٤].

(٧) سورة الروم، الآية: [١١].

(٨) سورة الروم، الآية: [٢٧].

قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(١).

د - إذا كان قبل الهمزة حرف ساكن.

أ - فإن كان الحرف الساكن ألفاً مثل «هباء» و«جفاء» فإنها لا تعضد إلا أن يكون في المعنى ما يقويها مثل:

﴿أَوَّلَ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(٢).

فقد عضدت الهمزة تنبيهاً على درجاتهم في العلم وظهورهم في الوجود في أرفع صفة المرجوع إليهم في جزئيات العلم وكلياته ولذلك جعلهم الله آية «راجع التفسير»^(٣).

ومثلها كلمة «العلماء» في سورة فاطر برسم بعض المصاحف لأن هؤلاء العلماء هم العلماء الحقيقيون المطيعون لله والرسول ﷺ يقول: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته» قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾^(٤).

ولم ترد هذه الكلمة إلا في هذين الموضعين:

ب - وردت كلمة جزاء «٣٢» مرة بالقرآن الكريم وهي لم تعضد فبقيت الهمزة مكتوبة على السطر هكذا جزاء كقوله تعالى: ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥). وقد عضدت هذه الكلمة في أربعة مواضع فكتبت هكذا جزاؤها وهذه المواضع هي:

١ - ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٦).

(١) سورة الأنبياء، الآية: [١٠٤].

(٢) سورة الشعراء، الآية: [١٩٧].

(٣) انظر تفسير القرطبي في تفسير سورة الشعراء. المرجع السابق.

(٤) سورة فاطر، الآية: [٢٨].

(٥) سورة يوسف، الآية: [٢٥].

(٦) سورة المائدة، الآية: [٣٣].

٢ - ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاؤُ
الظَّالِمِينَ﴾^(١)

٣ - ﴿وَجَزَاؤُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

٤ - ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

والجزء المذكور ظاهر في الوجود فهو دنيوي وأخروي لذلك عضدت
الهمزة في هذه الأماكن الأربعة. وبقيت على الأصل في «٢٨» موضعاً آخر.

ج - كلمة «شركاء»

وردت «١٣» مرة في القرآن الكريم ورسمت همزتها معضودة في
موضعين هما:

أ - ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَؤُا لَقَدْ تَقَطَّعَ
بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٤).

ب - ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَؤُا شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا
كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥).

فقد عضدت الهمزة لأنهم زعموا ذلك وأظهروه وبالغوا في التشريك. وقد
أظهروا ذلك بأن هؤلاء شركاء لله في الملك وهذا خطاب ظاهر في الدنيا يظهر
للمؤمنين باطل الكافرين بالآخرة وما يتبقى فيكتب بالألف «شركاء» وفي آية
سورة القلم روايتان: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٦).

ج - وأكتفي بهذه الكلمات التي ذكرتها على سبيل التمثيل لا الحصر وهنالك

(٤) سورة الأنعام، الآية: [٩٤].

(٥) سورة الشورى، الآية: [٢١].

(٦) سورة القلم، الآية: [٤١].

(١) سورة المائدة، الآية: [٢٩].

(٢) سورة الشورى، الآية: [٤٠].

(٣) سورة الحشر، الآية: [١٧].

كلمات أخرى تكتب فيها الهمزة معضودة وغير معضودة أذكر منها الكلمات التالية المعضودة وأترك للقارئ العزيز معرفة سبب ذلك مقتنياً آثار الأمثلة السابقة أعلاه .
وهذه الكلمات المعضودة هي :

- ١ - كلمة ﴿أَبْتُوا﴾^(١) في قوله تعالى : ﴿أَبْتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرِءُونَ﴾ .
- ٢ - ومنها ﴿الضُّعَفَاءُ﴾^(٢) في قوله تعالى : ﴿وَيَرْزُقُوا اللَّهَ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدَنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ .
- ٣ - وكذلك ﴿الْبَلَّاءُ﴾^(٣) في قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَّ الْبَلَّاءُ الْأَمِينُ﴾ .
- ٤ - وكذلك ﴿شُفَعَاءُ﴾^(٤) في قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ .
- ٥ - وكذلك كلمة ﴿دُعْتُوا﴾^(٥) في قوله تعالى : ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعْتُوا الْكَاذِبِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ .
- ٦ - وكذلك ﴿نَشْتُوا﴾^(٦) في قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يُعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتُوا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ .
- ٧ - وكذلك ﴿أَبْتُوا﴾^(٧) في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ .

(١) سورة الأنعام، الآية : [٥] .

(٢) سورة إبراهيم، الآية : [٢١] .

(٣) سورة الصافات، الآية : [١٠٦] .

(٤) سورة الروم، الآية : [١٣] .

(٥) سورة غافر، الآية : [٥٠] .

(٦) سورة هود، الآية : [٨٧] .

(٧) سورة المائدة، الآية : [١٨] .

كلمات عضدت همزتها بالياء بآخر الكلمة

وهي أربع كلمات:

١ - قال تعالى: ﴿مِن تِلْقَائِي نَفْسِي﴾^(١).

لأنه التلقاء الخاص الذي يظهر من قبل النفس ورأيها هو سر لا يعلمه إلا الله تعالى.

٢ - قال تعالى: ﴿وَإِتَائِي ذِي الْقُرْبَى﴾^(٢).

بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِتَائِي ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).

لأنه إيتاء خاص ومختص بالأقرباء ويشمل الإيتاء المعنوي بالعدل والإحسان والإيتاء المادي بالأموال

٣ - قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَنَايِ اللَّيْلِ﴾^(٤) فهي آناء خاصة غير معنية

بالحسن.

٤ - قال تعالى: ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾^(٥) هو الورااء الخاص بالملكوت

الذي يظهر بالحجاب. والملكوت أمر باطن.

(١) سورة يونس، الآية: [١٥].

(٢) سورة النحل، الآية: [٩٠].

(٣) سورة النحل، الآية: [٩٠].

(٤) سورة طه، الآية: [١٣٠].

(٥) سورة الشورى، الآية: [٥١].

ملاحظة:

وإذا كان الساكن قبل الهمزة المتطرفة غير الألف: مثل (الخبء وبريء)
فإنها لا تعضد في هذه الحالة.

ملاحظة:

أما الهمزة في وسط الكلمة فأترك البحث فيها للقارىء لأنني أردت أن
يكون بحث الهمزة المتطرفة تتويجاً إلى هذا النوع من علوم القرآن الكريم،
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.



من أساليب الدعوة بالقرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

فالاهتمام بناحية الروح في القرآن الكريم ينبغي أن يأخذ مكانه في قلوبنا وعقولنا وليس من المنطق أن نهتم بالروح في أجسام المخلوقات ولا نهتم بها في كلام الله تعالى فكلاهما من أمر الله عز وجل فالله يقول عن الروح في كتابه الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾، ويقول عن الروح في الأجسام: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٢).

- وقد أشار القرآن الكريم إلى إعجاز الألفاظ وإعجاز الروح بالقرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُمْ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٣).

وبقوله: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٤).

(١) سورة الشورى، الآية: [٥٢]

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٨٥].

(٣) سورة الحج، الآية: [٧٣].

(٤) سورة الإسراء، الآية: [٨٨].

- فالقرآن الكريم روح وبه حياة القلوب والملكات فهي تنمو به وتقوى وتسمع وتبصر وتزيل العوائق التي تفصل بين القلب والقرآن الكريم. وآية واحدة كفيلة بتغيير حياة الإنسان بانتقاله من الضلال إلى الهدى.

يروى عن الإمام الشافعي^(١) رضي الله عنه أنه قال في سورة العصر: «لو ما أنزل الله حجة على عباده إلا هذه السورة لكفتهم».

فالذي يلمس السلك الكهربائي من طرفه أو وسطه أو أي مكان منه تسري الكهرباء في جسمه وكذلك القرآن الكريم إذا خالطت آية منه القلب أحييت الإنسان ظاهراً وباطناً. فالقرآن حبل الله المتين فمن أي طرف أو مكان لمست هذا الحبل أثر بك، فطرفه بيد الله وطرفه الآخر بيد العباد فأى جزء أخذنا منه سرى سره في القلوب فارتجفت به وحييت.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَّشَ مِنْهُ جُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٢).

- وقد يقول قائل: فما فائدة القرآن كله إذا كانت آية واحدة كافية لحياة القلوب؟ والجواب: إن مهمة القرآن الكريم ليست حياة القلوب فقط. وإنما هي وضع مناهج العمل الذي تنتظم به الحياة حتى لا يضل المرء عملاً واعتقاداً أثناء سيره إلى الله. ويقول بعضهم «من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق»^(٣).

والتصوف: حياة القلب والتفقه معرفة أحكام الله. ولذلك ورد في الحديث: «فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

- وحياة القلوب تحدث بآية واحدة أو كلمة واحدة لأنها روح.

(١) الإمام الشافعي: هو محمد بن إدريس أبو عبد الله صاحب المذهب المعروف، ولد سنة خمسين ومائة هجرية وتوفي سنة أربع ومائتين هجرية من مؤلفاته الشهيرة كتاب (الأم).

(٢) سورة الزمر، الآية: [٢٣].

(٣) انظر الدر الثمين والمورد المعين للإمام مالك رضي الله عنه شرح الجال.

أما الأحكام فإن الله عز وجل يعلم من طبيعة تكويننا أن عقولنا لا تفقهها إلا وهي مفصلة. ولو كانت طبيعة العقول كطبيعة القلوب في تقبلها الحقائق والأحكام جملة واحدة في لحظة واحدة كلمح البصر لساق لنا الأحكام في آية واحدة. فليس المعول عليه في حياة القلوب مقدار ما نقرأ من القرآن الكريم ولكن كيف نقرأ القرآن الكريم. فعلينا أن نقوم نحوه بالآتي:

أ - أن نتدبره ونقرأه في خلوات الليل: عملاً بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٢).

ب - ترك الهوى:

فكل هوى من الأهواء الدنيوية حجاب كثيف بين الإنسان وبين الله، وبين القلب وبين القرآن، فحب المال حجاب، وحب الأولاد حجاب، وحب السلطة والرئاسة حجاب. وإعجاب المرء بعلمه وعمله حجاب.

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾^(٤).

(١) سورة النساء، الآية: [٨٢].

(٢) سورة محمد، الآية: [٢٤].

(٣) سورة آل عمران، الآية: [١٤].

(٤) سورة الإسراء، الآية: [٤٥].

ج - أن نؤمن ونقر بعبوديتنا لله :

ولذلك وصف الله رسوله بالعبودية في أعظم رحلة سماوية بالإسراء والمعراج قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

والعبودية تقتضي تنفيذ أمر الله بحب ورضا وطواعية وتحمل للصعاب .

د - الكلام صفة المتكلم والله قد اتَّصَفَ بكل صفات الكمال والجلال، قال الإمام جعفر الصادق^(٢): «لقد تجلَّى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون».

هـ - أن نقرأ القرآن الكريم وكأننا نسمعه من الله تعالى وأبسط مقتضيات هذا أن نصغي إلى هذا المتكلم العظيم ونحسن الإستماع والإنصات إليه لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٣) فالقرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض .

- ومن آيات الدعوة بالقرآن الكريم: أكتفي بنصين من نصوص القرآن الكريم .

١ - الأول قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٤).

٢ - الثاني قصة مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ

(١) سورة الإسراء، الآية: [١].

(٢) الإمام جعفر الصادق: هو أحد مصنفي المعتزلة وله آراء انفراد بها وكان موصوفاً بالديانة. تاريخ بغداد (١٦٢/٧)، انظر الأعلام (١٢٦/٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية: [٢٠٤].

(٤) سورة النحل، الآية: [١٢٥].

وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضَ الَّذِي يَعِدُكُمْ
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُومُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي
 الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى
 وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ
 يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْوِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
 ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ
 مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ
 قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ
 اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿١﴾ .

وقال في نفس السورة أيضاً: ﴿وقال الذي ءامن﴾ يَقُومُ اتَّبِعُونِ
 أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَعٌ وَإِنَّ الْأَخْرَةَ
 هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا
 مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
 حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾
 تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ
 الْغَفْرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ
 وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ
 لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
 مَا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِعَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٢﴾ .

(١) سورة غافر، الآية: [٢٨ - ٣٤].

(٢) سورة غافر، الآية: [٣٨ - ٤٥].

علم المتشابه

تمهيد

١ - ويقصد بعلم المتشابه إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر ذلك في الأنباء والقصص. والحكمة منه التصرف بالكلام وإيراده على ضروب ليظهر للعرب وللناس عجزهم عن الإتيان بمثله.

٢ - أنواعه:

أولاً- التشابه باعتبار الأفراد:

أ - أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر ومنه:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ﴾^(١) وفي كل القرآن: ﴿لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾^(٢).

- وقوله تعالى: ﴿وَلِنُطْمِئِنَ قُلُوبِكُمْ بِهِ﴾^(٣)، ﴿وَلِنُطْمِئِنَ بِهِ قُلُوبِكُمْ﴾^(٤).

- وقوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾^(٥).

- وقوله تعالى: ﴿كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة، الآية: [١٧٣].

(٢) سورة المائدة، الآية: [٣]، الأنعام، الآية: [١٤٥]، النحل، الآية: [١١٥].

(٣) سورة آل عمران، الآية: [١٢٦]،

(٤) سورة الأنفال، الآية: [١٠].

(٥) سورة النساء، الآية: [١٣٥].

(٦) سورة المائدة، الآية: [٨].

- وقوله تعالى: ﴿تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(١)، ﴿تَحْنُ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾^(٢) والأمثلة كثيرة جداً في كتاب الله تعالى.

- وليبيان المراد بذلك نكتفي بتوضيح المثال الأخير وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْرُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(٣) فالفقر هنا حقيقة واقعة فكما يرزقكم أيها الآباء يرزق أولادكم.

أما في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقْنُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْرُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَلْبَهُمْ كَانَ خِطَاءً كَبِيرًا﴾^(٤). «فالإملاق أو الفقر هنا ليس موجوداً بل هو متوقع يخشاه الوالد، ولذا بيّن لهم القرآن الكريم أن رزق الآباء يصلهم بأمر الله تعالى بسبب الأبناء».

والإملاق معناه: الفقر، والجوع، والفاقة.

ثانياً - التشابه بالزيادة والنقصان، ومثاله:

قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾^(٦) بنقص: من غم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾^(٧).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ﴾^(٨) بحذف أن.

(١) سورة الأنعام، الآية: [١٥١].

(٢) سورة الإسراء، الآية: [٣١].

(٣) سورة الأنعام، الآية: [١٥١].

(٤) سورة الإسراء، الآية: [٣١].

(٥) سورة الحج، الآية: [٢٢].

(٦) سورة السجدة، الآية: [٢٠].

(٧) سورة العنكبوت، الآية: [٣٣].

(٨) سورة هود، الآية: [٧٧].

فقد كانت مكة قائمة. وكما ترى (فبلداً) في البقرة بالتنكير وهي مفعول به ثان (ءامناً) صفة للبلد.

أما في سورة إبراهيم (فالبلد) معرفة بأل البلد وإعرابها بدل من هذا و(ءامناً) مفعول به ثانٍ للفعل اجعل.

خامساً - التشابه بالجمع والإفراد:

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾^(١) ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾^(٢) لأن الجمع إذا كان واحده مذكر أن يقتصر في الوصف على التانيث وهذا هو الأصل كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾^(٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَائِرُ مَبْتُوثَةٌ ﴿٣﴾ فأية البقرة هي الأصل وآية آل عمران هي الفرع.

سادساً - التشابه بإبدال حرف بحرف.

قال تعالى: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾^(٤).

وفي الأعراف ﴿فكلا﴾ الأولى بالواو والثانية بالفاء وآية الأعراف خطاب لهما قبل الدخول. وآية البقرة خطاب لهما بعد الدخول.

سابعاً - التشابه بإبدال كلمة بأخرى:

قال تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾^(٥)، ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ﴾^(٦).

ثامناً - التشابه الإدغام وفكّه:

(١) سورة البقرة، الآية: [٨٠].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [٢٤].

(٣) سورة الغاشية، الآية: [١٣ - ١٦].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٣٥].

(٥) سورة البقرة، الآية: [٦٠].

(٦) سورة الأعراف، الآية: [١٦٠].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٣).

ثانياً: التشابه باعتبار الحروف «عدد ورود الكلمات»

أولاً - ما جاء على حرفين:

أ - وقوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۗ إِنَّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ ٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾^(٤).

ب - ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾^(٥)، ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾^(٦).

ج - ﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ حرفان في آل عمران رقم «٨٦» ورقم «١٠٥» وغيره كثير.

ثانياً - ما جاء على ثلاثة أحرف:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَلْقَوُكُمْ﴾^(٧).

ثالثاً - ما جاء على أربعة أحرف:

(١) سورة النساء، الآية: [١١٥].

(٢) سورة الأنفال، الآية: [١٣].

(٣) سورة الحشر، الآية: [٤].

(٤) سورة هود، الآية: [٢٦].

(٥) سورة يوسف، الآية: [٩٦].

(٦) سورة القصص، الآية: [١٩].

(٧) سورة البقرة، الآية: [٥٤]، المائدة، الآية: [٢٠]، الصف، الآية: [٥].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾^(١).

رابعاً: ما جاء على خمسة أحرف:

قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٢).

خامساً: وهكذا ما نزل على ستة أحرف وسبعة أحرف وثمانية أحرف وتسعة أحرف وعشرة أحرف وأحد عشر وخمسة عشر وثمانية عشر وعشرين وثلاثة وعشرين. وكل هذه لها أمثلة يمكن الرجوع إليها في كتب علوم القرآن الكريم^(٣).



(١) سورة الأعراف، الآية: [١٥٨]، سورة يونس، الآيتان: [١٠٤، ١٠٨] الحج، الآية: [٤٩].

(٢) سورة النساء، الآية: [٥٩] المائدة، الآية: [٩٢]، النور، الآية: [٥٤]، محمد، الآية: [٣٣]، التغابن، الآية: [١٢].

(٣) راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي من صفحة «١٤٥» إلى الصفحة «١٥٤».

المناسبات والربط بين السور وبين الآيات

١ - المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول .
والمناسبة المقاربة . ومنه النسيب وهو القريب الذي بينك وبينه رابطة .
والمناسبة بين الآيات : وجود رابط بينها أو علاقة ، والكلام المترابط كالبناء
المحكم المتلائم^(١) .

٢ - وإذا كان القرآن الكريم قد نزل في أكثر من / ٢٢ / سنة لكنه
مرتب في اللوح المحفوظ على وفق ترتيبه بالمصحف . فهو مترابط محكم
قال تعالى : ﴿الرَّكِنُ أَحْكَمُ ءَايَةٍ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(٢) .
وهذا مبني على أن ترتيب سور المصحف توقيفي .

ولتوضيح ذلك نبدأ ببيان أنواع الربط :

أولاً - الربط بين السور :

من كان ذا بصيرة تبين له أن افتتاح السورة يتناسب مع خاتمة ما قبلها ،
ومن الأمثلة على ذلك :

أ - افتتحت سورة الأنعام بالحمد لله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٣) .

وهذا مناسب لختام سورة المائدة قبلها : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٤) .

ب - وكافتتاح سورة فاطر بالحمد مناسب لختام سورة سبأ ﴿وَجِيلَ

(١) انظر مجمع البيان لفسير ألفاظ القرآن . المرجع السابق (نسب) .

(٢) سورة هود، الآية : [١] .

(٣) سورة الأنعام، الآية : [١] .

(٤) سورة المائدة، الآية : [١٢٠] .

بَيْنَهُمْ وَيَنْ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكِّ مُرِيبٍ ﴿١﴾ .

ج - الإرتباط بين سورة الفيل وقريش قد قيل: (إن اللام في قوله تعالى: ﴿لَا يَلَا ف﴾ هي للتعليل فقد نجاهم من أصحاب الفيل وامتن عليهم برحمتي الشتاء والصيف).

د - الترابط بين سورتي الماعون والكوثر، ففيهما مقابلة. ففي سورة الماعون أربع صفات للمناقق يقابلها ضدها بالكوثر:

١ - فالبخل (بالماعون) يقابلها (بالكوثر) الكثير.

٢ - وترك الصلاة (بالماعون) يقابلها (بالكوثر) فصلّ.

٣ - والرياء في (الماعون) يقابلها (بالكوثر) لربك (أي: خالصاً لله).

٤ - ومنع الزكاة في (الماعون) يقابلها (بالكوثر) وانحر (وهو التصدق بلحم الأضاحي).

هـ - افتتحت سورة الإسراء بالتسبيح: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (٢). وافتتحت سورة الكهف بعدها بالتحميد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (٣) لأن التسبيح حيث جاء مقدم على التحميد. والعبارة المعلومة تقول (سبحان الله والحمد لله) وليس العكس.

وإذا كان هذا بين السور فكيف الترابط بين الكلمات! . ولذلك يظهر عند التأمل أن القرآن كالكلمة الواحدة، فليتأمل كل قارئٍ للقرآن الكريم ذلك وليتدبره .



(١) سورة سبأ، الآية: [٥٤].

(٢) سورة الإسراء، الآية: [١].

(٣) سورة الكهف، الآية: [١].

أنواع الربط بين الآيات

أ - إذا تعلق الكلام بعبءه بعبء ولم يتم المعنى فالترابط واضح ولا حاجة لشرحه .

ب - إذا لم يظهر الارتباط وظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وهذا هو موضوع البحث وهو ينقسم إلى قسمين .

القسم الأول:

أن تكون الجملة معطوفة ولا بد أن تكون بينهما جهة جامعة كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾^(١) فهنا مقابلة وتضاد.

وهذا مثال يوضح ذلك:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُزِيلِهِ مِنْ عَيْنِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) وَعَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً^(٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانُوا عَبَدًا شَكُورًا^(٣) .

فما العلاقة بين الإسراء وموسى ونوح؟ وما الرابطة؟! .

(١) سورة سبأ، الآية: [٢].

(٢) سورة الإسراء، الآيات: [١-٣].

والجواب على ذلك أن الله سبحانه وتعالى أطلع رسوله محمداً ﷺ على الغيب عياناً وأخبره بوقائع من سلف بيانا، لتقوم أخباره على معجزاته برهاناً. أي سبحانه الذي أطلعك على بعض آياته لتقصها ذكراً، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه لتكون قصتهما آية أخرى؟ أو أنه أسرى بمحمد إلى ربه كما أسرى بموسى من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب.

ثم ذكر ذرية من حملنا مع نوح ليتذكر بنو إسرائيل نعمة الله عليهم، قديماً حيث نجاهم من الغرق إذ لو لم ينج أباهم من أبناء نوح لما وجدوا وأخبرهم أن نوحاً كان عبداً شكوراً وهم ذريته والولد سر أبيه فيجب أن يشكروا النعم كأبيهم لأن عليهم أن يسيروا على سيرته.

فهاهنا ثلاث نعم، في هذه الآية الكريمة وهي:

- ١ - نعمة الله على محمد ﷺ بالإسراء.
- ٢ - نعمة الله على موسى برحلته إلى مدين ونجاته من فرعون.
- ٣ - نعمة الله على نوح وذريته بإنجائهم من الغرق.

- والمثال الثاني هو قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾^(١) فما العلاقة بين الإبل والسماء والجبال والأرض؟

الأول:

من المعلوم أن البدوي يعتمد في معيشتة على الإبل. والإبل بحاجة إلى غذاء ومرعى، وسبب نبات العشب هو المطر النازل من السماء. فإذا

(١) سورة الغاشية، الآيات: [١٧-٢٠].

نزل المطر فلا بيت عنده يحميه، فيلجأ إلى الجبال يحمي بها من المطر. فإذا انقطع هطول المطر خرج بإبله إلى الأرض الفسيحة ليرعى إبله. فسبحان الله العظيم والحمد لله رب العالمين على نعمه.

الثاني:

أن تكون الجبال غير معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهي قرائن معنوية مؤذنة بهذا الربط وأسبابه.

أقسام الترابط بين الآيات

١ - التنظير: وهو إلحاق النظير بالنظير. كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكْرَهُونَ﴾^(١).

عقب قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢).

فإن الله أمر رسوله أن يمضي إلى الغنائم كما خرج من بيته لطلب العير وهم كارهون. وذلك أنهم اختلفوا في قسمة الأنفال والغنائم وحاجوا الرسول ﷺ في ذلك. أي أن كراهيتهم لما فعلته الغنائم ككراهيتهم في الخروج معك إلى العير.

٢ - المضادة: ومثاله في أول سورة البقرة. فقد وصف الله المؤمنين بالقرآن الكريم فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾^(٣).

(٣) سورة البقرة، الآيات: [٣ - ٥].

(١) سورة الأنفال، الآية: [٥].

(٢) سورة الأنفال، الآية: [٤].

ثم ذكر ضدهم وهم الكفار. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشوة ولهم عذاب عظيم ﴿١﴾.

٣ - الاستطراد: كقوله تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَءَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِن ۢءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ ﴿٢﴾.

فهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد بعد بدو وظهور السوءات وخصف الورق لإظهار نعمة الله في اللباس ولما في العري وكشف العورات من المهانة والفضيحة فالستر باب عظيم من أبواب التقوى.

فقابلها بآيات قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿٣﴾.

هذه خلاصة مبسطة للربط بين سور القرآن وللربط بين آيات القرآن الكريم. وهي آيات لأولي الألباب.



(١) سورة البقرة، الآيتان: [٦-٧].

(٢) سورة الأعراف، الآية: [٢٦].

(٣) سورة الأعراف، الآية: [٢٢].

النسخ

معنى النسخ لغة^(١): الإزالة. قال تعالى: ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾^(٢).
ومعناه أيضاً: التبديل. قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾^(٣).

وأيضاً: التحويل كتناسخ المواريث أي تحويلها من واحد إلى واحد.
وأيضاً: النقل من موضع إلى آخر، مثل: نسخت الكتاب إذا نقلته،
وفي الجاثية قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).
والنسخ اصطلاحاً هو: بيان مدة الحكم وهو رفع الحكم الشرعي المتقدم
بدليل شرعي متأخر.

- أدلة النسخ السمعية:

أ - قال تعالى: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥).

ب - وقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٦).

ج - وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) انظر ترتيب القاموس المحيط على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير للظاهر أحمد الزاوي.
الدار العربية للكتاب طبعة ١٩٨٤م حرف النون الصفحة رقم ٦٠١.

(٢) سورة الحج، الآية: [٥٢].

(٣) سورة النحل، الآية: [١٠١].

(٤) سورة الجاثية، الآية: [٢٩].

(٥) سورة البقرة، الآية: [١٠٦].

(٦) سورة الرعد، الآية: [٣٩].

يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .

د - وقال تعالى: ﴿فِي ظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ (٢) .

هـ - إجماع السلف على وقوع النسخ في الشريعة الإسلامية .

- حكمة وقوع النسخ:

لقد نسخ الله بالإسلام كل دين سبقه ونسخ بعض أحكام هذا الدين ببعض مراعاةً لظروف المجتمعات وتطورها، ومراعاةً لحاجة الأمة الإسلامية حسب المراحل التي مرت بها كي لا تكون طفرة بل بالتدرج كمن يريد أن يصعد إلى السطح. ومثاله تحريم الخمر بالتدرج، قال أهل العلم: (ولو قال لهم من أول الأمر «لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً»).

- فيم يقع فيه النسخ؟

الجمهور على أنه يقع في الأمر والنهي ولا بد لوقوعه من تحقيق شروط أربعة هي:

- ١ - أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً.
 - ٢ - أن يكون دليل رفع الحكم دليلاً شرعياً.
 - ٣ - أن يكون هذا الدليل متراخياً عن دليل الحكم الأول.
 - ٤ - أن يكون بين الدليلين تعارض حقيقي.
- تقسيم سور القرآن بحسب ما دخله من النسخ وما لم يدخله:
- أ - ما ليس فيه ناسخ أو منسوخ / ٤٣ / سورة كالفاتحة ويوسف .

(١) سورة النحل، الآية: [١٠١]

(٢) سورة النساء، الآية: [١٦٠].

ب - ما فيه ناسخ وليس فيه منسوخ مثل الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن، والأعلى، والطلاق.

ج - ما فيه منسوخ وليس فيه ناسخ مثل الأنعام، والإسراء.

د - ما اجتمع فيه الناسخ والمنسوخ مثل البقرة، وآل عمران، والنساء، فالنسخ لا يكون إلا في الأحكام كما تقدم وفي فروع العبادات والمعاملات، أما غير هذه الفروع من العقائد وأمّهات الأخلاق وأصول العبادات والمعاملات ومدلولات الأخبار المحضة، فلا تصح على الرأي الراجح وهو رأي الجمهور.

- أنواع النسخ بالقرآن الكريم: يتنوع النسخ بالقرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام هي:

أ - نسخ الحكم والتلاوة معاً.

ب - نسخ الحكم دون التلاوة.

ج - نسخ التلاوة دون الحكم.

أولاً - ما نسخ حكمه ورسمه معاً:

روي عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من، ثم نسخن بخمس معلومات وتوفي رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ من القرآن» والحديث صحيح وله حكم المرفوع لأن مثله لا يقال عن رأي، وكما هو واضح حكم العشر رضعات منسوخ حكماً ورسماً.

نسخ الحكم دون التلاوة

ثانياً - قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَكَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوٰكُمُ صَدَقَةٌ﴾^(١).

(١) سورة المجادلة، الآية: [١٢].

منسوخة بقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَأِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ثالثاً: نسخ الرسم وبقاء الحكم:

ومثاله ما روي عن عمر وأبي بن كعب رضي الله عنهما أنهما قالوا: «كان فيما أنزل من القرآن الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة». مع أن حكمهما باقٍ على إحكامه لم ينسخ.



(١) سورة المجادلة، الآية: [١٣].

النسخ ببدل ولا بدل

أ - الحكم المنسوخ: إما أن يحل الله سبحانه محله حكماً آخر فيكون النسخ ببدل ومثاله:

أن الله نهى المسلمين أول الأمر عن قتال الكفار فقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا بُتِنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

ثم سمح لهم بالقتال فقال:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٢).

ب - النسخ بلا بدل كمثال الصدقة الذي مر قبل قليل ونسخها بترك تقديم الصدقة بين يدي الرسول ﷺ عند مناجاته، فعند ذلك يصير عدم الحكم خيراً من الحكم أو مثله مصداقاً لقوله تعالى:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية: [١٠٩].

(٢) سورة الحج، الآية: [٣٩].

(٣) سورة البقرة، الآية: [١٠٦].

نسخ الحكم ببدل

- له ثلاث حالات :

أ - بديل أخف

ب - بديل يساويه .

ج - بديل أثقل .

أ - النسخ ببدل أخف: كنسخ تحريم الأكل والشرب والجماع بعد النوم في ليالي رمضان بإباحة ذلك .

قال تعالى: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِرُوهُنَّ وَأَتَّبِعُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَىٰ الْبَيْتِ وَلَا تَبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(١) .

ب - نسخ الحكم إلى بدل مساوٍ له: كنسخ القبلة إلى بيت المقدس بالقبلة إلى البيت الحرام بمكة المكرمة في قوله تعالى:

﴿قَدْ رَأَىٰ نَفْلًا وَجْهَكَ فِي السَّمَاوَاتِ فَلَوْلَيْسَتَ كَقِبْلَةٍ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٤٤].

(١) سورة البقرة، الآية: [١٨٧].

والنوعان السابقان لا خلاف في جوازهما:

ج - نسخ الحكم إلى حكم أثقل منه: كتحريم الخمر بعد أن كانت مباحة في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾^(١).

فالجمهور على جوازه، ونسخ فرض صيام عاشوراء بصوم رمضان.

دوران النسخ بين القرآن والسنة

النسخ قد يرد في القرآن الكريم وقد يرد في السنة المطهرة والمنسوخ كذلك.

ولذا فأمامنا أربع حالات هي:

أ - نسخ القرآن بالقرآن.

ب - نسخ القرآن بالسنة.

ج - نسخ السنة بالقرآن.

د - نسخ السنة بالسنة.

أولاً: نسخ القرآن بالقرآن وقد تقدم الكلام عليه في حالاته الثلاث.

ثانياً: نسخ القرآن بالسنة.

١ - جواز نسخ القرآن بالسنة وبه قال المالكية والحنفية والأشاعرة والمعتزلة ولم يجزه الشافعية والحنابلة في أحد القولين وأهل الظاهر ولكل أدلته.

٢ - وهل وقع نسخ القرآن بالسنة؟

يقول بعض العلماء: نعم؛ وهذه أمثلة على ذلك.

(١) سورة المائدة، الآية: [٩١].

- رجم الزاني المحصن جاء بالسنة ناسخاً حكم جلده الوارد بالآية الكريمة.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

ورُدَّ عليهم أن هذا تخصيص لا نسخ.

- ومنه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ﴾^(٢).

منسوخ بقوله ﷺ: «لا وصية لوارث»^(٣).

ورُدَّ على ذلك بأن الناسخ آيات الموارث وليس الحديث فإذا قرآناه كاملاً تبين ذلك، والحديث بتمامه: «إن الله أعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»^(٣).

- ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾^(٤).

منسوخ بقوله الرسول ﷺ: «خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب، جلد مائة والرجم»^(٥).

(٤) سورة النساء، الآية: [١٥].

(١) سورة النور، الآية: [٢].

(٥) رواه ابن ماجه، وقال حديث حسن.

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٨٠].

(٣) رواه النسائي.

ورُدَّ عليهم بأن هذا تخصيص لا نسخ لأن حكم الآية إلى أمد وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾^(١).

- وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا آجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، منسوخة بقوله ﷺ: «يحرم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير».

والرد: أن الآية الكريمة لم تتعرض لإباحة ما عدا المذكور بها.



(١) سورة النساء، الآية: [١٥]

(٢) سورة الأنعام، الآية: [١٤٥].

نسخ السنة بالقرآن الكريم

- الجمهور على جوازه ووقوعه وقد خالف الشافعي وبعض أصحابه فمنعوا ذلك، ومن أدلة الجواز عند القائلين:

أن السنة وحي ولا مانع من نسخ الوحي بالوحي، ومن أدلة وقوعه:

أ - استقبال بيت المقدس عرف بالسنة وقد نسخه القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١).

ب - تحريم الأكل والشرب والجماع في رمضان بعد النوم: ورد في السنة،

وُنُسِخَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَشِرُوهِنَّ وَأَبْتغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطَ الْأَبْيَضَ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٢).

ج - من شروط صلح الحديبية: أن الرسول ﷺ يرد من جاء مسلماً من

قريش وقد ردَّ أبا جندل فنزل القرآن الكريم بنسخ هذا الحكم في حق النساء لما

جاءت الرسول ﷺ امرأة أسلمت من قريش فهم ﷺ بردها فأنزل الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ وَاسْتَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكَمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

(٣) سورة الممتحنة، الآية: [١٠].

(١) سورة البقرة، الآية: [١٤٤].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٨٧].

نسخ السنة بالسنة

وله أربع صور هي:

- أ - نسخ سنة متواترة بسنة متواترة.
- ب - نسخ سنة أحادية بسنة متواترة.
- ج - نسخ سنة أحادية بسنة أحادية.
- د - نسخ سنة متواترة بسنة أحادية.

والأنواع الثلاثة الأولى جائزة عقلاً وشرعاً والخلاف في النوع الرابع ففيه قولان: نفاه الجمهور وأثبتته أهل الظاهر.

هذا ملخص موجز بسيط عن النسخ، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب علوم القرآن الكريم.



التأكيد

تمهيد

القصد منه الحمل على ما لم يقع ليصير واقعاً، ولذا لا يؤكد الماضي ولا الحاضر لأنه تحصيل حاصل، ويؤكد المستقبل ويقسم التأكيد إلى صناعي ومعنوي^(١).

أدوات التأكيد

١ - مؤكدات الجمل الإسمية:

- أ - (إِنَّ): كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٢). أمر الله الناس بالتقوى ثم علل ذلك مجيباً لسؤال مقدر يذكر الساعة واصفاً لها بأهول وصف ليقرر عليه الجواب فهي تأتي في جواب سؤال في معظم الأحيان، كقوله تعالى أيضاً: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَفُونَ﴾^(٣)، وتأتي بعد النهي والدعاء كقوله تعالى: ﴿يَا بَرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ عَذَابٍ غَيْرِ مَرْدُودٍ﴾^(٤).
- وكقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٥).
- ب - (كَأَنَّ): في قصة بلقيس عن عرشها، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾^(٦).

(١) انظر مختار القاموس على طريقة مختار الصحاح والمصباح المنير، المرجع السابق لطاهر الزاوي، طبعة رقم ٢٥.

(٢) سورة الحج، الآية: [١].

(٣) سورة المؤمنون، الآية: [٢٧].

(٤) سورة هود، الآية: [٧٦].

(٥) سورة التوبة، الآية: [١٠٣].

(٦) سورة النمل، الآية: [٤٢].

ج - لام الابتداء: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(١)، وهي لتأكيد مضمون الجملة ولهذا زحلقتها فسميت مزحلقة بعد «إِنَّ». لكرهية ابتداء الجملة بمؤكدين.

د - ضمير الفصل كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾^(٢)، فضمير «أنا» للتأكيد.

وكقوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾^(٣).

٢ - مؤكدات الجملة الفعلية

أ - «قد» كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٤)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾^(٥)، وتدخل (قد) على الماضي كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٦)، وعلى المضارع كما في سورة الأنعام: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْرُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾^(٧).

ب - السين وتسمى سين التنفيس: كقوله تعالى: ﴿نَسِيكَهُمْ اللَّهُ﴾^(٨).
وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٩).

ففي هذه الآية حرفا تأكيد هما اللام والسين جمع بين حرفي التأكيد والتأخير والسر... في الجمع بينهما أَنَّ العطاء كائن لا محالة.

(١) سورة إبراهيم، الآية: [٣٩].

(٢) سورة الكهف، الآية: [٣٩].

(٣) سورة آل عمران، الآية: [١٨٠].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [١٠١].

(٥) سورة الإسراء، الآية: [٨٩].

(٦) سورة الشمس، الآية: [٩].

(٧) سورة الأنعام، الآية: [٣٣].

(٨) سورة البقرة، الآية: [١٣٧].

(٩) سورة الضحى، الآية: [٥].

ج - نون التوكيد؛ وهي نوعان:

١ - نون التوكيد المشددة (الثقيلة): وهي تفيد توكيد الفعل مرتين

بمنزلة ذكره ثلاث مراتٍ بمقابل «إن» و«اللام» في الاسم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ مِيرِثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢).

٢- نون التوكيد الخفيفة:

وهي بمنزلة ذكر الفعل مرتين ولم ترد إلا في موضعين:

الأول: في سورة العلق في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾^(٣).

والثاني: في سورة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾^(٤)، وهي مكتوبة بتنوين.

د - «لن» وهي: في تأكيد النفي مقابل «إن» في تأكيد الإثبات فإذا

قلت: ﴿لَا أَبْرَحُ﴾^(٥) وأردت تأكيدها قلت «لن أبرح» قال تعالى عن اليهود: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾^(٦).

«ولن» وهي: تفيد الاستغراق في الدنيا بدليل قوله تعالى في كلام الله

على لسان الكفار في سورة الحاقة: ﴿يَلْتَمِتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾^(٧)، فهم يتمنون الموت بالآخرة.

(٥) سورة الكهف، الآية: [٦٠].

(٦) سورة البقرة، الآيتان: [٩٤-٩٥].

(٧) سورة الحاقة، الآية: [٢٧].

(١) سورة آل عمران، الآية: [١٦٩].

(٢) سورة آل عمران، الآية: [١٨٠].

(٣) سورة العلق، الآية: [١٥].

(٤) سورة يوسف، الآية: [٣٢].

وقال بعضهم: «لا» تنفي ما بُعد، و«لن» تنفي ما قُرب، ولذلك قيل في قول موسى لربه: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

- فإن عدم رؤيته لربه مقصورة على الحياة الدنيا لقربها.

ملاحظة:

قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَمْتَنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾^(٢).

فقد جاء (ولا يتمنونه) بعد الشرط وحرف الشرط يعم كل الأزمنة فقبول في (ولا يتمنونه) ليعلم ما هو جواب له، وأما (ولن يتمنوه) فجاء قبله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

ملاحظة:

لا يتجاوز التأكيد ثلاثة مؤكدات في الأسماء ولا في الأفعال: كقوله تعالى: ﴿فَمَهَلٌ الْكٰفِرِينَ أَمَهُمْ رُوِيًا﴾^(٤)، فالمؤكدات في الآية ثلاثة: «مهل» و«أمهل» و«رويدا» وكلها بمعنى واحد.

(١) سورة الأعراف، الآية: [١٤٣].

(٢) سورة الجمعة، الآيتان: [٦-٧].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٩٤].

(٤) سورة الطارق، الآية: [١٧].

التوكيد اللفظي والمعنوي

أولاً: التوكيد اللفظي:

- ويكون بتكرار اللفظ أو مرادفه فالمرادف:

كقوله تعالى: ﴿وَعَرَابِيْبُ سُودٌ﴾^(١)، وقوله: ﴿فَجَاجًا سُبُلًا﴾^(٢).

- وتكرار اللفظ يكون:

أ - بالنكرة: ﴿قَوَارِيْرًا * قَوَارِيْرًا﴾^(٣).

ب - وباسم الفعل: ﴿هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾^(٤).

ج - وفي الجملة: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٥)،

والأكثر الفصل بين الجملتين بتم كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾^(٦).

ثانياً: التوكيد المعنوي:

- ويكون بألفاظ مخصوصة مثل: «كل» «جميع»، «أجمع»، «ونفس»،

«وعين» وغيرها كقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾^(٧).

(١) سورة فاطر، الآية: [٢٧].

(٢) سورة الأنبياء، الآية: [٣١].

(٣) سورة الإنسان، الآيتان: [١٥-١٦].

(٤) سورة المؤمنون، الآية: [٣٦].

(٥) سورة الشرح، الآيتان: [٥-٦].

(٦) سورة الإنفطار، الآيتان: [١٧-١٨].

(٧) سورة الحجر، الآية: [٣٠].

وكقوله تعالى: ﴿إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنجُوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

ملاحظة ١:

والتأكيد بالمصدر كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾^(٣) ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾^(٤).

وهو عوض عن تكرار الفعل مرتين: ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾^(٤)، معناه

﴿تَمُورُ مَوْرًا﴾ لذلك يلحقه البعض بالنوع الأول وهو التوكيد اللفظي.

ملاحظة ٢:

فائدة هذا النوع من التوكيد:

- أنه يرفع المجاز عن الفاعل فإذا قلت: «كَرَّمَ الأمير العامل» لا يكون قد باشر التكريم بنفسه أما إذا قلت: «كَرَّمَ الأمير العامل تكريماً» فقد باشر ذلك بنفسه. وقال بعضهم يرفع الوهم عن الحديث لا عن المحدث عنه ففي المثال السابق كرم الأمير العامل تكريماً فمعناه قد حصل التكريم لا أن الأمير باشره بنفسه فإذا قلت كَرَّمَ الأمير نفسه العامل تكريماً فإنه قد باشر ذلك بنفسه دون نيابة عنه.

ملاحظة ٣:

أيهما أولى التأكيد بالمصدر أم بالفعل.

أ - التأكيد بالمصدر أولى لأنه اسم وهو أخف من الفعل ولأن الفعل يتحمل الضمير فيصير جملة فيزداد ثقلاً.

ب - وقال بعضهم التأكيد بالفعل أولى لأن الفعل يفيد الاستمرار.

(١) سورة الحجر، الآية: [٥٩].

(٢) سورة النساء، الآية: [١٦٤].

(٣) سورة الطور، الآيتان: [٩-١٠].

(٤) سورة الطور، الآية: [٩].

التأكيد بالصفة

تمهيد

تفيد التخصيص إذا كان الموصوف نكرة وتفيد التوضيح إذا كان الموصوف معرفة .

والمقصود بالصفة هنا: ما يوصف به وإن لم يعرب صفة بل ما يفيد الكلام كقوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قُرُونٍ مِّن قَبْلِكَ رَسُولًا وَكَانُوا لَهَا كَاذِبِينَ﴾^(١) وصف موسى عليه السلام بأنه رسول .

أولاً: أسباب مجيء الصفة:

أ - المدح والثناء مثل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢)، وقوله: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾^(٣)، فمدحهم بالإسلام تعريضاً باليهود لأن الدين عند الله الإسلام، واليهود حرفوا وبدلوا التوراة .

ب - زيادة البيان كقوله تعالى: ﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾^(٤) .

ج - لتعيين جنس الموصوف كقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ نُّعِّرُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(٥)، فالدابة للجنسية لا للأفراد فقد وردت (دابة) مفردة وكذلك

(١) سورة المزمل، الآية: [١٥].

(٢) سورة الفاتحة، الآية: [١].

(٣) سورة المائدة، الآية: [٤٤].

(٤) سورة الأعراف، الآية: [١٥٨].

(٥) سورة الأنعام، الآية: [٣٨].

قال (يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) من جميع ما يطير لذا قال بجناحيه كي لا يحصرها البعض في الجن والملائكة فإنهم يطرون، ولذا جمع كلمة أُمَّم لتشمل كل ما يدب على الأرض وكل ما يطير في السماء.

ثانياً - تكرار الصفات والمنعوت واحد.

- إذا تكررت النعوت والمنعوت واحد فتارة تكون بالعاطف، وتارة تكون بلا عاطف، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطْعَ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ (١٠) هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَيْمٍ (١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (١٣) ﴿(١)﴾.

- وتارة تكون بالعاطف كقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) ﴿(٢)﴾.

ويشترط في ذلك اختلاف معانيها فكل صفة مستقلة عن الأخرى.

- وإذا تباعد معنى الصفات فالعطف أحسن كقوله تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ (٣).

ثالثاً: فصل الجمل في مقام المدح والذم:

إذا ذكرت صفات متعددة في مقام المدح أو الذم فالأحسن أن يخالف في إعرابها رفعا أو نصبا أو جرا لأن المقام يقتضي الإطناب كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَكَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) سورة القلم، الآيات: [١٠-١٣].

(٢) سورة الأعلى، الآيات: [١-٤].

(٣) سورة الحديد، الآية: [٣].

صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ^(١)، ومثله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(٢).

المقيمين: منصوب، والمؤتون: مرفوع.

رابعاً: وصف الجمع بالمفرد:

كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٣).

وكقوله تعالى: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾^(٤).

فالأسماء والقرون جمع، وصفاتها مفردة: الحسنى: والأولى.

وذلك لأن اللفظ المؤنث «الحسنى والأولى وما شابهها» يجوز إطلاقه

على جماعة المؤنث «كالأسماء والقرون». كما في الآيتين

ملاحظة:

توجد مؤكدات أخرى، وإنما ذكرت بعضها لتكون نموذجاً للتأكيد في

القرآن الكريم الذي هو فرع من فروع أساليب القرآن الكريم.



(١) سورة البقرة، الآية: [١٧٧]

(٢) سورة النساء، الآية: [١٦٢].

(٣) سورة الأعراف، الآية: [١٨٠].

(٤) سورة طه، الآية: [٥١].

دور علم النحو في فهم معاني القرآن الكريم

تمهيد

١ - القرآن الكريم هو كتاب اللغة العربية الخالد فقد حفظ هذه اللغة من الاندثار والانقراض ووصل ماضي هذه الأمة بحاضرها ومن خلاله يستطيع العربي أن يفهم ما كتبه أجداده قبل آلاف السنين وهذه ميزة لهذه الأمة بفضل هذا الكتاب الكريم على غيرها من الأمم كما عمل على نشرها في مناطق واسعة من العالم فلا يوجد قطر في كافة أرجاء المعمورة إلا وفيه من يتكلم العربية لغة الدين والحضارة الإسلامية، كما أغناها بالكثير من العبارات والمصطلحات الجديدة كالصوم والصلاة وغيرها، والأهم من كل ذلك أنه وحد لهجاتها في لهجة واحدة فأصبحت لغة العلم والدين والتفاهم بين الناس.

وهذه المزايا التي أعطاها القرآن لهذه اللغة جعلتها تسهم في فهم هذا الكتاب الكريم، وفي هذا المقام سأتطرق إلى موضوع «النحو في كتاب الله تعالى» وبإيجاز شديد موضحاً ذلك بالأمثلة المبسطة.

٢ - أسباب وضع علم النحو:

سمع أعرابي قارئاً يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(١) بكسر اللام بكلمة (رسوله) فقال: كيف يبرأ الله من رسوله؟ فرفع الأمر إلى ولي الأمر، فأمر بوضع قواعد اللغة العربية فكلمة (ورَسُولُهُ) مرفوعة أي: ورسوله برىء من المشركين كذلك.

(١) سورة التوبة، الآية: [٣].

٣ - وهذه بعض المباحث النحوية التي تبين أثر النحو في فهم كتاب الله تعالى:

- المثال الأول:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(١) فماذا تفيد الباء بكلمة (بِرُءُوسِكُمْ)؟ لفهم ذلك هذه معاني الباء باللغة العربية عند علماء النحو: وهي حرف جر لأربعة عشر معنى:

١ - الإلصاق: وهو معنى لا يفارقها وهو حقيقي ومجازي. كقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾^(٢).

٢ - التعدية: كقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾^(٣)، أي: أذهب الله نورهم.

٣ - الاستعانة: مثل: «بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ».

٤ - السببية: كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾^(٤).

٥ - المصاحبة، كقوله تعالى: ﴿أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥)

٦ - الظرفية: كقوله تعالى: ﴿بَجَيْنِهِمْ بِسِحْرِ﴾^(٦).

٧ - المقابلة: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٧).

٨ - الجارة أو المجاوزة: بمعنى عن: ﴿فَسئَلْ بِهِ خَيْرًا﴾^(٨)، أي: عنه.

(١) سورة المائدة، الآية: [٦].
 (٢) سورة المائدة، الآية: [٦].
 (٣) سورة البقرة، الآية: [١٧].
 (٤) سورة البقرة، الآية: [٥٤].
 (٥) سورة هود، الآية: [٤٨].
 (٦) سورة القمر، الآية: [٣٤].
 (٧) سورة النحل، الآية: [٣٢].
 (٨) سورة الفرقان، الآية: [٥٩].

٩ - الاستعلاء كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(١)، أي: على اللغو.

١٠ - التبعض كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾^(٢)، أي يشرب بعضها.

١١ - الغاية، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾^(٣).

١٢ - التوكيد وهي الباء الزائدة: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٤)، وكقوله: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ﴾^(٥). وتأديباً مع القرآن تسمى... (صلة).

١٣ - القسم والحلف وهو معروف ومشهور.

١٤ - البدل: ومثاله قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٦).

وبعد هذا أعود لمعنى الباء في الآية الكريمة آية الوضوء.

قال بعضهم: هي للتبعض أي: «فامسحوا بعض رؤوسكم» وقال آخرون: هي للإلصاق أي امسحوا رؤوسكم ملصقين بأيديكم بمقدار أصابع اليد وهو ربع الرأس وقال بعضهم: الباء للإستعانة وفي الكلام قلب فمسح يتعدى إلى المزال عنه نفسه وإلى المزيل بالماء فالأصل امسحوا رؤوسكم بالماء.

(١) سورة الفرقان، الآية: [٧٢].

(٢) سورة الإنسان، الآية: [٦].

(٣) سورة يوسف، الآية: [١٠٠].

(٤) سورة النساء، الآية: [٧٩].

(٥) سورة مريم، الآية: [٢٥].

(٦) سورة البقرة، الآية: [١٧٥].

وقيل: الباء زائدة بالمعنى امسحوا رؤوسكم، أي: مسح جميع الرأس.

٤ - المثال الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾^(١).

فما حكم أكل متروك التسمية؟

وللإجابة على ذلك نقول:

أ - إنه إذا تركت التسمية نسياناً فالذبيحة تُؤْكَلُ لأنه: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»^(٢).

ب - أما متروك التسمية عمداً ففي أكله أقوال:

- فمن قال أن الواو بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾^(٣) هي واو الحال فقال تؤكل الذبيحة والمعنى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٤) في حالة كونه فسقاً، أي: ذبح لغير الله، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾^(٥).

- ومن قال الواو استئنافية فقد وقف على كلمة «عليه» فلا يؤكل متروك التسمية عمداً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٦).

وهذا عموم بالنسبة لمتروك التسمية عمداً ونسياناً وقد استثني النسيان بنص الحديث الشريف فبقي العمد على الأصل.

(١) سورة الأنعام، الآية: [١٢١].

(٢) قال: النووي في الأربعين. إنه حديث حسن انظر. كشف الخفاء ج ١ ص ٤٣٤.

(٣) سورة الأنعام، الآية: [١٢١].

(٤) سورة الأنعام، الآية: [١٢١].

(٥) سورة البقرة، الآية: [١٧٣].

(٦) سورة الأنعام، الآية: [١٢١].

٥ - المثال الثالث :

- من معاني «كان» .

أ - إذا وقعت في صفات الله تعالى فهي مسلوبة الدلالة عن الزمان .

كقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾^(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَكَانَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٤) .

أي : كان ولم يزل من الأزل إلى الأبد .

ب - تقتضي الدوام والاستمرار كقوله تعالى : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ

كُفُورًا﴾^(٥) ، أي : لم يزل منذ أن وجد منطويًا على الكفر .

ج - إذا أخبر بكان عن صفات الأدميين فالمراد أنها غريزة فطرية

طبيعية مركوزة في النفس كقوله تعالى : ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٦) وكقوله

تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا ظُلُمًا جَهُولًا﴾^(٧) .

د - وإذا أخبر بها عن أفعال الأدميين دلت على اقتران مضمون الجملة

بالزمان كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا

وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾^(٨) .

(١) سورة النساء، الآية : [١٤٨] .

(٢) سورة النساء، الآية : [١٣٠] .

(٣) سورة النساء، الآية : [١٠٠] .

(٤) سورة الأنبياء، الآية : [٨١] .

(٥) سورة الإسراء، الآية : [٢٧] .

(٦) سورة الإسراء، الآية : [١١] .

(٧) سورة الأحزاب، الآية : [٧٢] .

(٨) سورة الأنبياء، الآية : [٩٠] .

وقال أبو بكر الرازي و(كان) في القرآن على خمسة أوجه^(١):

١ - بمعنى الأزل والأبد كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢).

٢ - وبمعنى الماضي المنقطع كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةً رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾^(٣).

وهو الأصل في معاني (كان) كما تقول كان زيد صالحاً أو مريضاً أو وفيماً أو نحوه.

٣ - وبمعنى الحال كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٤) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٥).

٤ - وبمعنى الاستقبال كقوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٧).

٥ - وبمعنى (صار) كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٨).

فهذه أمثلة بسيطة تبين أهمية النحو في فهم كتاب الله تعالى وبيان معانيه.

(١) أبو بكر الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري. الطبرستاني الرازي والشافعي. المعروف بالفخر الرازي وبابن الخطيب الري، أبو عبد الله. مفسر وفقه من مؤلفاته (مفاتيح الغيب) و(المحصول) و(شرح الوجيز) ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة هـ، وتوفي «بهره» سنة ست وستمائة هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: [١٧].

(٣) سورة النمل، الآية: [٤٨].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [١١٠].

(٥) سورة النساء، الآية: [١٠٣].

(٦) سورة الإنسان، الآية: [٧].

(٧) سورة البقرة، الآية: [٣٤].

(٨) سورة البقرة، الآية: [٣٤].

أسباب النزول

أولاً: نزول القرآن الكريم:

نزل القرآن الكريم بدون مناسبة أو بمناسبة أو بعد حادثة أو سؤال .

أ - وأكثر القرآن الكريم نزل بدون مناسبة كقوله تعالى في سورة العاديات: ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِبَتِ قَدَحًا ﴿٢﴾ فَالْمُعِيرَتِ صَبَحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرَنَ بِهِ نَقَعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ .

وكقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتِّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿٢﴾ .

ب - وهنالك آيات نزلت بعد حادثة استدعت ذلك: ومثاله أن لما قال المشركون: إن محمداً أتر ليس له أولاد ذكور نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْرَسْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾ .

ج - وبعض الآيات نزلت بعد سؤال وجه للرسول ﷺ فلما اختلف المسلمون بعد غزوة بدر في قسمة الأنفال وسألوا الرسول ﷺ نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ

(١) سورة العاديات، الآيات: [١-٦].

(٢) سورة الحج، الآية: [١].

(٣) سورة الكوثر، الآيات: [١-٣].

بَيْنَكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ^(١)، فقسّمها الرسول ﷺ للرجال سهم وللنساء سهمان فرضوا بذلك منقادين لحكم الله ورسوله.

ثانياً: فوائد أسباب النزول:

أ - فهم الآية القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجَّهُ اللَّهُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، فقد يفهم منها أنه حيثما توجه المصلي شرقاً أم غرباً فصلاته جائزة ولكن الحكم ليس كذلك فالتوجه للقبلة شرط من شروط الصلاة، ويستثنى من ذلك أن الإنسان إذا كان في سفر بعيداً عن الناس وتحريّ القبلة فلم يعرفها فيجوز له أن يصلي إلى الجهة التي يغلب على ظنه أنها القبلة ولو أخطأ بذلك.

أما قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي بَيَّسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾^(٣)، فقد فهم الظاهرية من ذلك أن الكبيرة التي انقطع دم الحيض عنها لا عدة عليها إذا لم يترتب في ذلك أي انقطاع في الحيض عنها. ولكن الأمر ليس كذلك كما يوضح لنا أسباب النزول فقد قال الصحابة قد علمنا عدة النساء جميعاً فما عدة الكبيرة التي يئست من المحيض؟ وما عدة الصغيرة التي لا تحيض؟ فنزلت الآية لبيان عدتهن ويصبح معنى إن ارتبتم إن أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدّن فهذا هو حكمهن.

(١) سورة الأنفال، الآية: [١].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١١٥].

(٣) سورة الطلاق، الآية: [٤].

ب - معرفة من نزلت فيه الآية: كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

فلما تكلم مُسطح بن أثانة قريب أبي بكر رضي الله عنه وخاض في حديث الإفك بشأن عائشة رضي الله عنها، حلف أبو بكر أن لا يعطيه شيئاً فنزلت الآية السابقة تشير إلى أبي بكر وتطلب منه أن لا يقطع صدقاته عن مسطح قريبه وأن يعفو عنه ويصفح.

ج - دفع توهم الحصر كقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا آحِدٌ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

فليس معنى الآية حصر المحرمات ولكن المعنى كما قال الشافعي رضي الله عنه «إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله وكانوا على المضادة والمحاداة»، فجاءت هذه الآية منافية لغرضهم فكأنه قال: «لا حلال إلا ما حرمتموه ولا حرام إلا ما أحللتموه فلم يقصد حل ما وراءه وإنما قصد إثبات التحريم لا إثبات الحل».

ثالثاً: أمثلة عن أسباب النزول:

أ - ورد في الصحيحين «لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده أبو جهل وعبيد الله بن أبي أمية فقال: «أي عم، قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبيد الله: أترغب عن

(١) سورة النور، الآية: [٢٢].

(٢) سورة الأنعام، الآية: [١٤٥].

ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال هو: على ملة عبد المطلب.

فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك»، فنزلت:

﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ (٢).

ب - قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٣).

وسبب النزول «جاءت خولة بنت ثعلبة زوج أوس بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وقد قال لها زوجها (أنت علي كظهر أمي) فقالت: إن أوساً تزوجني وأنا شابة مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني (أي كثر ولدي) جعلني عليه كأمه وروي أنها قالت: إن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليّ جاعوا فقال ﷺ: «ما عندي من أمرك شيء» وروي أنه قال لها: «حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله ما ذكر طلاقاً، وإنما هو أبو ولدي وأحب الناس إلي، فقال: «حرمت عليه»، فقالت: أشكو إلى الله فاقتني ووحدتي كلما قال رسول الله ﷺ: «حرمت عليه»، هتفت وشكت، فنزلت الآية السابقة.

ج - قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتُونَ

(١) سورة التوبة، الآيتان: [١١٣-١١٤].

(٢) انظر أسباب النزول أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، طبعة دار الفجر الإسلامي. دمشق الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.

(٣) سورة المجادلة، الآية: [١].

إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾.

أسباب النزول:

روي أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز لفتح مكة فقال لها: «أمسلمة جئت؟» قالت: لا، قال: «أفمهاجرة جئت؟» قالت: لا، قال: «فما جاء بك؟» قالت: احتجت حاجة شديدة فحث عليها بني المطلب فكسوها وحملوها وزودوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطها عشرة دنانير وكساها برداً واستحملها كتاباً إلى أهل مكة، ونسخته (من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، اعلموا أن رسول الله يريدكم فخذوا حذرکم)، خرجت سارة ونزل جبريل بالخبر، فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً وعمر وطلحة، والزبير، والمقداد، وأبا مرثد وكانوا فرساناً وقال: «انطلقوا حتى تأتوا (روضة خاخ)، فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها، وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها»، فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع، فقال علي: والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه وقال: أخرجي الكتاب، أو رأسك، فأخرجته من عقاص شعرها.

وروي أن رسول الله ﷺ آمن جميع الناس يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم، فاستحضر رسول الله ﷺ حاطباً وقال: «ما حملك عليه؟» فقال يا رسول الله: ما كفرت منذ أن أسلمت، ولا غششت منذ نصحت،

(١) سورة الممتحنة، الآية: [١].

ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكنني كنت امرأً ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهليهم وأموالهم غيري، فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله ينزل عليهم بأسه، وإن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدقه وقبل عذره، فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: «وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر».

فنزلت الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَدًا فِي سَبِيلِي وَابْنِعَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١)(٢).



(١) سورة الممتحنة، الآية: [١].

(٢) انظر أسباب النزول، المرجع السابق.

حِكْمُ نَزُولِ الْقُرْآنِ مَفْرَقًا

تمهيد

المعلوم أن القرآن الكريم نزل على رسول الله ﷺ في مدة اثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر واثنين وعشرين يوماً على أرجح الأقوال .
يقول تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾^(١) ،
وقد احتج المشركون على ذلك فقالوا كما ورد في القرآن كما في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾^(٢) .

فما حِكْمُ نَزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَفْرَقًا؟

أولاً: تثبيت فؤاد النبي ﷺ:

لم يترك المشركون وسيلة من الوسائل إلا استعملوها للوقوف في وجه الدعوة الإسلامية من سخرية وتهكم وإيذاء الرسول ﷺ وتعذيب أصحابه ومقاطعة المسلمين وكتبوا بذلك صحيفة علقوها في الكعبة، فأكل المسلمون ورق الشجر وجلود الحيوانات، فكان القرآن الكريم ينزل على رسول الله ﷺ يبين له ما لاقاه الأنبياء قبله فصبروا وكان لهم النصر، قال تعالى:

أ - ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

(١) سورة الإسراء، الآية: [١٠٦].

(٢) سورة الفرقان، الآية: [٣٢].

(٣) سورة هود، الآية: [١٢٠].

ب - وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١).

ج - وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَن خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾^(٢).

د - وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(٣).

هـ - وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾^(٤).

و - وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٥).

ز - وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَاتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٦).

ح - وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلذَّيْنِ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَيَسَّسَ الْيَهُودُ﴾^(٧)، فتجدد الوحي وتكرار نزول جبريل فيه تسليية للرسول ﷺ وتثبيت له على طريق الدعوة إلى الله وتقوية عزمته وثقته بنصر الله.

ثانياً: التلطف بالنبى ﷺ:

فالوحي قول ثقيل قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٨).

(١) سورة غافر، الآية: [٥١].

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: [١٣-١٤].

(٣) سورة الأحقاف، الآية: [٣٥].

(٤) سورة الإنسان، الآية: [٢٤].

(٥) سورة الطور، الآية: [٤٨].

(٦) سورة الصافات، الآيات: [١٧١-١٧٣].

(٧) سورة آل عمران، الآية: [١٢].

(٨) سورة المزمل، الآية: [٥].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١).

ومن مظاهر هذا الوحي على رسول الله ﷺ

أ - كان يتصبب جبينه عرقاً في الليلة الشديدة البرد.

ب - كانت تبرك به راحلته عندما يتنزل عليه الوحي لثقل ذلك عليه.

ج - كان إذا وضع رجله على رجل أحد لا يستطيع ذلك الشخص أن يحركها أو يرفعها.

د - كان عندما ينزل عليه الوحي كأنه يغشى عليه.

ثالثاً: تقديم الحلول للمشاكل الطارئة أو مساندة الحوادث والوقائع في حينها فإذا حدثت حادثة أو حصل خطأ نزل القرآن الكريم ليبين الحكم الشرعي الصحيح بشكل عملي ليكون أوقع في النفوس، وهذه أمثلة على ذلك:

أ - في غزوة حنين اغتر المسلمون بكثرتهم وقال بعضهم: (لن نغلب اليوم من قلة)، فلما كانت المعركة انهزموا وثبت الرسول ﷺ فنزلت الآيات تبين لهم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا بتوفر العدد بل هو من عند الله قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^{(٢)(٣)}.

(١) سورة الحشر، الآية: [٢١].

(٢) سورة التوبة، الآيات: [٢٥-٢٧].

(٣) انظر حياة الصحابة للإمام الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي. دار الكتاب العربي. الطبعة الأولى

ب - وفي غزوة بدر أسر المسلمون عدداً من المشركين فشاور الرسول ﷺ أصحابه بهم، فأشار عمر بقتلهم، وأشار أبو بكر بأخذ الفداء منهم، وقال لرسول الله ﷺ هم أهلك وعشيرتك وعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فدعا ﷺ لأبي بكر وعمر بخير وأخذ برأي أبي بكر بأخذ الفداء من المشركين، فنزل القرآن الكريم يقول بقول عمر:

﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ (١)(٢).

فحكّم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية موافق لرأي عمر لأن الدولة الإسلامية ضعيفة آنذاك.

ج - كان اليهود والمشركون يسألون النبي ﷺ عن أشياء ولم يكن عنده جواب عليها فكان يتنزل القرآن الكريم للرد عليهم.

- فقد سألوا الرسول ﷺ عن الروح فنزل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣).

- وسألوه عن الساعة فنزل: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٤).

- وسألوه عن ذي القرنين فنزلت قصته:

(١) سورة الأنفال، الآيتان: [٦٧-٦٨].

(٢) انظر السيرة النبوية للإمام ابن كثير ص ٤٤٢ الجزء الأول دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ.

(٣) سورة الإسراء، الآية: [٨٥].

(٤) سورة الأحزاب، الآية: [٦٣].

﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الَّذِينَ أُفْرِكُوا قُلُوبَهُمْ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(١).

والآيات التي بعدها، إلى غير ذلك من أسئلة كثيرة نجدها في القرآن الكريم.

رابعاً: تسهيل حفظ القرآن الكريم:

فقد نزل القرآن الكريم على جماعة أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، والذين يعرفون القراءة والكتابة يعدون على الأصابع، وقد كان الرسول ﷺ مثلهم أمياً قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢) ولقد ساعدهم نزول القرآن منجماً على حفظه وعلى فهمه ومعرفة أحكامه فكان كثير منهم يعلمون متى نزلت كل آية وأين نزلت وفيما أنزلت، وبهذه الطريقة تعلموا العلم والعمل معاً وحفظوا كتاب الله تعالى ونقلوه إلى الأجيال الآتية.

خامساً: التدرج في تشريع الأحكام:

من المعلوم أن أحكام الإسلام لم تنزل دفعة واحدة فقد كان الرسول ﷺ بمكة يقول للناس: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فكانت دعوته تتركز على توحيد الله ونفي الشرك والإيمان بالجنة والنار والحساب والبعث والنشور، أما الصلاة فقد فرضت في حادثة الإسراء والمعراج في السنة الثالثة عشرة من البعثة على أرجح الأقوال، وأما الصوم فقد فرض في السنة الثانية من الهجرة، وأما الزكاة ففي السنة السادسة من الهجرة، وأما الحج ففي السنة التاسعة من الهجرة وقل ذلك في غيرها من الأحكام كتحریم الخمر والإذن بالقتال والجهاد في سبيل الله، فقد كان من أول ما نزل آيات

(١) سورة الكهف، الآية: [٨٣]

(٢) سورة الجمعة، الآية: [٢].

فيها ذكر الجنة والنار ولو قال لهم من أول يوم لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً.

- وهذا مثال على التدرج في تحريم الخمر:

أ - أول آية نزلت في الخمر: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ (٦٧) الآية مكية من سورة النحل.

ومعنى ذلك أن الله أنعم عليكم بالأعناب والنخيل فاتخذتم من ثمراتها الخمر للسكر وذهاب العقل وكان الأولى بكم أن تستفيدوا منها رزقاً حسناً بالأكل منها وعدم اتخاذها خمراً، وفي هذا إشارة خفية للابتعاد عن الخمر والنفير منها. لأنه وصف الرزق بالحسن ولم يصف الخمر بشيء.

ب - ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾^(١) بينت هذه الآية أن إثم الخمر أكبر من نفعه وكذلك الميسر أو القمار، إشارة إلى تركهما لأن العاقل لا يؤثر الضرر على النفع، أما المنافع الموجودة بالخمر فهي مادية بحتة، يبيعونها ويربحون فيها ولذلك قرن بين الخمر والميسر، ومن المؤكد أن منافع الميسر مادية بحتة ولذلك جمع بينهما.

ج - المرحلة الثالثة:

سكر بعض المسلمين ثم قاموا إلى الصلاة فقرأ إمامهم «قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون».

فنزل قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، الآية: [٢١٩].

(٢) سورة النساء، الآية: [٤٣].

فامتنعوا عن شرب الخمر أكثر ساعات النهار وبعض ساعات الليل وهذا هو التحريم الجزئي .

د - ثم نزل التحريم الكلي بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾﴾ (١) .

وسبب نزول هذه الآية كما يذكره البعض:

أن عدداً من الصحابة شربوا الخمر بعد صلاة العشاء وثلثوا وبينهم حمزة عم رسول الله ﷺ وكانت تغنيهم جارية:

ألا يا حمز للشرف التواء وهن معقلات بالفناء
ضع السكين في اللبات منها وضرجهن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لأكل شهبي من طبيخ أو شواء
فقام حمزة إلى النوق وقطع أسنمتها وبقر خواصرها وأخرج أكبادها
وكانت لعلي بن أبي طالب، فلما رآها اشتكى إلى النبي ﷺ فجاء إلى حمزة
يعاتبه ويلومه على صنيعه فأخذ حمزة يصوب النظر بالرسول ﷺ ويصعده
ثم قال له: «وهل أنتم إلا عبيد أبي»، فعلم النبي ﷺ أنه سكر فتركه .

وهذا ما تفعله الخمر في العقول، وفي هذه الآية الكريمة تحريم الخمر من عدة وجوه هي أنه (٢):

١ - رجس ونجاسة .

٢ - من عمل الشيطان، وعمله كله شرور وآثام .

(١) سورة المائدة، الآيتان: [٩٠-٩١] .

(٢) انظر أسباب النزول، المرجع السابق في تفسير سورة المائدة .

- ٣ - فاجتنبوه، ابتعدوا عن الخمر وشروورها ولا تقربوها وهذا أبلغ من عبارة (حرمت عليكم).
- ٤ - قرننها مع القمار (الميسر) والشرك وما ذبح لغير الله .
- ٥ - ربط الفلاح بتركها واجتنابها، فالخاسر هو الذي يشربها.
- ٦ - تؤدي إلى العداوة والخصام.
- ٧ - تؤدي إلى البغضاء والأحقاد بين الناس .
- ٨ - تصد عن ذكر الله تعالى والله يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (١).
- ٩ - تصد عن الصلاة، «والصلاة عماد الدين».
- ١٠ - فهل أنتم منتهون؟ استفهام يفيد الأمر أي: فاتتهوا عنها.
- ١١ - ذكر تحريمها وتحريم الميسر والأنصاب والأزلام بصيغة الحصر والقصر باستعمال كلمة (إنما).

- مثال آخر عن التدرج في تحريم الربا:

- أ - قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِّن رَّبِّا لِّرَبُّوًا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوًا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِّن زَكَّوَةٍ تُرِيدُونَ وَجَهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٢).
- ب - قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَّوًا أَصْعَفًا مُضْعَفَةً وَآتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣) وَآتَقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٣﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣).

(١) سورة البقرة، الآية: [١٥٢].

(٢) سورة الروم، الآية: [٣٩].

(٣) سورة آل عمران، الآيات: [١٣٠-١٣٢].

ج - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢).

- ففي الآية الأولى في سورة الروم - (من ربا) - كتبت الألف لأن المقصود بكلمة الربا هنا ليست الربا المعروف. بل ما كان الرجل يقدمه من الهدية وهو يأمل أن يثاب عليها بأكثر منها، فسميت ربا من هذا الوجه، أي وما أعطيتكم من هدايا تأملون أن تثابوا عليها بأكثر منها من أموال الناس فلا تزيد عند الله تعالى لأن قصدكم ونيتكم المكافأة عليها بأكثر منها، فتأخذون ذلك ممن أهديتكم له وأعطيتموه، وهذه الهدية جائزة ومباحة.

- وفي النص الثاني من سورة آل عمران: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾^(٣) فكلمة الربا مرسومة بواو ومعها ألف زائدة والمقصود بها الربا المحرم وهو تحريم للربا السائد عندهم، فكان المرابي يقول للمدين إذا انتهى الأجل إما أن تقضي أو تربني فيضاعف المبلغ وهكذا كل عام فهو يأخذ القليل ويدفع الكثير.

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٧٥]

(٢) سورة البقرة، الآيتان: [٢٧٨-٢٧٩].

(٣) سورة آل عمران، الآية: [١٣٠].

- أما آية البقرة ففيها التحريم القاطع للربا وبيان أن من يأكله ويتعامل به ليس مؤمناً وهو محارب لله ورسوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿١﴾

وقد ورد تحريمه تحريماً جازماً ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ (٢)، وذلك لأن الربا ليس بيعاً فالبيع فيه ربح وخسارة بعكس الربا ولكنهم قلبوا الأمور فقالوا: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ (٣).

وهذا قلب للحقائق وتشويه للأمر، ومن تعامل بالربا بعد ورود هذا النص فهو من أصحاب النار الخالدين فيها.

﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤).

سادساً: الإرشاد إلى مصدر القرآن الكريم وأنه تنزيل من رب العالمين وليس من كلام محمد ﷺ، لأن البشر يمرون في حياتهم بحالات وانفعالات وتتطور أمورهم وتتبدل مواقفهم، فيظهر التعارض في أقوالهم وأعمالهم.

وهذا الكتاب الكريم نزل في ثلاث وعشرين سنة ولم نجد فيه شيئاً من التناقض ولا التعارض فهو من قول العزيز الحكيم رب العالمين.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٥).

(١) سورة البقرة، الآيتان: [٢٧٨-٢٧٩].

(٢) سورة البقرة، الآية: [٢٧٥].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٢٧٥].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٢٧٥].

(٥) سورة النساء، الآية: [٨٢].

وقد كان النبي ﷺ إذا أنزلت عليه آية أو آيات قال: «ضعوها في مكان كذا من سورة كذا»، وهو بشر لا يدري ما ستجيء به الأيام ولا يعلم ما سيكون في المستقبل فضلاً عن معرفة ما سينزل من عند الله.

ويمضي العمر الطويل والرسول ﷺ على هذا العهد يأتيه الوحي القرآني ويضع كل شيء محله وتكتمل السور القرآنية نجماً بعد نجم ويكتمل القرآن الكريم ويعجز الخلق جميعاً على أن يأتوا بمثله.

﴿الرَّ كِنْتُ أَحْكَمَتَّ أَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾^(١).

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢).

فهل بعد هذا الإعجاز من إعجاز؟ ولعل هذه أعظم حكمة من حكم نزول القرآن الكريم منجماً مفرقاً.



(١) سورة هود، الآية: [١].

(٢) سورة الفرقان، الآية: [٦].

كيف تلقى النبي ﷺ القرآن الكريم؟

سأترك الكلام في ذلك لصاحب التبيان في علوم القرآن الكريم حيث يقول «تلقى النبي ﷺ القرآن بواسطة أمين الوحي (جبريل) عليه السلام، وجبريل تلقاه عن رب العزة جل جلاله، وليس لجبريل الأمين سوى تبليغ كلام الله وإيحائه للرسول ﷺ فالله جلت حكمته قد أنزل كتابه المقدس على خاتم أنبيائه بواسطة أمين الوحي جبريل، وعلمه جبريل للرسول، وبلغه الرسول لأمته، وقد وصف الله جبريل عليه السلام بأنه أمين على الوحي يبلغه كما سمعه عن الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ (١).

وقال تعالى في وصفه أيضاً: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾ (٢).

أما حقيقة الكلام، وحقيقة المُنزَل فإنما هو كلام الله، وتنزيل رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَلْقَلْبِ الْقُرْآنِ مِنَ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ (٣).

وقد كان صلوات الله عليه يعاني عند نزول القرآن شدة، وكان يحاول أن يجهد نفسه من أجل حفظ القرآن، فيكرر القراءة مع جبريل حين يتلو عليه القرآن، خشية أن ينساه أو يضيع عليه شيء منه، فأمره الله تعالى بالإنصات والسكوت عند قراءة جبريل عليه، وطمأنه بأنه تعالى سيجعل هذا

(١) سورة التكويد، الآية: [١٩-٢١].

(٢) سورة الشعراء، الآيتان: [١٩٣-١٩٤].

(٣) سورة النمل، الآية: [٦].

القرآن محفوظاً في صدره، فلا يتعجل في أمره، ولا يجهد نفسه في تلقيه .

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١) .

وأما تكفل الله تعالى له بالحفظ فقد جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢) .

وقوله تعالى: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾^(٣) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٤) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبِعْ قُرْآنَهُ﴾^(٥) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾^(٦) .

وقد كان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، فينزل جبريل على رسول الله ﷺ ويسمع منه القرآن، فيقرأ الرسول بين يديه وجبريل يستمع، ويقرأ جبريل والنبي يسمع وهكذا يدارسه في كل رمضان ما نزل من القرآن مرة واحدة، وقبل وفاته ﷺ نزل عليه جبريل مرتين في رمضان فدارسه القرآن حتى لقد شعر عليه الصلاة والسلام - من نزول جبريل مرتين عليه - بدنو أجله، وقال لعائشة رضي الله عنها: «إن جبريل كان ينزل عليّ فيدارسني القرآن مرة واحدة في رمضان وقد نزل عليّ هذا العام مرتين، وما أراني إلا قد اقترب أجلي»^(٧) .

وقد كان الأمر كذلك فقد انتقل في ذلك العام إلى جوار ربه صلوات الله وسلامه عليه وانقطع بوفاته نزول الوحي .

أما كيف تلقى جبريل القرآن عن الله عز وجل، فقد تقدم معنا أنه كان سماعاً حيث سمع من الله عز وجل هذه الآيات فنزل بها على رسول الله . .

قال البيهقي في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٨) .

(١) سورة طه، الآية: [١١٤] .

(٢) سورة الحجر، الآية: [٩] .

(٣) سورة القدر، الآية: [١] .

(٤) سورة القيامة، الآيات: [١٦-١٩] .

(٥) رواه الترمذي والدارقطني .

(٦) سورة القدر، الآية: [١] .

(٧) قال البيهقي في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٨) .

يريد - والله أعلم - إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع . .
انتهى .

ومعنى هذا أن جبريل أخذ القرآن عن الله تعالى سماعاً ويؤيده ما روي في الحديث الشريف: «إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله، فإذا سمع أهل السماء صعقوا، وخرو سجداً، فيكون أولهم يرفع رأسه (جبريل) فيكلمه الله بوحيه بما أراد، فينتهي به إلى الملائكة، فكلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا؟ قال: الحق، فينتهي به حيث أمر». رواه الطبراني .

قال الزرقاني^(١) في كتابه مناهل العرفان: «وقد أسف بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن، والرسول يعبر عنها بلغة العرب . . وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل وأن الله كان يوحى إليه المعنى فقط . . وكلاهما قول باطل أثيم، مصادم لصريح الكتاب والسنة والإجماع ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به، وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٢). إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله .



(١) الزرقاني: هو محمد عبد العظيم الزرقاني . صاحب كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، وهو مدرس في علوم القرآن وعلوم الحديث، وهو من الدعاة والإرشاد بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف طبعة دار إحياء التراث الإسلامي . بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٥م .

(٢) سورة التوبة، الآية: [٦] .

الحمد في القرآن الكريم

وردت مشتقات هذه الكلمة في القرآن الكريم على النحو التالي:

| الكلمة | التكرار |
|-------------------------------------|---------|
| الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ لَهُ الْحَمْدُ | ٢٨ |
| بِحَمْدِ رَبِّكَ | ٦ |
| بِحَمْدِ رَبِّهِمْ | ٤ |
| بِحَمْدِكَ | ١ |
| بِحَمْدِهِ | ٤ |
| أَنْ يُحَمِّدُوا | ١ |
| مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ | ٥ |
| الْحَمِيدُ وَحَمِيدٌ | ١٦ |
| حَمِيداً | ١ |
| الْحَامِدُونَ | ١ |
| مَحْمُوداً | ١ |

فالمجموع العام لهذه الكلمات / ٦٨ / مرة ومجموعها حتى بداية كلمة أن يحمدا / ٤٣ / مرة وقد وردت بينها صفة الله (الحميد) بالتعريف والتنكير / ١٧ / مرة كما هو واضح أعلاه، وكلمة (الحامدون) و (محموداً) كل منها مرة واحدة، وسوف أتطرق إلى التعليق عليها وهذا توضيح لكلمة الحمد ومشتقاتها وعددها / ٤٩ / كلمة كما هو ظاهر.

أولاً: خمس سور ابتدأت بالحمد لله هي:

أ - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿١﴾

فالله يُحمَد على ربوبيته ورحمته العامة والخاصة وتفرده بالملك يوم الدين والجزاء.

ب - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

فالله هو المحمود وحده لأنه خلق السموات والأرض والظلمات والنور.

ج - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ فَيَمَّا لِيُذِذَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٣﴾.

فالله محمود على إنزاله القرآن الكريم الذي يبشر بالجنة وينذر من النار.

(١) سورة الفاتحة، الآيات: [٢-٤].

(٢) سورة الأنعام، الآية: [١].

(٣) سورة الكهف، الآيتان: [١-٢].

د - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

فكل ما في السموات والأرض لله تعالى، وهو المحمود بالآخرة.

هـ - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَتَلَتْ وَرُبِعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

فالحمد لله على خلق السموات والأرض وخلق الملائكة.

وقفة:

أهم الأشياء التي نحمد الله عليها:

أ - ربوبيته ورحمته.

ب - خلق السماوات والأرض والظلمات والنور.

ج - إنزال القرآن الكريم.

د - تصرفه في ملكه كما يشاء.

هـ - خلق الملائكة.

ثانياً: خمس سور اختتمت بحمد الله هي:

أ - ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾^(٣).

ب - ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيَرِكُمْ ءَايَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

(١) سورة سبأ، الآية: [١].

(٢) سورة فاطر، الآية: [١].

(٣) سورة الإسراء، الآية: [١١١].

(٤) سورة النمل، الآية: [٩٣].

ج - ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٥﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٦﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

د - ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾.

هـ - ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾.

ملاحظة:

مقارنات بين الحمد في أوائل السور وختامها:

- مقابل ربوبية الله: أنه ليس له ولد.
- مقابل خلق الله: أنه يرينا آياته.
- مقابل إنزال القرآن الكريم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، من كون القرآن كلام محمد ﷺ وبالتالي ينكرون صفات الله.
- أما تفرده في ملكه فيقابلة نصر الله للمؤمنين وإن كانوا ضعفاء.
- وما يقابل خلق الملائكة: هو أنهم حافون حول العرش يسبحون بحمد ربهم.

ثالثاً: اسم محمد وأحمد خمسة أسماء، أربعة منها محمد ﷺ، وواحد منها أحمد، وبعد الحمد لله في أول السور، والحمد لله في ختام السور، ذكر رب العالمين اسم محمد ﷺ أربع مرات واسم أحمد مرة واحدة أيضاً.

(١) سورة الصافات، الآيات: [١٨٠-١٨٢].

(٢) سورة الزمر، الآية: [٧٥].

(٣) سورة النصر، الآيات: [١-٣].

قال تعالى:

أ - ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ
أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْفَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
الشَّاكِرِينَ﴾^(١).

ب - ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢).

ج - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾^(٣).

د - ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ
مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سَوْفِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٤).

هـ - ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ
يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ
مُّبِينٌ﴾^(٥).

(١) سورة آل عمران، الآية: [١٤٤].

(٢) سورة الأحزاب، الآية: [٤٠].

(٣) سورة محمد، الآية: [٢].

(٤) سورة الفتح، الآية: [٢٩].

(٥) سورة الصف، الآية: [٦].

ونلاحظ في هذه الآيات ما يلي :

- أ - محمد رسول الله ﷺ وخاتم النبيين وليس أبا أحد من الرجال .
 ب - محمد ﷺ بشر يموت كغيره من البشر ولا يبقى إلا الله .
 ج - علينا أن نؤمن بما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن الكريم .
 د - من صفات الرسول ﷺ والمؤمنين الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين والركوع والسجود .
 هـ - بشارة عيسى بأحمد (محمد ﷺ) بأنه رسول يأتي من بعده .

رابعاً: التسبيح بحمد ربك :

في هذه الآيات أمر للنبي ﷺ أن يسبح بحمد ربه وأن يقول سبحان الله وبحمده وقد وردت هذه العبارة ست مرات في القرآن الكريم وهي :

- أ - ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١﴾ واليقين: هو الموت فالمطلوب عبادته تعالى حتى الموت .
 ب - ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ (٢) .
 ج - ﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ (٣) .
 د - ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ (٤) .

(١) سورة الحجر، الآيتان: [٩٨-٩٩].

(٢) سورة طه، الآية: [١٣٠].

(٣) سورة غافر، الآية: [٥٥].

(٤) سورة ق، الآية: [٣٩].

هـ - ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ نَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ﴾^(١).

و - ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(٢).

وكل الخطاب في هذه الآيات لمحمد ﷺ والأمر له أمر لأُمَّته أيضاً.

خامساً: (سبح ويسبحون بحمد ربهم).

وردت هاتان العبارتان أربع مرات في القرآن الكريم، فما كان خاصاً منها بالملائكة وردت بلفظ المضارع وهي ثلاث آيات:

أ - ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

ب - ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٤).

ج - ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٥).

فكل هذه الأفعال الثلاثة وردت بصيغة المضارع لبيان أن الملائكة ألهموا التسييح باستمرار كما ألهمنا النفس.

د - وما كان منها يتعلق بالمؤمنين وردت بصيغة الماضي على سبيل الجمع في قوله تعالى:

(١) سورة الطور، الآيتان: [٤٨-٤٩]

(٢) سورة النصر، الآية: [٣]

(٣) سورة الزمر، الآية: [٧٥]

(٤) سورة غافر، الآية: [٧].

(٥) سورة الشورى، الآية: [٥]

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١)

فمن صفات المؤمنين أن يسجدوا ويخضعوا عند تذكيرهم بآيات الله تعالى .

ملاحظة :

مجموع آيات التسييح بحمد الله تعالى تساوي عشر آيات وهي تساوي عدد السور المبتدئة بحمد الله مع عدد السور المنتهية والمختتمة بحمد الله تعالى فما هذا التوافق العجيب؟! .

وكذلك الآيات التي بها (بِحَمْدِكَ) و (بِحَمْدِهِ) معاً عددها خمس أيضاً لتتفق في العدد مع السور المبتدئة بالحمد أو المنتهية بالحمد، وهذه الآيات هي :

أ - ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

ب - ﴿ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ (٣) .

ج - ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نفقهونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤) .

(١) سورة السجدة، الآية: [١٥] .

(٢) سورة البقرة، الآية: [٣٠] .

(٣) سورة الرعد، الآية: [١٣] .

(٤) سورة الإسراء، الآية: [٤٤] .

د - ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١) .

هـ - ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾^(٢) .

والتسبيح أكثر ما يكون في الصلاة وبهذا لما نزل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٣) .

قال ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم» ولما نزل قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(٤) .

قال ﷺ: «اجعلوها في سجودكم» فإني أرى العلاقة قائمة بين التسبيح والأمر به وبين الصلوات الخمس، وقد جاءت الأعداد متوافقة وكذلك الحمد لله وأعدادها الخمس في بداية السورة وختامها توافق أعداد الصلوات لأن أعلى درجات الحمد تكون في الصلاة وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ولذلك مدح الله الحامدين والراكعين الساجدين في قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّابِقُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) .

وهؤلاء عشر فئات بعدد آيات الحمد في بدء السور ونهايتها كما مر .

هذه نقاط مضيئة في أول الطريق أذكرها لتكون بداية للانطلاق لدراسة القرآن الكريم من هذه الناحية، يقول رسول الله ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا فَأَدَاهَا كَمَا سَمِعَهَا فَرُبُّ مَبْلُغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»^(٦) .

(١) سورة الإسراء، الآية: [٥٢] .

(٢) سورة الفرقان، الآية: [٥٨] .

(٣) سورة الواقعة، الآية: [٩٦] .

(٤) سورة الأعلى، الآية: [١] .

(٥) سورة التوبة، الآية: [١١٢] .

(٦) حديث صحيح رواه أصحاب السنن وغيرهم .

مقارنة بين آيات الحمد والتسبيح

| العدد | الكلمة | العدد | الكلمة |
|-------|-----------------------------|-------|---------------------------------------|
| ١٨ | سُبْحَانَ | ٢٨ | الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَهُ الْحَمْدُ |
| ٩ | سُبْحَانَكَ | ١٠ | بِحَمْدِ رَبِّكَ وَبِحَمْدِ رَبِّهِمْ |
| ١٤ | سُبْحَانَهُ | ٥ | بِحَمْدِهِ وَبِحَمْدِكَ |
| ٢ | تَسْبِيحَهُمْ وَتَسْبِيحَهُ | | |
| ٤٣ | المجموع | ٤٣ | المجموع |

فمجموع آيات الحمد يساوي مجموع آيات التسبيح وهذا توافق عجيب!
وبفضل هذا التسبيح أنقذ الله يونس من بطن الحوت ومن أعماق البحر
في ظلمة الليل .

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُعَظِمًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي
الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا
لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ .

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿٢﴾ .

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: [٨٧-٨٨].

(٢) سورة الصافات، الآيتان: [١٤٣-١٤٤].

الدعاء في القرآن الكريم

أ - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

- يتبين من الآية السابقة أن الدعاء ينفع الأحياء والأموات سواء دعا الإنسان لنفسه أو دعا لغيره.

ب - قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٢).

ورد في سبب نزول هذه الآية:

أ - قالت اليهود كيف يسمع ربنا دعاءنا وأنت تزعم أن بيننا وبين السماء خمسمائة عام وغلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت.

ب - إن قوماً قالوا للنبي ﷺ أقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت عبارة ﴿فإني قريب﴾ أي بالإجابة أو العلم أو قريب من أوليائي بالإنعام والنعمة.

ج - ومن المعلوم أن أدوات النداء هي: أي - أ للقريب - وأي - هيا - آ للمنادى البعيد و(يا) تستعمل للقريب أو البعيد.

(١) سورة الحشر، الآية: [١٠]

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٨٦]..

كما ورد في الآية السابقة لا نجد أي دعاء من أدعية القرآن الكريم مسبوقة بأداة نداء للقريب أو البعيد بل كل أدعية القرآن الكريم وردت بدون استعمال /يا/ النداء.

د - سبقت أدعية القرآن الكريم بكلمة ربَّنَا، أو ربِّ، أو اللهم.

هـ - الدعاء بكلمة (ربنا): وردت كلمة ربنا بالنصب وربُّنا بالرفع وربنا بالجر (١١١) مرة بالقرآن الكريم، ومن المعلوم أن الدعاء لا يرد إلا بعد كلمة ربَّنَا بالنصب لأنه منادى كما هي في المواضع التالية:

١ - ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١)

٢ - ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾^(٢).

٣ - ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ﴾^(٣).

٤ - ﴿فَمِنَ النَّكَاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا﴾^(٤).

٥ - ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَايُنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾^(٥).

٦ - ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾^(٦)

٧ - ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٧)

(١) سورة البقرة، الآية: [١٢٧].

(٢) سورة البقرة، الآية: [١٢٨].

(٣) سورة البقرة، الآية: [١٢٩].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٢٠٠].

(٥) سورة البقرة، الآية: [٢٠١].

(٦) سورة البقرة، الآية: [٢٥٠].

(٧) سورة البقرة، الآية: [٢٨٥].

- ٨ - ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(١) .
- ٩ - ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾^(٢) .
- ١٠ - ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(٣) .
- ١١ - ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(٤) .
- ١٢ - ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٥) .
- ١٣ - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾^(٦) .
- ١٤ - ﴿رَبَّنَا ءَامِنَا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٧) .
- ١٥ - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾^(٨) .
- ١٦ - ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٩) .
- ١٧ - ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ﴾^(١٠) .
- ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(١١) .

(١) سورة البقرة، الآية: [٢٨٦].

(٢) سورة البقرة، الآية: [٢٨٦].

(٣) سورة البقرة، الآية: [٢٨٦].

(٤) سورة آل عمران، الآية: [٨].

(٥) سورة آل عمران، الآية: [٩].

(٦) سورة آل عمران، الآية: [١٦].

(٧) سورة آل عمران، الآية: [٥٣].

(٨) سورة آل عمران، الآية: [١٤٧].

(٩) سورة آل عمران، الآية: [١٩١].

(١٠) سورة آل عمران، الآية: [١٩٣].

(١١) سورة آل عمران، الآية: [١٩٤].

- ١٨ - ﴿رَبَّنَا وَعَانِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا﴾^(١).
- ١٩ - ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾^(٢)
- ٢٠ - ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْفِتْنَةَ لَوْلَا أَخْرَجْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾^(٣)
- ٢١ - ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤)
- ٢٢ - ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٥)
- ٢٣ - ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦).
- ٢٤ - ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَصَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾^(٧)
- ٢٥ - ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٨)
- ٢٦ - ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(٩).
- ٢٧ - ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^(١٠).
- ٢٨ - ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١١)

(١) سورة آل عمران، الآية: [١٩٤].

(٢) سورة النساء، الآية: [٧٥].

(٣) سورة النساء، الآية: [٧٧].

(٤) سورة المائدة، الآية: [٨٣].

(٥) سورة المائدة، الآية: [١١٤].

(٦) سورة الأعراف، الآية: [٢٣].

(٧) سورة الأعراف، الآية: [٣٨].

(٨) سورة الأعراف، الآية: [٤٧].

(٩) سورة الأعراف، الآية: [٨٩].

(١٠) سورة الأعراف، الآية: [١٢٦].

(١١) سورة يونس، الآية: [٨٥].

- ٢٩ - ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ﴾^(١)
- ٣٠ - ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ﴾^(٢)
- ٣١ - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾^(٣)
- ٣٢ - ﴿رَبَّنَا أَخِرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّحِبُّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾^(٤)
- ٣٣ - ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحِمَةٌ وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(٥)
- ٣٤ - ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزِي﴾^(٦)
- ٣٥ - ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾^(٧)
- ٣٦ - ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٨)
- ٣٧ - ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾^(٩).
- ٣٨ - ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١٠)

(١) سورة يونس، الآية: [٨٨].

(٢) سورة إبراهيم، الآية: [٣٧].

(٣) سورة إبراهيم، الآية: [٤١].

(٤) سورة إبراهيم، الآية: [٤٤].

(٥) سورة الكهف، الآية: [١٠].

(٦) سورة طه، الآية: [١٣٤].

(٧) سورة المؤمنون، الآية: [١٠٧].

(٨) سورة المؤمنون، الآية: [١٠٩].

(٩) سورة الفرقان، الآية: [٦٥].

(١٠) سورة الفرقان، الآية: [٧٤].

- ٣٩ - ﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)
- ٤٠ - ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾^(٢)
- ٤١ - ﴿رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾^(٣)
- ٤٢ - ﴿رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٤)
- ٤٣ - ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٥).
- ٤٤ - ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٦)
- ٤٥ - ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾^(٧)
- ٤٦ - ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٨)
- ٤٧ - ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٩)
- ٤٨ - ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى

(١) سورة القصص، الآية: [٤٧].

(٢) سورة السجدة، الآية: [١٢].

(٣) سورة الأحزاب، الآية: [٦٨].

(٤) سورة سبأ، الآية: [١٩].

(٥) سورة فاطر، الآية: [٣٧].

(٦) سورة ص، الآية: [١٦].

(٧) سورة ص، الآية: [٦١].

(٨) سورة غافر، الآية: [٧].

(٩) سورة غافر، الآية: [٨].

خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١﴾

٤٩ - ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ بَجَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنِ الْآسْفَلِينَ﴾ ﴿٢﴾ .

٥٠ - ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣﴾

٥١ - ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٤﴾

٥٢ - ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٥﴾

٥٣ - ﴿رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦﴾

٢ - الدعاء بكلمة (ربّ): من المعلوم أن كلمة ربّ محذوفة بياء المتكلم ويجوز أن نقول ربي ولكن تأديباً مع الله تعالى بالدعاء لا تمد هذه الكلمة مدّاً طبيعياً في الحالة العادية أو مدّاً منفصلاً إذا جاء بعدها همزة في أول الكلمة الثانية.

وقد وردت كلمة (ربّ) بالقرآن الكريم (٦٧) مرة منها /٦٥/ مرة لم تسبق بياء النداء، وسُبقَت مرتين بياء النداء على سبيل الشكوى لا على سبيل الدعاء والمرتان هما:

(١) سورة غافر، الآية: [١١].

(٢) سورة فصلت، الآية: [٢٩].

(٣) سورة الدخان، الآية: [١٢].

(٤) سورة الحشر، الآية: [١٠].

(٥) سورة الممتحنة، الآية: [٥].

(٦) سورة التحريم، الآية: [٨].

١ - ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(١) .

٢ - ﴿وَقِيلَ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) .

٣ - وما عدا ذلك فقد وردت بصيغة الدعاء في الآيات التالية:

١ - ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَاذُرْنِي مِنْ أَهْلِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٣) .

٢ - ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤) .

٣ - ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٥) .

٤ - ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^(٦) .

٥ - ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^(٧)

(١) سورة الفرقان، الآية: [٣٠]

(٢) سورة الزخرف، الآية: [٨٨].

(٣) سورة البقرة، الآية: [١٢٦].

(٤) سورة البقرة، الآية: [٢٦٠].

(٥) سورة آل عمران، الآية: [٣٥].

(٦) سورة آل عمران، الآية: [٣٨].

(٧) سورة آل عمران، الآية: [٤١].

٦ - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

٧ - ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٢).

٨ - ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّحِيمِينَ﴾^(٣).

٩ - ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا
إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾^(٤).

١٠ - ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي وَأَنَا مُؤْمِنٌ وَعَدَّكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ﴾^(٥).

١١ - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ
لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٦).

١٢ - ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(٧).

٤ - الدعاء بكلمة: (اللهم)

نظراً لعدم استعمال ياء النداء بأدعية القرآن الكريم أضيفت الميم لآخر

(١) سورة المائدة، الآية: [٢٥].

(٢) سورة الأعراف، الآية: [١٤٣].

(٣) سورة الأعراف، الآية: [١٥١].

(٤) سورة الأعراف، الآية: [١٥٥].

(٥) سورة هود، الآية: [٤٥].

(٦) سورة هود، الآية: [٤٧].

(٧) سورة يوسف، الآية: [٣٣].

كلمة لفظ الجلالة الله فأصبحت اللهم وقد كان العرب يستعملون ذلك قبل الإسلام كما في التلبية بالحج «لبيك اللهم لبيك» وهذا من باب التأدب مع الله تعالى:

وقد وردت كلمة اللهم خمس مرات في القرآن الكريم في الآيات التالية:

- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)

- ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(٢)

- ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٣)

- ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤)

- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٥).

ط - ووردت «اللهم» في بعض أدعية السنة المطهرة:

- «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب

(١) سورة آل عمران، الآية: [٢٦].

(٢) سورة المائدة، الآية: [١١٤].

(٣) سورة الأنفال، الآية: [٣٢].

(٤) سورة يونس، الآية: [١٠].

(٥) سورة الزمر، الآية: [٤٦].

القبر وشر فتنه الغنى وشر فتنه الفقر اللهم إني أعوذ بك من شر فتنه المسيح الدجال، اللهم اغسل قلبي بماء الثلج والبرد ونقي قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم إني أعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم» رواه البخاري.

«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»^(١).

رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني ويسر الهدى إلي وانصرني على من بغى علي.
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» رواه الترمذي، وأحمد، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

- «يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار». أبو داود، والنسائي، والترمذي (انظر النسائي).

(١) رواه الحاكم بحديث حسن.

**ملحق يتضمن القواعد الفقهية
في الشريعة الإسلامية**

القواعد الفقهية

أولاً: تمهيد:

أ - تكونت هذه القواعد الفقهية خلال العصور السابقة ولا يعرف لها واضع إلا ما كان منها نص حديث نبوي شريف كقاعدة «لا ضرر ولا ضرار».

ب - وكما وضع العلماء قواعد النحو والصرف المتعلقة بمعنى الكلمات وحركاتها كقولهم «الفاعل اسم مرفوع والمفعول به اسم منصوب» ويصاغ اسم الفاعل من الثلاثي على وزن فاعل.

ج - وكما وضعوا قواعد أصول الفقه وأغلب مباحثه التي تتعلق بقواعد الأحكام الناشئة عن الألفاظ كدلالة الأمر على الوجوب عند الإطلاق ودلالة النهي على التحريم.

د - كذلك وضعوا القواعد الفقهية أو الضوابط الفقهية ومعنى القاعدة حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته كقوله: «الأمور بمقاصدها» وتسمى القاعدة عند بعض الفقهاء أصلاً كقوله: «الأصل في الأمور العارضة العدم».

هـ - وفائدة هذه القواعد:

١ - من أخذ بالقواعد الفقهية تناقست عليه فروع الأحكام وجزئياتها وأصبحت عنده ملكة فقهية يفهم بها الفقه.

٢ - استغناء الفقيه عن حفظ النصوص الجزئية لاندراجها بالكليات كقواعد علم النحو تماماً.

ثانياً: تصنيف القواعد الفقهية:

١ - القواعد الأساسية: كل منها أصل مستقل ليس متفرعاً من قاعدة أعم منه مثل «اليقين لا يزول بالشك».

٢ - القواعد الفرعية: المتفرعة عن تلك القواعد الأساسية كقاعدة «الأصل بقاء ما كان على ما كان» المتفرعة عن القاعدة السابقة.

ثالثاً: القواعد الخمس الكبرى:

١ - لا ضرر ولا ضرار.

٢ - العادة محكمة .

٣ - المشقة تجلب التيسير.

٤ - اليقين لا يزول بالشك.

٥ - الأمور بمقاصدها.

وهي مجموعة بالترتيب السابق في هذين البيتين من الشعر:

ضرر يزال وعادة قد حكمت وكذا المشقة تجلب التيسيرا
والشك لا ترفع به متيقناً والقصد أخلص إن أردت أجوراً^(١)



(١) انظر الوصول إلى قواعد الأصول، لمحمد بن عبد الله التمرتاش. مطبعة دار عالم الكتب. ط..

عرض عام للقواعد الفقهية

أولاً: القواعد الخمس الكبرى وما يتفرع عنها:

- أ - ١ - الأمور بمقاصدها.
- ٢ - العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني لا في الألفاظ والمباني.
- ب - ٣ - اليقين لا يزول بالشك.
- ٤ - الأصل بقاء ما كان على ما كان.
- ٥ - ما ثبت بزمان حكم ببقائه ما لم يوجد دليل على خلافه.
- ٦ - الأصل في الأمور العارضة العدم.
- ٧ - الأصل براءة الذمة.
- ٨ - الأصل إضافة الحادث إلى أقرب أوقاته.
- ٩ - لا عبرة للدلالة في مقابلة التصريح.
- ١٠ - لا ينسب إلى ساكت قول ولكن السكوت في معرض الحاجة إلى البيان بيان.
- ١١ - لا عبرة للتوهم
- ١٢ - لا حجة مع الاحتمال الناشئ عن دليل.
- ١٣ - لا عبرة بالظن البين خطؤه.
- ١٤ - الممتنع عادة كالممتنع حقيقة.

- ج - ١٥ - لا ضرر ولا ضرار .
- ١٦ - الضرر يدفع بقدر الإمكان .
- ١٧ - الضرر يزال .
- ١٨ - الضرر لا يزال بمثله .
- ١٩ - الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف .
- ٢٠ - يختار أهون الشرين .
- ٢١ - إذا تعارض مفسدتان روعي أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما .
- ٢٢ - يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام .
- ٢٣ - درء المفسد أولى من جلب المنافع .
- ٢٤ - إذا تعارض المانع والمقتضي يقدم المانع .
- ٢٥ - القديم يترك على قدمه .
- ٢٦ - الضرر لا يكون قديماً .
- د - ٢٧ - المشقة تجلب التيسير .
- ٢٨ - الأمر إذا ضاق اتسع وإذا اتسع ضاق .
- ٢٩ - الضرورات تبيح المحظورات .
- ٣٠ - الضرورات تقدر بقدرها .
- ٣١ - الاضطرار لا يبطل حق الغير .
- ٣٢ - الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة .
- هـ - ٣٣ - العادة محكمة .

- ٣٤ - استعمال الناس حجة يجب العمل بها.
- ٣٥ - إنما تعتبر العادة إذا اطردت أو غلبت.
- ٣٦ - العبرة للغالب الشائع لا للنادر.
- ٣٧ - الحقيقة تترك بدلالة العادة.
- ٣٨ - الكتاب كالخطاب.
- ٣٩ - الإشارة المعهودة للأخرس كالبيان باللسان.
- ٤٠ - المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً.
- ٤١ - التعيين بالعرف كالتعيين بالنص.
- ٤٢ - المعروف بين التجار كالمشروط بينهم.
- ٤٣ - لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان.
- ثانياً: القواعد الأخرى وما يتفرع منها:
- و - ٤٤ - إعمال الكلام أولى من إهماله:
- ٤٥ - الأصل في الكلام الحقيقة.
- ٤٦ - إذا تعذرت الحقيقة يصار إلى المجاز.
- ٤٧ - المطلق يجري على إطلاقه ما لم يقدّم دليل التقييد نصاً أو دلالة.
- ٤٨ - ذكر بعض ما لا يتجزأ كذكر كله.
- ٤٩ - الوصف في الحاضر لغو وفي الغائب معتبر.
- ٥٠ - السؤال معاد في الجواب.
- ٥١ - إذا تعذر إعمال الكلام يهمل.

- ز - ٥٢ - لا مساع للاجتهاد في مورد النص:
- ح - ٥٣ - الاجتهاد لا ينقض بمثله.
- ط - ٥٤ - ما ثبت على خلاف القياس لا يقاس عليه أو ما ثبت على خلاف القياس فغيره لا يقاس عليه.
- ي - ٥٥ - إذا زال المانع عاد الممنوع.
- ٥٦ - ما جاز بعذر بطل بزواله.
- ك - ٥٧ - ما حرم أخذه حرم إعطاؤه.
- ٥٨ - ما حرم فعله حرم طلبه.
- ل - ٥٩ - من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.
- م - ٦٠ - من سعى في نقض ما تم من جهته فسعيه مردود عليه.
- ن - ٦١ - البقاء أسهل من الابتداء كما أن الدفع أسهل من الرفع.
- ٦٢ - يغتفر في البقاء ما لا يغتفر في الابتداء.
- س - ٦٣ - التابع تابع.
- ٦٤ - من ملك شيئاً ملك ما هو من ضروراته.
- ٦٥ - التابع لا يفرد بالحكم.
- ٦٦ - يغتفر بالتوابع ما لا يغتفر في غيرها.
- ٦٧ - إذا سقط الأصل سقط الفرع ولا عكس.
- ٦٨ - قد يثبت الفرع دون الأصل أو قد يثبت الفرع مع عدم ثبوت الأصل.
- ٦٩ - إذا بطل الشيء بطل ما ضمنه.

- ع - ٧٠ - إذا تعذر الأصل يصار إلى البدل
- ف - ٧١ - الساقط لا يعود.
- ص - ٧٢ - لا يتم التبرع إلا بالقبض.
- ق - ٧٣ - تبدل سبب الملك كتبدل الذات.
- ر - ٧٤ - المعلق بالشرط يجب ثبوته عند ثبوت الشرط.
- ٧٥ - المواعيد بصورة التعاليق تكون لازمة.
- ش - ٧٦ - يلزم مراعاة الشروط بقدر الإمكان.
- ت - ٧٧ - الجواز الشرعي ينافي الضمان.
- ث - ٧٨ - الخراج بالضمان.
- خ - ٧٩ - الغرم بالغنم.
- ذ - ٨٠ - النعمة بقدر النعمة والنقمة بقدر النعمة.
- ض - ٨١ - الأجر والضمان لا يجتمعان.
- ظ - ٨٢ - لا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك الغير بلا إذن.
- ٨٣ - الأمر بالتصرف في ملك الغير باطل.
- ٨٤ - لا يجوز لأحد أن يأخذ مال أحد بدون سبب شرعي.
- غ - ٨٥ - يضاف الفعل إلى الفاعل لا الأمر ما لم يكن مجبراً.
- أ - ٨٦ - المباشر ضامن وإن لم يتعد.
- أ - ب - ٨٧ - المتسبب لا يضمن إلا بالتعمد.
- أ - ج - ٨٨ - إذا اجتمع المباشر والمتسبب يضاف الحكم إلى المباشر.

- أ - د - ٨٩ - جناية العجماء جبار / العجماء جرحها جبار .
- أ - هـ - ٩٠ - الولاية الخاصة أقوى من الولاية العامة .
- أ - و - ٩١ - التصرف في الرعية منوط بالمصلحة .
- أ - ز - ٩٢ - يقبل بقول المترجم مطلقاً .
- أ - ح - ٩٣ - دليل الشيء الأمور الباطنة يقوم مقامه .
- أ - ط - ٩٤ - المرء مؤاخذ بإقراره .
- أ - ي - ٩٥ - الثابت بالبرهان كالثابت بالعيان .
- ٩٦ - البينة حجة متعدية والإقرار حجة قاصرة .
- أ - ك - ٩٧ - البينة لإثبات خلاف الظاهر واليمين لإثبات الأصل .
- ٩٨ - البينة على المدعي واليمين على المنكر .
- أ - ل - ٩٩ - لا حجة مع التناقض لكن لا يختل حكم الحاكم .

قواعد أخرى ملحقة بالقواعد السابقة

- ١٠٠ - الإجازة اللاحقة كالوكالة السابقة .
- ١٠١ - الأصل في الأشياء الإباحة .
- ١٠٢ - الأصل في العقد رضئ المتعاقدين ونتيجته ما التزمه في التعاقد .
- ١٠٣ - الأمين مصدق باليمين .
- ١٠٤ - الاتفاق بأمر القاضي كالاتفاق بأمر الملك .
- ١٠٥ - إنما يقبل قول الأمين في براءة نفسه لا في إلزام غيره .
- ١٠٦ - الباطل لا يقبل الإجازة .

- ١٠٧ - التعليق على كائن تنجيز .
- ١٠٨ - الجهل في الأحكام في دار الإسلام ليس عذراً
- ١٠٩ - الحق لا يسقط بالتقادم .
- ١١٠ - الحكم يدور مع علته .
- ١١١ - خطأ القاضي في بيت المال .
- ١١٢ - الخيانة لا تتجزأ .
- ١١٣ - شرط الواقف كنص الشارع .
- ١١٤ - الظاهر يصلح حجة للدفع لا للاستحقاق .
- ١١٥ - على اليد ما أخذت حتى تؤديه .
- ١١٦ - غرض الواقف مخصص لعموم كلامه .
- ١١٧ - القول للقبض في مقدار المقبوض .
- ١١٨ - كل شرط يخالف أصول الشريعة باطل .
- ١١٩ - كل شهادة تضمنت جر مغنم للشاهد أو دفع مغرم عنه ترد .
- ١٢٠ - كل ما جاز بذله وتركه دون اشتراط فهو لازم بالشرط .
- ١٢١ - كل مالك ملزم بنفقة مملوكه .
- ١٢٢ - كل من أدى حقاً على الغير بلا إذن أو ولاية فهو متبرع ما لم يكن مضطراً .
- ١٢٣ - ليس لأحد تمليك غيره بلا رضاه .
- ١٢٤ - ليس لعرق ظالم حق .
- ١٢٥ - ما تشترط فيه عدة شرائط ينتفي بانتفاء إحداها .

- ١٢٦ - ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب .
١٢٧ - ما وجب أداءه فبأي طريق حصل فهو وفاء .
١٢٨ - مقاطع الحقوق عند الشروط .
١٢٩ - الوكيل مع الأصيل كالشخص الواحد^(١) .



(١) انظر الاسعاف بالطلب لأحمد بن علي المنجور . متوفى سنة ٩٧٥ . جمع وترتيب أبي القاسم بن محمد التواني . دار الحكمة : طرابلس ليبيا . تاريخ الطبع ١٩٩٧ء .

قائمة المراجع والمصادر

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - أحكام البسملة للعلامة للإمام فخر الدين الرازي - تحقيق مجدي السيد إبراهيم - مكتبة القرآن ط ١٩٨٨ م.
- ٣ - إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم . لأبي عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بابن خالوية مؤسسة الإيمان - بيروت - لبنان ١٣٦٠ م.
- ٤ - البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبد الله الزركشي - طبعة دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٧ م.
- ٥ - السيرة النبوية لابن كثير - ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي - دار الكتب العلمية بيروت ط بدون تاريخ .-
- ٦ - القراءات القرآنية . عبد الوهاب التازي سعود.
- ٧ - القراءات وأثرها في علوم العربية د . محمد سالم محيسن - طبعة مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٨٦ م.
- ٨ - القاموس المحيط للفيروزآبادي ط القاهرة سنة ١٣٠٣ هـ.
- ٩ - اللآلئ الحسان في علوم القرآن د . موسى شاهين لاشين . دار الشروق القاهرة ٢٠٠٢ م.

١٠ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقي
- دار الفكر بيروت. ط ٢٠٠٠م.

١١ - المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز (أبو شامة)
شهاب الدين بن عبد الرحمن ت - ٦٦٥هـ. ط. القاهرة ١٩٨١م.

١٢ - تحبير التيسير - محمد بن محمد أبو الخير شمس الدين الشهير
بابن الجزري - شيخ القراء - المتوفي سنة ٨٣٣ هـ - طبعة القاهرة ١٩٧٣م.

١٣ - ترتيب القاموس المحيط للطاهر أحمد الزاوي - الدار العربية -

ليبيا

١٤ - تفسير ابن كثير - للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء
إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - دار المعرفة
للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٩٨٠م.

١٥ - تفسير الطبري لأبي يحيى محمد بن صمادح التجيبي المتوفى
٤١٩ هـ دار الفجر الإسلامي - دمشق الطبعة الثالثة ١٩٩٢م.

١٦ - تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - لأبي عبد الله محمد
ابن أحمد بن أبي بكر فرح الخزرجي الأنصاري القرطبي المفسر - طبعة دار
الكتب المصرية القاهرة ١٩٨٦م.

١٧ - تفسير المنار (للسيد محمد رشيد رضا) الطبعة الثالثة - القاهرة

١٩٣٥م.

- ١٨ - تفسير النسفي «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود المفسر النسفي المتوفى سنة ٧٤٠ هـ - ط - القاهرة ١٣٤٤ هـ ٤ أجزاء - مجلدين .
- ١٩ - تهذيب سيرة ابن هشام تحقيق عبد السلام محمد هارون . مكتبة السنة ١٩٨٩ م . تاج العروس السيد محمد مرتضى الزبيدي ط الخيرية ١٣٠٦ هـ .
- ٢٠ - ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - ط . الرابعة - القاهرة ١٩٨٤ م -
- ٢١ - روائع البيان في تفسير آيات الأحكام د . محمد علي الصابوني - ط . عالم الكتب - بيروت ١٩٨٦ م .
- ٢٢ - رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين . (للإمام النووي) - تعليق - رضوان محمد رضوان مطبعة الاستقامة - القاهرة ط الثالثة .
- ٢٣ - رياض الصالحين . تحقيق وشرح الدكتور الحسين عبد المجيد هاشم - دار الكتب الحديثة ط ١٩٧٠ م .
- ٢٤ - زبدة التفاسير (للشيخ محمد متولي الشعراوي) - المكتبة التوفيقية - القاهرة - ٢٠٠٠ م .
- ٢٥ - شرح قطر الندى وبل الصدى تصنيف محمد عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط قطاع الورق والطباعة طرابلس ليبيا ١٩٨٠ م .

- ٢٦ - صحيح البخاري . لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى ٢٠٠٠م .
- ٢٧ - صفو البيان لتجويد القرآن وتفسير القراءة - أحمد أحمد محمد النويصري - مطبعة المسيرة الكبرى ليبيا ط ٢٠٠٠م .
- ٢٨ - صحيح مسلم . للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفي ٢٦١ هـ - دار الفكر - الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .
- ٢٩ - ضوابط لمهمات علوم القرآن مشرف عبد الكريم .
- ٣٠ - في ظلال القرآن - للسيد قطب - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة . ١٩٣٥م
- ٣١ - فقه السنة للسيد سابق ط الفتح للإعلام العربي - القاهرة ط حديث الطبع .
- ٣٢ - مباحث من علوم القرآن . د . صبحي الصالح . دار العلم للملايين . ط السادسة عشر ١٩٨٥م .
- ٣٣ - مجمع البيان في تفسير مفردات وألفاظ القرآن . سميح عاطف الزين . دار الكتاب اللبناني ط الأولى ١٩٨٠م .
- ٣٤ - مختصر الترغيب والترهيب المسمى (فتح القريب المجيب) لسيد علوي المالكي - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١م .
- ٣٥ - مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ط الخيرية ١٣٠٨هـ .

- ٣٦ - مصادر اللغة - د. عبد الحميد الشلقاني - طرابلس طبعة المؤسسة العامة للنشر ط الأولى ١٩٧٧م.
- ٣٧ - مقتطفات من كتب الأدب العربي - طه حسين - دار المعارف - ١٩٧٨م.
- ٣٨ - مناهل العرفان في علوم القرآن . محمد عبد العظيم الزرقاني . جزآن - طبعة القاهرة - ١٩٥٧م طبعة الأولى ١٩٩٥م - دار إحياء التراث العربي - بيروت . جزئين في مجلد واحد.
- ٣٩ - موطأ الإمام مالك . رواية محمد بن الحسن الشيباني - دار القلم - بيروت ط الثانية ١٩٨٤م.
- ٤٠ - تاريخ بغداد - تحقيق صدقي جميل العطار - دار الفكر بيروت - لبنان .



فهرس الموضوعات

| | | |
|----|-------|---|
| 5 | | مقدمة المؤلف |
| 9 | | مقدمة الدكتور أحمد دلو |
| 20 | | مقدمة الشيخ محمود دلو |
| 21 | | تقريظ بقلم فضيلة الشيخ إبراهيم محمد القماطي |
| 22 | | مقدمة فضيلة الدكتور نوري علي محمد شريئة |
| 24 | | تمهيد من فضائل القرآن |
| 29 | | المعجزة القرآنية |
| 32 | | توضيح المعجزات الحسية |
| 40 | | معنى إعجاز القرآن الكريم |
| 42 | | 1- الإخبار عن المغيبات الماضية |
| 43 | | 2- الإخبار عن المغيبات المستقبلية |
| 49 | | 3- بيان بعض الحقائق العلمية القاطعة |
| 60 | | 4- فصاحة عباراته وامتانة تراكيبه |
| 60 | | 5- نظمه البديع |
| 62 | | 6- اتساق نظريات القرآن وأحكامه |
| 67 | | 7- تأثيره وفاعليته بالأفئدة |
| 67 | | - قصة إسلام عمر |
| 69 | | - إسلام سعد بن معاذ |
| 70 | | - توبة الفضيل بن عياض |
| 71 | | 8- سمو تشريعه وشموله |
| 71 | | - مزايا التشريع الإسلامي |
| 73 | | 9 - التصوير والتشخيص الحي |
| 74 | | 10- الأسلوب العجيب |
| 75 | | 11- الإيجاز الرائع |

- 76 12- الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم
- 86 13- الإعجاز البلاغي
- 88 14- الإعجاز في رسم القرآن الكريم
- 88 15- الإعجاز العددي في القرآن الكريم
- 89 معجزة القرآن الكريم مستمرة
- 93 الإعجاز في رسم القرآن الكريم - تعريفه
- 94 - أنواعه
- 104 - أسرار
- 106 كتابة القرآن الكريم بغير الرسم القرآني
- 109 الإعجاز العددي في القرآن الكريم
- 117 السبع المثاني
- 121 نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف
- 130 فواتح السور القرآنية وحروف التهجي النورانية
- 132 المعجزة الكبرى حروف التهجي النورانية المقطعة - تعريفها
- 133 - معانيها
- 143 - أسرارها الإعجازية
- 148 معدودات كلمة سبع ومشتقاتها في القرآن الكريم
- 154 علم المبهمات في القرآن الكريم والحكمة منه
- 156 سبب التصريح باسم مريم بنت عمران، وزيد بن حارثة في القرآن الكريم
- 158 هل ورد في القرآن الكريم كلمات غير عربية؟
- 164 القرآن الكريم والشعر
- 169 الفوائد من القرآن الكريم
- 177 الفواصل في القرآن الكريم
- 178 إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل
- 180 - تقسيم الفواصل إلى متماثل ومتقارب
- 180 - تقسيم الفواصل إلى متوازن ومتوازٍ ومطرف
- 181 - اختلاف الفاصلتين والمحدث عنه واحد
- 183 - اتفاق الفاصلتين والموضوع مختلف

- 183 من فوائد الفاصلة: تمكين المعنى
- 184 من فوائد الفاصلة: الإيغال في المعنى
- 185 ضابط الفواصل
- 187 الوجوه والنظائر
- 189 غريب القرآن الكريم
- 191 الوقف والابتداء
- 193 الوقف على اسمي الموصول الذين - الذي
- 195 من علم الرسم القرآني أو علم مرسوم الخط التاء المبسوطة والمقبوضة
- 195 تاء الثأنيث المربوطة والمفتوحة
- 208 من علوم الرسم القرآني الموصول والمفصول
- 211 فصل - في الفصل والوصل
- 218 فصل - في بعض حروف الإدغام
- 224 بيان بعدد حروف الهجاء في القرآن الكريم من كتاب
- 227 تقسيم سور القرآن
- 228 فضل آية الكرسي
- 231 الأمثال في القرآن الكريم
- 242 من قصص القرآن الكريم
- 244 قصة من قصص القرآن الكريم
- 254 العتاب في القرآن الكريم
- 256 - أمثلة من القرآن الكريم عن العتاب
- 258 المكي والمدني
- 260 أنواع السور المكية والمدنية
- 261 خواص القرآن المكي
- 262 خواص القرآن المدني
- 263 تأثير القرآن الكريم في الأعداء والأصدقاء
- 267 نماذج لتفسير الآيات
- 271 من علم مرسوم الخط: رسم الهمة
- 279 كلمات عضدت همزتها بالياء بآخر الكلمة

| | |
|-----|---|
| 281 | من أساليب الدعوة بالقرآن الكريم |
| 286 | علم المتشابه |
| 292 | المناسبات والربط بين السور وبين الآيات |
| 294 | أنواع الربط بين الآيات |
| 298 | النسخ |
| 302 | النسخ ببديل ولا بدل |
| 303 | نسخ الحكم ببديل |
| 304 | دوران النسخ بين القرآن والسنة |
| 307 | نسخ السنة بالقرآن الكريم |
| 308 | نسخ السنة بالسنة |
| 309 | التأكيد |
| 309 | - أدوات التأكيد |
| 310 | - مؤكدات الجملة الفعلية |
| 313 | التوكيد اللفظي والمعنوي |
| 315 | التأكيد بالصفة |
| 318 | دور علم النحو في فهم معاني القرآن الكريم |
| 324 | أسباب النزول |
| 330 | حكم نزول القرآن مفرداً |
| 341 | كيف تلقى النبي ﷺ القرآن الكريم |
| 344 | الحمد في القرآن الكريم |
| 353 | مقارنة بين آيات الحمد والتسبيح |
| 354 | الدعاء في القرآن الكريم |
| 365 | ملحق يتضمن القواعد الفقهية في الشريعة الإسلامية |
| 366 | القواعد الفقهية |
| 368 | عرض عام للقواعد الفقهية |
| 373 | قواعد أخرى ملحقة بالقواعد السابقة |
| 376 | قائمة المراجع والمصادر |
| 381 | فهرس الموضوعات |